


KÖPRÜLÜ
997



عدد

مخطوطة في ١٨ صحه

لم تنتبه

السراي حيواني

لعله الجزء الثالث

١

الجزؤ الثالث من الحيوان







١

بسم الله الرحمن الرحيم

من الله التوفيق بذكر الحمام • ومما اودعه الله جل ذكره من ضروب المعرفة •
ومن الخصال المحموده • ولتعرف بذلك حكمة الصانع • واتقان صنع المدبر •
وان كنا قد امللناك بالجد والاحتجاجات الصحيحة والمروجة لتكثر
الخواطر وتشحذ العقول • فانا سننشطك ببعض البطالات • وبذكر
العلل الظريفة • والاخبار الغريبة • فرب شعر يبلغ ببرده • ورب احتجاج
يبلغ بفرط غباوة صاحبه من السرور والضحك والاستطراف ما لا يبلغه
حد النوادر واجمع المعاني • وانا استطرف امرين استطرافا شديدا
احدهما استماع احاديث الاعراب الفصحا • فاني لم ارقط اتو من جديتهم
والامر الاخر استماع احتجاج متنازعين في الكلام • وهما لا يحسنان منه قليلا
ولا كثيرا • فانهما يثيران من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان وان تشدد
وكل غضبان وان احرقه لهيب الغضب • ولو ان ذلك لا يحل كان في باب
اللهو والضحك والسرور والبطالة والتشاغل ما يجوز كل فن سنذكر
من هذا الشكل علله • ما ورد عليك من احتجاجات الاغبيا حججا • فان كنت
ممن يستعمل الملالة • وتعجل اليه السامة • كان هذا الباب تنشيطا لقلبك
وجماما لقوتك • لتبتدى النظر في باب القول في الحمام • وقد ذهب عنك
الكلال • وحدث النشاط • وان كنت صاحب علم وجد • ومرنا موقحا
وكنت اليف تفكير وتنقير ودراسة كتب • وحليف تبين • وكان ذلك
عادة لك • لم يضرك مكانه من الكتاب • وتخطيته الى ما هو اولى بك •

١

وعلى اني قد عزمت والله الموفق على ان اوشح هذا الكتاب • وافصل ابوابه
بنوادر من ضروب الشعر وضروب الاحاديث • وليخرج قارئ هذا الكتاب
من باب الى باب • ومن شكل الى شكل • فاني قد رايت الاسماع تمل الاصوات
المطربة والاغاني الحسنة • والاوتار الفصيحة اذا اطال عليها • وما ذلك
الا في طريق الراحة التي اذا طالت اورثت الغفلة • واذا كانت الاوايل
قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة • كان هذا التدبير لما طال وكثر
اصلح • وما غايتنا في ذلك كله الا ان يستفيد وخيرا • وقال ابو الدردا اني
استجم نفسي ببعض الباطل كراهة ان احمل عليها من الحق ما يملها • فمن
الاحتجاجات الطيبة والعلل الملهية ما حدثني به ابن المديني قال
تحول ابو عبد الله الكرخي اللحياني الى الحربية • فادعى انه فقيه
وظن ان ذلك يجوز له لمكان لحيته وسمته • فالقى على باب داره
وجلس وجلس اليه بعض الجيران • قال فاتاه رجل ادخل اصبعه في
انفه فخرج عليها دم اي شي يصنع قال يحتجم قال قعدت طبيبا
ام قعدت فقيها • وحدثني شمون الطبيب قال كنت عند ذي اليمينين
طاهر بن الحسين • فدخل عليه ابو عبد الله المروزي • فقال له طاهر
يا ابا عبد الله سلناك عن منذ كم دخلت العراق قال دخلت
العراق منذ عشرين سنة • وانا اصوم الدهر منذ ثلثين سنة •
قال يا ابا عبد الله سلناك عن مسلة فاجبتنا عن مسلتين ٥
وحدثني ابو الجهجاه قال ادعى شيخ عندنا انه من كندة

لطيفه

فقال يا ابا عبد الله رجل

نادره



بن قيل ان ينظر في شيء من نسب كندة فقلت له يوما وهو عنده من انت يا ابا
فلان قال من كندة قلت من ايهم قال ليس هذا موضع هذا الكلام عافاك الله
قال ودخلت على حفص بن بريرة وكان يتحاما بنحل قول الاباضية فسمعته يقول
العجب ممن ياخذه النوم وهو لا يزعم ان الاستطاعة مع الفعل قلت
وما الدليل على ذلك قال سبحان الله يدل على ذلك الاشعار الصحيحة والامثال
السايرة قلت مثل ماذا قال مثل قوله ٭ ما ان يقعن الارض الا وفقا
ومثل قوله ٭ يهوين شتى ويقعن وفقا ٭ ومثل قولهم في المثل
وقعا كعظمى عير ٭ ومثل قوله ٭ مكر مفر مقبل مدبر معا ٭ وكقوله
اكف يدي من ان تمس اكفهم ٭ اذا نحن اهوينا وحاجاتنا معا ٭
ثم اقبل علي فقال اما في هذا مقنع قلت بلى وفي دون هذا ٭ وذكر محمد بن سلام
عن ابان بن عثمن قال قال رجل من اهل الكوفة لهشام بن الحكم اترى الله
عز وجل في عدله وفضله وكرمه كلفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا قال
قد والله فعل ولكنا لا نستطيع ان نتكلم قال وحدثني محمد بن الصباح
قال بينا ابو يوسف القاضي يسير بظهر الكوفة وذلك بعد ان كتب
كتاب الحيل اذ عرض له ممرور وعندنا اطيب الخلق فقال له يا ابا يوسف
قد احسنت في كتاب الحيل وقد بقيت عليك مسايل في الفطن فان
اذنت لي سالتك عنها قال قد اذنت لك فاسل قال اخبرني عن الحر
اكافر هو ام مومن قال ابو يوسف دين الحر دين المراة ودين صاحبه
الحر ان كانت كافرة فهو كافر وان كانت مومنة فهو مومن قال

ما صنعت شيئا قال فقل انت اذ لم ترض قولي قال الحر كافر قال
وكيف علمت قال لان المراة اذا ركعت او سجدت استدبر الحر القبلة
واستقبلت هي القبلة فلو كان دينه دين المراة لصنع كما تصنع هذه
واحدة يا ابا يوسف قال صدقت قال فتاذن لي في اخرى قال نعم
قال خبرني عنك اذا اتيت على خرا فهجمت على بول وخرا اتدري ابول امراة
وخرا امراة ذاك ام خرا رجل وبول رجل قال لا والله ما ادري قال
اجل والله ما تدري قال افتعرف انت ذلك قال نعم اذا رايت البول
قد سال على الخرا وبين يديه فهو بول امراة وخرا امراة واذا رايت البول
بعيدا من الخرا فهو بول رجل وخرا رجل قال صدقت قال وكان بقي له
ثلث مسايل نسيت منها مسيلة فعاودته فاذا هو لا يحفظها وحدثني
ابو ايوب الاعور قال قال الحجاج العبسي ما بال شعر است المراة نبت
اسرع واكثف قال لقربه من السماد ويسقى من عل وحدثني
محمد بن حسان قال وقفت على نوفل عريف الكناسين قال واذا
موسوس قد وقف عليه وعنده كل كناس بالكرخ فقال له الموسوس
ما بال بنت وردان تدع قعر البير وفيه كر خرا وهو لها مسلم
وعليها موفر وتجي تطلب اللطاخة في است احدنا وهو قاعد
على المقعدة فتلزم نفسها الكلفة الغليظة وتتعرض للقتل واما هذا
الذي في استاهنا قيراطا من ذلك الدرهم وقد دفعنا اليها الدرهم
وافيا وافرا قال فضحك القوم فحرك نوفل راسه ثم قال اتضحكون

قد والله سال الرجل فأجيبوه فامّا انا فقد فكرت فيها منذ ستين سنةً
ولكنكم لاتنظرون فى شئ من أمر صناعتكم لاجرم انكم لا ترتفعون أبدًا قال له
الموسوس قل يرحمك الله فانت زعيم القوم قال فقال نوفل ان الرطب
اطيب من التمر والحديث اطرا من العتيق والشئ من معدنه اطيب والفاكهة 5
من اشجارها الذ قال فغضب شريكه مسنح الكناس فقال والله لقد وبختنا
وهولت علينا حتى ظننا انك ستجيب بجواب لايحسنه أحد من أصحابنا
قال فقال له الموسوس وما الجواب فاني ما نمت البارحة من الفكر في هذه
المسلة قال مسنح لو ان لرجل الف جارية حسنا ثم عتقهن عنده لبردت
شهوته عنهن و فترت ثم ان راى واحدة دون اخسهن في الحسن واقبحها
ومات من شهوتها فبنت وددان تستطرف تلك اللطاخة وقد ملت الاول
وبعض الناس القطين احب اليهم من الخبز وأيضا ان الكثير تمنع الشهوة وتورث
الصدود قال فقال الموسوس واستحسن جواب مسنح بعد أن كان يرى انه
لاجواب الا جواب نوفل لاتعرف مقدار العالم حتى يجلس الى غيره وانتم
اعلم اهل هذه المدرة قد سألت علماها عنها منذ عشرين سنة فما خلص منهم
احد الى مثل ما تخلصتم اليه وقد والله أنمتم عيني وطاب بكم عيشي قد علمنا
ان كل شئ يستلب استلابا الذ واطيب ولذلك صار الدبيب الى الغلمان
ونيكهم على جهة القهر الذ واطيب وكل مال يصيبه الرجل فهو اعز عليه من
المال الذي يرثه او يوهب له قال وحدثني ابان بن عثمن قال قال الحجاج
والله لطاعتي اوجب من طاعة الله لان الله يقول اتقوا الله ما استطعتم

فجعل فيها مثنوية وقال اسمعوا واطيعوا ولم يجعل فيها مثنوية ولو قلت لرجل
ادخل من هذا الباب فلم يدخل لحل لي دمه قال وحدثني عن محمد بن سليمن ٦
ابن عبد الله النوفلي قال قال رجل من اهل الكوفة لرجل من اهل المدينة
نحن اشد حبا لرسول الله صلى الله عليه وآل رسول الله منكم يا اهل المدينة
قال فقال له المديني فما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وددت اني وقيت رسول الله وانه لم يكن وصل اليه يوم احد وفي غيره
من الايام شئ من المكروه الا كان بي دونه قال المديني وعندك غير هذا
قال وما يكون غير هذا قال وددت ان ابا طالب آمن فسر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا كافر وحدثني ابان بن عمر قال قال ابن ابي ليلى الاساير
رجلا من وجوه أهل الشام فمر بحمال معه رمان فتناول منه رمانة
فجعلها في كمه فعجبت من ذلك ثم رجعت الى نفسي وكذبت بصري
حتى مر بسايل فقير فاخرجها فناولها اياه قال فعلمت اني رايتها
فقلت رايت منك عجبا قال وما هو قلت رايتك اخذت منه
رمانة من حمال فأعطيتها سايلا قال وانك ممن يقول هذا اما علمت
اني اخذتها فكانت سيئة واعطيتها فكانت عشر حسنات فقال
ابن ابي ليلى اما علمت انك اخذتها فكانت منك سيئة واعطيتها
فلم تقبل منك وقال الربيع قلت لاعرابي اتهمز اسرايل قال اني
اذن لرجل سوء قال قلت اتجر فلسطين قال اني اذن لقوي
قال وحدثنا حماد بن سلمة قال كان لرجل في الجاهلية مجن

يتناول به متاع الحاج فاذا قيل له سرقت قال سرق محجبي قال حماد ولو كان هذا
اليوم حيًّا لكان من اصحاب ابي حنيفه قال وحدثني محمد بن القسم قال 7
قال الاعمش لجليس له اما تشتهي بنانيًا زرق العيون نقية البطون سود
الظهور وارغفة باردة لينة وخلاًّ حاذقًا قال بلى قال فانهض بنا قال
الرجل فنهضت معه ودخل منزله فقال جر تلك السلة فاذا فيها رغيفان
يابسان وسكرجة كامخ شبت قال فجعل ياكل فقال كل فقلت اين السمك
فقال ما عندي سمك انما قلت تشتهي قال وسيل حفص بن غياث عن فقه ابي حنيفه
فقال كان اجهل الناس بما كان واعلمهم بما لا يكون واما علة خشنام بن هند
فان خشنام بن هند كان شيخا من الغالية وكان ممن اذا اراد ان يسمي ابا بكر
وعمر قال الجبت والطاغوت ومنكر ونكير واف وتف وكسير وعوير
قال وكان لا يزال قد ادخل داره حمار كساح وضربه ماية عصا على ان
ابا بكر وعمر في جوفه ولم ار قط اشد احترافا منه وكان مع ذلك نبيذيا
صاحب حمام ويشبه في القد والخط شيوخ الحربية وكان من بني عنبر من تميم
وكان له بني تسعه فكان يزني امه في كل حق وباطل وعند كل جد وهزل
فقلت له يوما ونحن عند بني دبعي ويحك باي شي تستحل ان تقذف امه بالزنى
قال لو كان علي في ذلك حرج لما قذفتها قلت فلم تزوجت امراة ليس في قذفها
حرج قال اني قد احتلت حيلة حتى حل لي من اجلها ما كان يحرم قلت وما تلك
الحيلة قال انا رجل جديد وهذا غلام عارم وقد كنت طلقت امه فكنت
اذا افتريت عليه اثمت فقلت في نفسي ان ادعيتها وخدعتها حتى اسكها مرة

واحدة حل لي بعد ذلك افترای عليه بل لا يكون قولي حينئذ فرية فانا اليوم
8 اصدق ولست اكذب والصادق ما جور اي والله وما اشك ان الله
اذا علم اني لم ازن بها تلك المرة الا من خوف الاثم اذا قذفته فجعل لي تلك
الزنية له طاعة قلت له فانت الان على يقين ان زناك هذا وقذفك هذا
طاعة لله عز وجل قال نعم وقال الشيخ الاباضي وقد ذهب عني اسمه
وكنيته وهو ختن ابي بكر بن بريرة وجرى يوما شي من ذكر التشيع والشيعة
فانكر ذلك واشتد غضبه عليهم فتوهمت ان ذلك انما اعتراه للاباضية
التي فيه فقلت وما علي على حال ان اساله فانه يقال ان السايل لا يعدمه ان
يسمع في الجواب حجة او حيلة او ملحة فقلت وما انكرت من التشيع ومن ذكر الشيعة
قال انكرت منه مكان الشين التي في اول الكلمة لاني لم اجد الشين في اول كلمة قط
الا مسخوطة مثل شوم وشر وشيطان وشغب وشح وشمال وشجب
وشتيت وشيب وشراسة وشج وشك وسوك وشاذب وشارد
وشطير وشطور وشغرة وشابشي وشتم وشتيم وشيطوح وشنعه
وشناعة وشامة وشجة وشن وشرطون وشاطن وشلل وشيص
وشاطر وشطاره وشوصة وشتر وشحوب وشاحب قلت له
ما سمعت متكلما قط يقول هذا ولا يبلغه ولا يقوم لهذا القوم قايمة بعد هذا
قال تعشى ابو كعب القاص بطفشيل كثير اللوبيا فاكثر منه وشرب نبيذ تمر
وغلس الى بعض المساجد ليقص على اهله اذا انفتل الامام عن الصلاة
فصادف زحاما كثيرا ومسجدا مستورا بالبوادي من البرد والريح والمطر

وإذا محراب غاير في الحايط وإذا الإمام شيخ ضعيف فلما صلى استدبر المحراب
وجلس في زاوية منه كأنه فرخ وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه ٩
إلى وجوه الناس وطبق وجه المحراب بجسمه وفروته وكسايه وعمامته ولم يكن بين
فقحته وبين أنف الإمام كبير شيء وقص وتحرك بطنه وأراد أن يفتح بفسوة
وخاف أن تصير ضرطة فقال في قصصه قولوا جميعا لا إله إلا الله وارفعوا بها
أصواتكم وفسا الفسوة في المحراب فدارت فيه وجثمت على أنف الشيخ ثم كرب
أبا كعب بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال قولوا جميعا لا إله إلا الله وارفعوا بها
أصواتكم وأرسل فسوة أخرى فلم تخط أنف الشيخ واختنقت في المحراب فخمر
الشيخ أنفه فصار لا يدري ما يصنع إن هو تنفس قتلته الرايحة وإن لم يتنفس
مات كربا فما زال يداري ذلك وأبو كعب يقص فلم يلبث أبو كعب أن احتاج
إلى أخرى وكلما طال لبثه تولد في بطنه من النفخ على حسب ذلك فقال قولوا
جميعا لا إله إلا الله وارفعوا بها أصواتكم فقال الشيخ من داخل المحراب
واطلع رأسه وقال لا تقولوا لا تقولوا قد قتلني إنما يريد أن يفسو ثم جذب إليه
ثوب أبي كعب وقال جيت هاهنا تفسو أو تقص قال جينا نقص وإذ قد نزلت
بلية فلا بد من الصبر لنا ولكم فضحك الناس واختلط المجلس وأبو كعب
هو الذي كان يقص في مسجد عتاب في كل يوم أربعا فاحتبس عليهم في
بعض الأيام وطال انتظارهم فبيناهم كذلك إذ جاء رسوله وقال يقول لكم
أبو كعب انصرفوا راشدين فإني أصبحت اليوم مخمورا وأما علة عبد العزيز
بشكست فإن عبد العزيز كان له مال وكان إذا جاء وقت الزكوة وجاء

القراد بغلام مواجر قال له يا غلام ألك أم ألك أخوات ألك خالات
فيقول الغلام نعم فيقول خذ هذه العشرة الدراهم أو خذ هذا الدينار من
زكوة مالي فادفعه إليهن وإن شئت بعد ذلك أن تتركني على جهة المكارمة 10
فافعل وإن شئت أن تنصرف فانصرف فيقول ذلك والغلام لا يمنعه بعد
أخذ الدراهم وهو يعلم أنه لم يبلغ من صلاح طباع المواجرين أن يؤدوا الأمانات
فيعبر ثلثين عاما وليس له زكاة إلا عند أمهات المواجرين وأخواتهم وخالاتهم
وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال قال لي الفضل بن مرزوق
شيخ من طياب الكوفيين وأعيانهم إن لي لذلك ماية ذكر فسميتهم كلهم محمدا
وكنيتهم محمد فلك ستري فيهم البركة تدري لأي شيء كثر مالي قال قلت لا
والله ما أدري قال إنما كثر مالي لأني سميت نفسي فيما بيني وبين الله محمدا
فإذا كان اسمي عند الله محمدا فما أبالي ما قال الناس ويشبه هذا
الحديث قول المروزي قال قلت لأحمد بن رياح الجوهري اشتريت كساء
طبريا أبيض بأربع مائة درهم وهو عند الناس فيما ترى عيونهم
قومسي يساوي ماية درهم قال إذا علم الله أنه طبري فما علي
مما قال الناس قال وكان عندنا حارس يكنى أبا خزيمة فقلت له
يوما وقد خطر على بالي فقلت له يوما كيف اكتنى هذا العلج
بأبي خزيمة فقلت له كان أبوك يسمى خزيمة قال لا قلت فجدك
أو عمك أو خالك فقال لا قلت لك ابن يسمى خزيمة قال لا قلت
فكان لك مولى يسمى خزيمة قال لا قلت فكان في قريتك رجل صالح

وهو دانق بان الغلام

في تسمية الابن محمدا

او فقيه يسمى خزيمة قال لا قلت فلم اكتنيت بابي خزيمة وانت علج وانت الكن
وانت فقير وانت حارس قال هكذا اشتهيت قلت فلاي شي اشتهيت هذه
الكنية من بين جميع الكنى قال ما يدريني قلت فتبيعها الساعة بدينار
وتكتني باي كنية شئت قال لا والله ولا بالدنيا وما فيها وحدثني
مسعدة بن طارق قال قلت للزيادي ومررت به وهو جالس في يوم
غمق وبدحا على باب داره في شروع نهر الجوبار واذا ذلك النهر يبخر
في انفه فقلت بعت دارك وحظك من دار جدك زياد بن ابي سفيان
وتركت مجلسك في ساباط غيث واشرافك على رحبة بني هاشم ومجلسك
في الابواب التي تلي رحبة بني سليم وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم
ورضيت به جارا اما لي اكون في قرب هاولا البزازين قال قلت له
لو كنت بقرب المقابر فقلت تركت هذا الموضع للاتعاظ والاعتبار
كان ذلك وجها او لو كنت بقرب الحدادين فقلت لا تذكر بهذه النيران
والكيران نار جهنم كان ذلك قولا ولو كنت اشتريت دارك بقرب
العطارين فاعتللت بطيب رايحة العطر كان ذلك وجها فاما قرب
البزازين فهذا ما لا نعرفه ولك فيهم دار غلة اولك عليهم ديون حالة
اوهل لك فيهم وعندهم غلمان يودون الضريبة اولك في بعضهم شركة
مضاربة قال لا قلت فما ترجو اذن من قرب البزازين فلم يكن عنده
الا قلت اكون اما لي بقرب البزازين وحدثني ثمامة بن اشرس
قال كان عندنا رجل ممرور يقوم كل يوم فياتي دالية لقوم فلا يزال

يمشي مع دجال الدالية على ذلك الجذع ذاهبا وجايا في شدة الحر
والبرد حتى اذا امسى نزل الى النهر فتوضا وصلى وقال اللهم اجعل لنا من هذا
فرجا ومخرجا ثم ينصرف الى بيته فكان كذلك حتى مات وحدثني
المكي قال كان رجل يقود اعمى بكراء فكان الاعمى ربما عثر العثرة ونكب النكبة
فيقول اللهم ابدلني به قايدا خيرا لي منه فيقول القايد اللهم ابدلني به اعمى خيرا لي منه
قال وحدثني يزيد مولى اسحق بن عيسى قال كنا في منزل اصحابنا اذ خرج واحد
من جماعتنا الى المتبرز في البيت الآخر فلم يلبث الا ساعة حتى سمعناه يصيح اوه اوه
فنهضنا جميعا اليه فزعين فقلنا ما لك ما لك واذا هو نايم على شقه الايسر
وهو قابض بيديه على خصيتيه قلنا له لم صحت قال اذا غمزت خصيتي
اشتكيتها واذا اشتكيتها صحت قال فقلنا فلا تغمزها بعد حتى لا تشتكي
قال نعم ان شا الله قال يزيد وكانت لعيسى بن علي مولاة عجوز خراسانية
تصيح الليل كله من ضربان ضرس لها فكانت قد ارقت الامير اسحق
فقلنا له انها مع هذا لا تدع اكل التمر قال فبعث اليها بالغداة فقال لها
لا تاكلين التمر بالنهار وتصيحين بالليل قال قالت اذا اشتهيت اكلت
واذا اوجعني صحت وحدثني ثمامة قال مررت في غب مطر والارض
ندية والسما مغيمة والريح شمال واذا شيخ اصفر كانه جرادة قد جلس
على قارعة الطريق وحجام زنجي يحجمه وقد وضع على كاهله واخدعيه
كل محجمة كانها قعب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه قال فوقفت عليه
فقلت له يا شيخ لم تحتجم قال لمكان هذا الصفار الذي بي وحدثني ثمامة

قال حدثني سعيد بن سلم قال كنا بخراسان في مجلس بعض الدهاقين ونحن شباب ١٣
وفينا شيخ قال فاتانا رب المنزل بدهن طيب فدهن بعضنا راسه وبعضنا
لحيته وبعضنا مسح به شاربه وبعضنا مسح يديه وامرهما على وجهه
وبعضنا اخذ بطرف اصبعه فادخل بعضه في انفه ومسح به حاجبيه فعمد
الشيخ الى بقية الدهن فصبه في اذنيه فقلنا له ويحك خالفت اصحابك
كلهم هل رايت احدا اتوه بدهن طيب فصبه في اذنيه قال فانه مع هذا يضرني
وحدثني مسعدة بن طارق قال والله انا لوقوف على حدود دار فلان للقسمة
ونحن في خصومة اذ اقبل سيد بني تميم وموسرهم والذي يصلي على جنايزهم
فلما رايناه مقبلا الينا امسكنا عن الكلام فاقبل علينا فقال حدثوني
عن هذه الدار هل ضم منها بعض الى بعض احدا قال مسعدة فانا منذ ستين
سنة افكر في كلامه ما ادري ما عنى به قال وقال لي مرة ما من شر من كرين
قال قلت ولم ذاك قال من جرا يتعلقون وحدثني الخليل بن يحيى السلولي
قال نازع التيمي بعض بني عمه في حايط له فبعث الينا ليشهدنا على شهادة
فاتاه جماعة فيهم الحميري والزهري والزيادي والبكراوي فلما صرنا
اليه وقف بنا على الحايط وقال اشهدكم جميعا ان نصف هذا الحايط لي
قال وقدم ابن عم له الى عمر بن حبيب وادعى عليه الف درهم فقال ابن عمه
ما اعرف مما قال قليلا ولا كثيرا ولا له علي شي قال اصلحك الله فاكتب لي
انكاره قال فقال عمر الانكار ليس يفوتك منه هو في يدك متى اردته قال
وقلت لابي عتاب الجرار الا ترى عبد العزيز الغزال وما يتكلم به

في تصفحه قال واي شي قال قال ليت ان الله لم يكن خلقني واني الساعة اعور
قال ابو عتاب قد قصر في القول واساء في التمني ولكني اقول ليت ان الله لم يكن
خلقني واني الساعة اعمى مقطوع اليدين والرجلين ودخل ابو عتاب على ١٤
عمرو بن هداب وقد كف بصره والناس يعزونه فمثل بين يديه وكان كالجمل
المحجوم وله صوت جهير فقال يا ابا اسيد لا يسوءنك ذهابهما فانك لو
رايت ثوابهما في ميزانك تمنيت ان الله قد قطع يديك ورجليك ودق
ظهرك وادمى ظلفك وعنينا داود بن المعتمر الصبيري يجالسني معا اذ مرت
امراة جميلة لها قوام حسن وعينان عجيبتان وعليها ثياب بياض
ونهض داود فلم اشك انه انما قام ليتبعها فبعثت غلامي ليتعرف
ذلك فلما رجع قلت له قد علمت انك انما نهضت لتكلمها فليس
ينفعك الجحود وانما غايتي ان اعرف كيف ابتدات القول واي شي
قلت لها وعلمت انه سيجي بآبدة وكان مليا بالاوابد قال ابتدات
القول بان قلت لها لولا ما رايت من سيما الخير لم اتبعك قال فضحكت
حتى استندت الى الحايط ثم قالت انما يمنع مثلك ان يتبع مثلي والطمع فيها
ما يرى من سيما الخير فاما اذ قد صار سيما الخير هو الذي يطمع في النساء
فانا لله وانا اليه راجعون وتبع داود بن المعتمر واحدة فلم يزل
يطردها حتى اجابت ودلها على المنزل الذي يمكنه فيه ما يريد
فتقدمت الفاجرة وعرض له رجل فشغله ساعة وجا الى المنزل
وقد قضى القوم حاجتهم واخذت حاجتها وابت ان تنتظره فلما اتاهم

لم يرها قال ابن هبي قالوا قد والله فرغنا وذهبت قال فاي طريق اخذت قالوا لا
والله لا ندري قال فان غدوت على اثرها حتى اقوم على مجامع الطرق
اترونى الحقها قالوا لا والله ما تلحقها قال فقد فانت الان قالوا نعم قال
فعسى أن يكون هذا خيرا ان شا الله فلم اسمع قط بان انسانا مسلما ١٥
شك في ان السلامة من الذنوب خير من غيرها وسال بعض اصحابنا
ابا القمن الممرور عن الجز الذى لا يتجزا ما هو قال الجز الذى لا يتجزا هو على
ابن ابي طالب فقال له محمد ابو العينا فليس في الارض جز لا يتجزا غيره
قال بلى حمزة جز لا يتجزا وجعفر جز لا يتجزا قال فما تقول في العباس
قال وعباس ايضا جزء لا يتجزا قال فما تقول في ابي بكر وعمر فقال ابو بكر
يتجزا وعمر يتجزا قالوا فما تقول في عثمن قال يتجزا مرتين وطلحة يتجزا
مرتين والزبير يتجزا مرتين قال فما تقول في معوية قال معوية لا يتجزا
ولا لا يتجزا فقد فكر نافي تاويل ابي لقمن حين جعل الامام جز الا يتجزا الى
اى شي ذهب فلم نقع عليه الا ان يكون كان ابو لقمن اذا سمع المتكلمين
يذكرون الجز الذى لا يتجزا هاله ذلك وكبر في صدره وتوهم انه الباب
الاكبر من علم الفلسفة وان الشي اذا عظم خطره سموه الجز الذى لا يتجزا
وقد تسخفنا في هذه الاحاديث واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسنذكر
قبل ذكر باب القول في الحمام جملا من غرر نوادر اشعار من نتف وفقر
وقصايد قصار وشوارد ابيات لنعطي قاري هذا الكتاب من كل نوع
تذهب اليه النفوس نصيبا ان شا الله ولكل ضرب من الحديث ضرب من

اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف والجزل للجزل ١٦
والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والانقباض في
موضع الانقباض والاسترسال في موضع الاسترسال واذا كان موضع الحديث
على انه مضحك وملهٍ وداخل في حد المزح الطيب فاستعملت الاعراب فيه
وانقلب عن جهته وان كان في لفظه سخف فابدلت السخافة بالجزالة صار
الحديث الذى وضع على ان يسر النفوس يكربها وياخذ باكظامها وبعض الناس
اذا انتهى الى ذكر الحر والنيك والاير ارتدع وتخاجل واظهر التقزز واستعمل
باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف
والكرم والنبل والوقار الا بقدر هذا الشكل من التصنع ولم يكشف قط صاحب
رياء ونفاق الا عن لوم مستفحل ونزالة متمكنة وقد كان لهم في عبد الله بن
١٦ عباس مقنع حين سمعه بعض الناس وهو ينشد في المسجد الحرام

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له في ذلك فقال انما الرفث ما كان عند النسا وقال شبيب بن يزيد
الشيباني لليلة بيتة عتاب بن ورقا من ينك العير ينك نياكا
وقال الضحاك لو كان ذلك القول رفثا لكان قطع لسانه احب اليه
من أن يقول هجرا وقال علي بن ابي طالب حين دخل على بعض الامراء
فقال له من في هذه البيوت فلما ان قال عقايل من عقايل العرب فقال
علي من يطل اير ابيه ينتطق به فعلى علي يعول في تنزيه اللفظ
وتشريف وقال ابو بكر الصديق حين قال بديل بن ورقا للنبي صلى الله

عليه وسلم جيتنا الحمرانه وسودانه ولو قد مسّ هولاء حرّ السلاح لقد
أسلموك فقال ابو بكر عضضت ببظر اللات أنحن نخذله وقد روو حديثا ١٧
مرفوعا وهو قوله من يعذرني من ابن ام سباع مقطعة النظور ولو كان
ذلك الموضع موضع كناية لكانت الكناية هي المستعملة وبعد فلو لم
يكن لهذه الالفاظ مواضع يستعملها اهل هذه اللغة وكان الراى
أن لا يلفظ بها لم يكن لاول كونها معنى الا على وجه الخطا ولكان في
الحزم والصون للغة أن ترفع هذه الاسما منها وقد اصاب
كل الصواب من قال لكل مقام مقال ولقد دخل علينا فتى
حدثان ما كان وقع الى اصحاب عبد الواحد ونحن عند موسى بن
عمران فدار الحديث الى أن قال الفتى افطرت البارحة على رغيف
وزيتونة ونصف أو زيتونة وثلث أو زيتونة وثلثي زيتونة او ما اشبه
ذلك بل اقول اكلت زيتونة وما علم الله من اخرى فلما اكثر من ذلك
قال له اسمعيل بن غزوان ما فتى بلغنا ان من الورع ما يبغضه الله
واظن ورعك هذا من ذلك الورع وكان القيني ربما قال قال لي
المامون كذا وكذا حين صار النجم على قمة راسي أو حين جاز في شيئا
أو قبل أن يوازي هامتي هكذا هو عندي وفي اغلب ظني واكره
أن اجزم على شي وهو كما قلت ان شا الله أو قريبا مما قلت
فيتوقف في الوقت الذي ليس من الحديث في شي وذلك الحديث
ان كان مع طلوع الشمس لم يزده ذلك خيرا وان كان مع غروبها

لم ينقصه ذلك شيئا هذا ولعل الحديث نفسه لم يكن قط ولم يكن هو في
تلك الليلة اليه وهو مع ذلك زعم لي انه دخل على اصحاب الكهف فعرف عددهم
وكانت عليهم سبنية وكان كلبهم امعط الجلد وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وسنذكر من نوادر
الشعر جملة فان نشطت لحفظها فانها من اشعار المذاكرة قال الثقفي

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه اذا ما قل ناصره ويانف الضيم ان اثرى له عدد

١٨ وقال ابو قيس بن الاسلت

بزامرئ مستبسل حاذر للدهر جلد غير مجزاع
الكيس والقوة خير من الاشفاق والفهة والهاع

وقال عبدة بن الطبيب

رب حبانا باموال مخولة وكل شي حباه الله تخويل
والمرء ساع لامر ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتاميل

وكان عمر يردد هذا النصف الاخير ويعجب من جودة ما قسم وقال المتلمس

واعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال خير من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال اخر

وحفظك مالا قد عنيت بجمعه أشد من الجمع الذي أنت طالبه

وقال حميد بن ثور الهلالي

اتشغل عنا بابن عم فلن ترى اخا البخل الا سوف يعتل بالشغل

وقال ابن احمر الباهلي

هذا الثنا واجدر ان اصاحبه وقد يدوم ريق الطامع الامل

وقال ابن مقبل

هل الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
وكلتاهما قد خط لي في صحيفة فلا الموت اهوى لي ولا العيش اروح ١٩

وقال عمرو بن عبد هند

وان الذي ينهاكم عن طلابها يناغي نساء الحي في طرة البرد
يعلل والايام تنقص عمره كما تنقص النيران من طرف الزند

وقال امية ان كان قاله

ربما تجزع النفوس من الامر لها فرجة كحل العقال

وقال الاخر

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

وقال اخر

لم اعطها بيدي اذ بت ارشفها الا تطاول غصن الجيد بالجيد
كما تطاعم في خضراء ناعمة مطوقان اصاخا بعد تغريد
وان سمعت بهلك للبخيل فقل بعدا وسحقا له من هالك مودي

وقال ابو الاسود الدولي

المرء يسعى ثم يذكر مجده حتى يزين بالذي لم يفعل
وترى الشقي اذا تكامل عيبه يرمى ويقذف بالذي لم يعمل

وقال دريد

رئيس حروب لا يزال ربيئة مشيحا على محقوقف الصلب ملبد
صبور على رزء المصائب حافظ من اليوم اعقاب الاحاديث في غد
وهون وجدي انني لم اقل له كذبت ولم ابخل بما ملكت يدي

وقال سعيد بن عبد الرحمن

وان امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيد

وقال اكثم بن صيفي

نربي ويهلك آباؤنا وبينا نربي بنينا فنينا

وقال بعض المحدثين

فالان سمحت للخطوب فلا يلفى فؤادي من حادث يجب
قلبني الدهر في قوالبه وكل شيء ليومه سبب

وقال اخر

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب
الا يا موت لم ار منك بدا ابيت فما تحيف ولا تحابي
كانك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

وقال اخر

يا نفس خوضي بحور العلم أو غوصي فالناس من بين معموم ومخصوص
لا شيء من هذه الدنيا يحاط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص
وانشدنا للأحيمر
٢١ بأقب منطلق اللبان كأنه سيد تنصل في حجور سعالي
وقال الآخر
أراقب لوحا من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف
وقال خلف الأحمر لم أر أجمع من بيت لامرئ القيس وهو قوله
أفاد وجاد وساد وزاد وقاد وذاد وعاد وأفضل
ولا أجمع من قوله
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
ولم أر في التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين في حالين مختلفين
في بيت واحد وهو قوله
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
قطعة من أشعار النساء قالت أعرابية
رأت نضو أسفار أميمة شاحبا على نضو أسفار فجن جنونها
فقالت من أي الناس أنت ومن تكن فإنك مولى فرقة لا تزينها
وقالت امرأة من خثعم
فإن تسألوني من أحب فإنني أحب وبيت الله كعب بن طارق
أحب الفتى الجعد السلولي فاضلا على الناس معتاد الضرب المفارق

وقالت أخرى
فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد وأقبحها لما تجهز غاديا
وقالت امرأة فروة الغطفانية
ما مزن أي ما تقوله تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج أو بطن واد تحدرت عليه رياح الصيف من كل جانب
نفى نسم الريح القذى عن متونه فما إن ترى عيبا يكون لعائب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تقى الله واستحيا بعض العواقب
وقال بعض العشاق
وأنت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثوم
وأنت التي أورثت قلبي حرارة وقرحت قرح القلب فهو كليم
وأنت التي أسخطت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم
فقالت المعشوقة
وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم
وقال آخر
شهدت وبيت الله أنك غادة رداح وأن الوجه منك عتيق
وأنك لا تجزينني بمودة ولا أنا للهجران منك أطيق
فأجابته

شهدت وبيت الله انك بارد الثنايا وان الكشح منك لطيف
وانك مشبوح الذراعين خلجم وانك اذ تخلو بهن عفيف

وقال اخر

٢٧ الله يعلم يا مغيرة انني قد دستها دوس الحصان الهيكل
فاخذتها اخذ المقصب شاته عجلان يشويها لقوم نزل

وقال كعب بن سعد الغنوي

وحدثتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
وما سما كان غير محمة ببرية تجري عليه جنوب
ومنزلة في دار امن وغبطة وما اقتال من حكم على طبيب

وقطعة من البديع قوله

اذا احداها صاحبي ودجعا وصاح في اثارها فاسمعا
يتبعن منهن جلا لا اتلعا ادمك في الما المهاري منقعا

وقال الراجز في البديع المحمود

قد كنت اذ حبل صباك مدمش واذا اهاضيب الشباب تبغش

ومن البديع المستحسن قول حجر بن خلد بن مرثد

سمعت بفعل الفاعلين فلم اجد كفعل ابي قابوس فعلا ونايلا
يساق الغمام الغر من كل بلدة اليك فاضحى حول بيتك نازلا
فاصبح منه كل واد حللته وان كان تعدو المرابيع سايلا
فان انت تهلك يهلك الباس والندا وتضحى قلوص الحرب جرباء حايلا

ولا ملك ما يبلغنك سعيه ولا سوقة ما يمدحنك باطلا

باب في صدق الظن وجودة الفراسة

٤٤ قال اوس بن حجر

الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد راى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطاب انك لا ينتفع بعقل الرجل حتى تعرف صدق ظنه

وقال اوس بن حجر

مليح نجيح اخو مازق نقاب يحدث بالغايب

وقال ابو العصة قاتل احمد بن شميط

فالا ياتكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزيد

وقيل لابي الهذيل انك اذا راوغت واعتللت وانت تكلم النظام وقمت فاحسن حالاتك ان يشك الناس فيك وفيه قال خمسون شكا خير من يقين واحد وقال كثير في عبد الملك

رايت ابا الوليد غداة جمع به شيب وما فقد الشبابا
ولكن تحت ذاك الشيب حزم اذا ما ظن امرض او اصابا

وليس في جودة الظن بيت احسن من بيت بلعا بن قيس

وابغي صواب الظن اعلم انه اذا طاش ظن المرء طاشت مقادره

وقال الله عز وجل لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه

وقال ابن ذبيعة في الظن

ودعاني الى الرشاد فوادي كان للغي مرة قد دعاني

ذاك دهر لو كنت فيه قرينى غير شك عرفت لى عصيانى
وتقلبت فى الفراش ولا تعلم الا الظنون اين مكانى
وقال ابن ابى ربيعة فى غير هذا الباب
٢٥ وخل كنت عين النصح منه اذا نظروا ومستمعا سميعا
أطاف بغية فنهيت عنها وقلت له ارى امرا شنيعا
اردت رشاده جهدى فلما ابا وعصى اتيناها جميعا
وقال معقر بن حمار البارقى
الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل نوافذ النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالخصل
ابيات للمحدثين حسان
قال العتابى
وكم نعمة اتاكها الله جزلة مبراة من كل خلق يزيمها
فسلطت اخلاقا عليها ذميمة تعاورنها حتى تفرى اديمها
ولوعا واسفافا ونطقا من الخنا بعورا تجرى فى الرجال نميمها
وكنت امرا لو شيت ان تبلغ المدا بلغت بادنى نعمة تستديمها
ولكن فطام النفس اثقل محملا من الصخرة الصماء حين تزومها
وقال العتابى ايضا
وكنت امرا هيابة يستفزنى زملى بادنى ضجعة استلينها
اوافى امير المومنين بهمة توغل فى نيل المعالى فنونها

رعى امة الاسلام فهو امامها وادى اليها الحق فهو امينها
ويستنبح العقبا حتى كانما تغلغل فى حيث استقر جنينها
وما كل موصوف له الحق يهتدى وما كل من ام الصوى يستبينها
مقيم بمستن العلا حيث يلتقى طوارف ابكار الخطوب وعونها
٢٦ وقال الحسن بن هانى
قولا لهرون امام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد
نصيحة الفضل واشفاقه اخلى له وجهك من حاسد
بصادق الطاعة دياتها وواحد الغايب والشاهد
انت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالواجد
افرده الله فما مثله لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد
ومن غير اشعار المحدثين وقال ذو الرقاع العاملى
وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها
وعلمت حتى لست اسل واحدا عن حرف واحدة لكى ازدادها
واجتمع ناس من الشعرا بباب عدى بن الرقاع يريدون مناشدته ومناقلته
فخرجت بنية له صغيرة فقالت
تجمعتم من كل اوب ومنزل على واحد لا زلتم قرن واحد
وقال عبد الرحمن بن حسان وهو صبى

الله يعلم انى كنت معتزلاً فى دار حسان اصطاد اليعاسيبا

وقال لابيه وهو صبى ورجع اليه وهو يبكى ويقول لسعنى طاير قال صفه يا بنى قال كانه ثوب حبرة فقال حسان قال ابنى الشعر ورب الكعبة وكان الذى لسعه زنبوراً وقال سهل بن هرون وهو يختلف الى الكتاب لجار لهم

نبيت نعلك مبطوناً فرغت له فهل تماثل او نابته عوادا

وقال طرفة وهو صبى صغير

يالك من قبرة بمعمر   خلا لك البر فبيضى واصفرى

قال بعض الشعراء

اذا ما مات ميت من تميم فسرك ان يعيش فجى بزاد

بخبز او بسمن او بتمر او الشى الملفف فى البجاد

تراه يطوف فى الافاق حرصاً ليأكل راس لقمن بن عاد

الاصمعى الشى الملفف فى البجاد الوطب   وقال اعرابى

الا بكرت تلحى قبيلة بعدما بدا فى سواد الراس اسود واضح

ابيض

لتدرك بالامساك والمنع ثروة من المال انتهبها السنون الجوائح

فقلت لها لا تعذلينى فانما بذكر الندا تبكى علىّ النوايح

وقال بشار ابياتاً تجوز من المذاكره فى باب المنى وفى باب الحزم وفى باب المشورة ناس يجعلونها للحجاج الازدى وناس يجعلونها لغيره وهى قوله

اذا بلغ الراى المشورة فاستعن بحزم نصيح او نصاحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة مكان الخوافى رافد للقوادم

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنايم

وادنى من القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امراً غير كاتم

وما خير كف امسك الغل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقايم

فانك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم

٢٨ وقال بعض الانصار

وبعض خلايق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء

وبعض القول ليس له عناج كمحض الما ليس له اناء

وقال اخر

وبعض الداء ملتمس شفاه وداء الحمق ليس له شفاء

وقال تابط شراً ان كان قاله

شامس فى القر حتى اذا ما ذكت الشعرى فبرد وظل

وله طعمان ارى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل

مسبل فى الحى احوى رفل واذا يعدو فسمع ازل

وردا الثار منى ابن اخت مصع عقدته ما تحل

مطرق يرشح موتاً كما اطرق افعى ينفث السم صل

خبر ما جانا مصمئل جل حتى دق فيه الاجل

كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق اذا ما يسل

اسقنيها يا سواد بن عمرو ان جسمى بعد خالى لخل

وقال سلامة بن جندل

ساجزيك بالود الذي كان بيننا اصعصع الى سوف اجزيك صعصعا
سا هدي وان كنا بتثليث مدحة اليك وان حلت بيوتك لعلعا
وان يك محمودا ابوك فاننا وجدناك محمود الخلائق اروعا
فان شئت اهدينا ثناء ومدحة وان شئت اهدينا لكم مائة معا

فقال صعصعة بن محمود من بشر بن عمرو بن مرثد الثنا والمدحة احب الينا وكان احمر بن جندل اسيرا في يده فخلا سبيله من غير فداء وقال اوس ابن حجر في مثل هذا الشكل من الشعر وهو يقع في باب الشكر

لعمرك ما ملت ثواء ثويها حليمة اذ القى مراسي مقعد
ولكن تلفت باليدين ضمانتي وحل بفلج فالقنافذ عودي
وقد غبرت شهري ربيع كليهما بحمل البلايا والحبا الممدد
ولم تلهها تلك التكاليف انها كما شئت من اكرومة وتخرد
ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي

وقال ابو يعقوب الاعور

فلم اجزه الا المودة جاهدا وحسبك مني ان اود واجهدا

وابيات تضاف الى الايجاز وحذف الفضول قال بعضهم ووصف كلابا في حال شدة عدوها وسرعة رفع قوايمها ووضعها فقال

كانها ترفع ما لم يوضع

ووصف الاخر ناقة بالنشاط والقوة فقال خرقا الا انها صناع

وقال الاخر الليل اخفى والنهار اوضح

ووصف الاخر فرسا فقال في كفه معطية منوع وقال الاخر

ومهمه فيه السراب يسبح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
كانما دليله مطوح كانما امسوا بحيث اصبحوا

ومن شكل هذا البيت الاخير قوله

فكانما بذر وصيل كنيفة وكانما من عاقل ارمام

ومثله

تجاوزت حوران في ليلة وقلت قساس من الحرمل

ومن الباب الاول قوله

عادني الهم فاعتلج كل هم الى فرج

وهذا الشعر لجعفر الموسوس وقال الراجز

لم اقض من صحبة زيد اربي فتى اذا انبهته لم يغضب
ابيض بسام وان لم يعجب ولا يضن بالمتاع المحقب
موكل النفس بحفظ الغيب اقصى رفيقيه له كالاقرب

وقال دكين

وقد تعللت ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس
اذ عرج الليل بروح الشمس

وقال دكين

بموطن ينبط فيه المجتبي بالمشرفيات نطاف الانفس

وقال الراجز طال عليهن تكاليف السرى

والنصر في حين الهجير والضحى حتى نجاهن فما تحت العجا
رواعف يخضبن مبيض الحصا وفي هذه الأرجوزة يقول في صفة السحاب
وضحك المزن بها ثم بكا ومن الإيجاز المحذوف قول الراجز وصف
سهمه حين رمى عيرا كيف نفذ سهمه وكيف صرعه وهو قوله
حتى نجا من جوفه وما نجا وما يجوز في الاتعاظ قول المرأة وهي تطوف بالبيت
انت وهبت القينة السلاهب وهجمة يحار فيها الحالب
وغنما مثل الجراد السارب متاع ايام وكل ذاهب
ومثله قول المسعودي
اخلف واتلف كل شيء زعزعته الريح ذاهب
وقال القذار وكان سيد عنزة في الجاهلية
أهلكت مهري في الرهان لجاجة ومن اللجاجة ما يضر وينفع
قال وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد وكان فصيحا
إذا انت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيما يضر وينفعا
وقال الأخطل
شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس أحلاما إذا اقتدروا
وقال حارثة بن بدر الغداني
طربت بفاثور وما كدت تطرب سفاها وقد جربت فيمن تجربا
وجربت ما ذا العيش الا تعلة وما الدهر الا منجنون تقلب
وما اليوم الا مثل امس الذي مضى ومثل غد الجاي وكل سيذهب

وقال حارثة بن بدر الغداني
اذا الهم امسى وهو داء فامضه ولست بممضيه وانت تعادله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ اذا رام أمرا عوقته عواذله
وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله
وقال الحرث بن يزيد وهو جد الاحيمر السعدي وهو يقع في باب الغزو
ويمدحهم ببعد المغزى
لا اعق ولا احوب ولا اغير على مضر لكنما غزوي اذا ضج المطي من الدبر
وقال ابن مخفض المازني
ان تك ذرعي يوم صحراء كلية اصيبت فما ذاكم علي بعار
الم تك من اسلابكم قبل ذاكم على قطري يوما ويوم سفار
ونحن طردنا الحي بكر بن وايل الى سنة مثل الشهاب ونار
ويوم وطاعون وحمى وحصبة وذي لبد يغشى المهجهج ضار
وحكم عدو لا هوادة عنده ومنزل ذل في الحيوة وعار
وقال آخر
خذوا العقل ان اعطاكم القوم عقلكم وكونوا كمن سيم الهوان فارتعا
ولا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا
وقال ابو ليلى
كأن قطاتها كردوس فحل مقلصة على ساقي ظليم
وقال ابو سلمى لا بد للسودد من ارماح

٢٢ ومن سفيهٍ دايم النباح ومن عديدٍ تبقى بالراح

وقال الهذلي

وان سيادة الأقوام فاعلم لها صعدا مطلبها طويل

وقال الحرث بن بدرٍ وانشده سفين بن عيينة

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقا تفردي بالسودد

وقال ابو نخيلة

وان بقوم سودوك لفاقة الى سيدٍ لو يظفرون بسيد

وقال اياس بن قتادة في الاحنف بن قيس

وان من السادات من لو اطعته دعاك الى نارٍ يفور سعيرها

وقال حميضة بن حذيفة

ايظلمهم قسرا فتبا السعيه وكل مطاع لا ابالك يظلم

فاصبحت بعد الحلم في الحي ظالما تحمط فيهم والمسود يظلم

وقال اياس بن مدركة الخثعمي

عزمت على اقامة ذي صباح لشي ما يسود من يسود

وقال الاخر

كما قال الحمار لسهم رامٍ لقد جمعت من شي لامر

وقال ابو حية

اذا قلن كلا قال والنقع ساطع بلى وهو واهٍ بالجراء باجله

وقال

اني رأيت ابا العورات مرتفقا بشط دجلة يشري التمر والسمكا

كثرة الخيل يشقى عند مذودها والموت اعلم اذ قفى بمن تركا

تلك مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن انت ساعيه فقد هلكا

٢٤ وقال شيم بن خويلد احد بني غراب من فزارة

قلت لسيدنا يا حليم انك لم تأس اسوا رفيقا

اعنت عديا على شانها تعادي فريقا وتبقي فريقا

زحرت بها ليلة كلها فجيت بها مؤيدا خنفقيقا

وقال ابن ميادة

اتيت ابن قشرا العجان فلم اجد لدى بابه اذنا يسيرا ولا ترلا

فان الذي ولاك امر جماعة لا نقص من يمشي على قدمٍ عقلا

وقال الاخر

ورثنا الامر عن آبا صدق اسأنا في ديارهم الصنيعا

اذا المجد الرفيع تعاورته ولاة السوء اوشك ان يضيعا

وقال الاخر

اذا المرء اثرى ثم قال لقومه انا السيد المفضي اليه المعمم

ولم يعطهم خيرا ابوا ان يسودهم وهان عليهم رغمه وهو ظالم

وقال اخر

تركت لبحر درهميه ولم يكن ليدفع عني خلتي درهما بحر

فقلت لبحر خذهما فاصطرفهما وانفقهما في غير حمدٍ ولا اجر

اتمنع سؤال العشيرة بعدما تسميت بحرا واكتنيت أبا الغمر ٢٥
وقال الهذلي
وكنت اذا ما أحدث الدهر نكبة اقول شوى ما لم يصبن صميمي
وقال الآخر في غير هذا الباب
سقى الله أرضا يعلم الضب انها بعيد من الارواد طيبة البقل
بنى بيته في رأس نشز وكدية وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل
وحدثني المكي قال نظر ابو الحرث جمين الى برذون يستقى عليه ما
فقال المرء حيث يضع نفسه هذا لو هملج لم يبتل بما ترى وقال عبد العزيز
ابن زرارة الكلابي
وما لب اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظ يستر عيب قوم وهيهات الحظوظ من العقول
وقال آخر
ذهب الذين احب قربهم وبقيت كالمقهور في خلف
من كل مطوي على حنق متصنع يكفى ولا يكفي
وقال آخر
ومولى كعبد العين اما لقاؤه فيرضي واما غيبه فظنون
ويقال للمرائي ولمن اذا رأى صاحبه تحرك له واراه الخدمة والسرعة
في طاعته فاذا غاب عن عينه خالف ذلك انما هو عبد عين وقال الله تعالى
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما

وقد ذكرنا ابياتا تضاف الى الايجاز وقلة الفضول ولي كتاب جمعت فيه
آيا من كتاب الله لتعرف بها فصل ما بين الايجاز والحذف وبين الزوائد
والفضول والاستعارات واذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز والجمع
للمعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الايجاز
وترك الفضول فمنها قوله حين وصف خمر الجنة لا يصدعون عنها
ولا ينزفون وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر الدنيا
وقوله حين ذكر فاكهة الجنة فقال لا مقطوعة ولا ممنوعة
فجمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني وهذا كثير وقد دللتك عليه
فان اردته فموضعه مشهور وقال الاعرابي من بني أسد ٢٦
يقولون ثمر ما استطعت وانما لوارثه ما ثمر المال كاسبه
فكله واطعمه وخالسه وارثا شحيحا ودهرا تعتريه نوائبه
وقال رجل من عبس
ابلغ قرادا القد حكمتم رجلا لا يعرف النصف بل قد جاوز النصفا
كان أمرا ثائرا والحق يغلبه فجلنا السهل سهل الحق فاعتسفا
وذاكم ان ذل الجار حالفكم وان أنفكم لا تعرف الانفا
ان المحكم ما لم يرتقب حسبا أو يرهب السيف أو حد القنا حنفا
من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجبا موتا على عجل أو عاش منتصفا
يبغو الحيوة بها اذ سام طالبها اما رواحا واما ميتة انفا
ليس امرؤ خالدا والموت يطلبه هاتيك احسابه عادت اصبحت جيفا

أبلغ لديك أبا سعيد مغلغلة ان الذي بيننا قد مات أو دنفا
كانت امور فجافت عن حلومكم ثوب العزيمة حتى مال فانكشفا
٢٧ إني لأعرف ظهر الضغن أغمده عني وأعلم أني آكل الكتفا

وقال أسقف نجران

منع البقاء تصرف الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس
اليوم يعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

وقال عبيد بن الأبرص

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
وعاقر مثل ذات رحم وغانم مثل من يخيب
أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب
المرء ما عاش في تكذيب طول الحيوة له تعذيب

وقال آخر

اذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أسقامها تعتادها فهي زروع قد دنا حصادها

(هو الأمين محمد بن الرشيد هرون)

وقالت بنت عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد المخلوع حين قتل

أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به أرملني قبل ليلة العرس

٢٨ وقال آخر سلم الخاسر في هذا

[illegible]

تبدت فقلت الشمس عند طلوعها بجلد غني اللون أثر كالورس
فلما كررت الطرف قلت لصاحبي على مرية ها ها هنا مطلع الشمس

وقال آخر

كفى حزنا بدفنك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حيوتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

باب من المدح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقيلي

يزين سنا الماوي كل عشية على غفلات الزين والمتجمل
وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال الشمردل

اذا جرى المسك يندى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم
يشبهون ملوكا في تجلتهم وطول أنضية الأعناق والأمم

النضي السهم الذي لم يرش يعني ان أعناقهم ملس مستوية والأمم القامات

وقال القتال

يا ليتني والمنى ليست بمغنية لمالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ريح الإماء اذا راحت بأزفار
لم يرضعوا الدهر الا ثدي واضحة لواضح الوجه يحمي باحة الدار

وقال الآخر

اذا كان عقل قلتم ان عقلنا الى الشام تحلل علينا الاباعر
وان امرأ بعدي تبدل ودكم بود بني ذبيان مولى لخاسر
اوليك قوم لا يهان هديهم اذا صرحت كحل وهبت اعاصر
مذاليق بالخيل العتاق اذا غزوا باما نهم خطية وبواتر ٢٩
وقال ابو الطمحان القيني في المعنى الذي ذكرناه
كم فيهم من سيد وابن سيد وفي بعقد الجار حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يرعد ان راى وجوه بني لام وينهل بارقه
وقال لقيط بن زرارة
واني من القوم الذين عرفتهم اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سما كلما غار كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
اضات لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وقال بعض التميميين يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة
بحق امرئ بشر وعيينة خاله وانت لقعقاع وعمك حاجب
دراري نجوم كلما انقض كوكب بدا كوكب ترفض عنه الكواكب
وقال طفيل الغنوي
وكان هريم من سنان خليفة وعمرو ومن اسما لما تغيبوا
نجوم سما كلما غار كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب
وقال الخريمي وهو يمدح بني خريم من ال سنان بن ابي حارثة
بقية اقمار من الغر لو خبت لظلت معد في الدجى تتسكع

اذا قمر منها تغور او خبا بدا قمر في جانب الافق يلمع ٤٠
وقال بعض غني وهو يمدح جماعة اخوة منهم انشدنيها ابو قطن
الذي يقال له شهيد الكرم
حبتر ثنا بني عمرو فانهم الوفضول وانفال واخطار
ان يسالوا الخير يعطوه وان جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب اخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا كشفت اذمار شر غير اشرار
هينون لينون ايسار بنو يسر سواس مكرمة ابنا ايسار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
وقال رجل من بني نهشل
اني لمن معشر افنا اوايلهم قول الكماة الا اين المحامونا
لو كان في الالف منا واحد فدعوا من فارس خالهم اياه يعنونا
وليس يذهب منا سيد ابدا الا افتلينا غلاما سيدا فينا
وفي المعنى الاول يقول النابغة
وذاك بان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
وفي غير ذلك من المدح يقول الشاعر
واتيت حيا في الحروب محلهم والجيش باسم ابيهم يستهزم
وفي ذلك يقول الفرزدق
لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة تساقى السمام بالردينية السمر

لقومثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيعا والجياد بهم تجري
وأما قول الشاعر   تخايل المجتد أو هزام
فإنما ذهب إلى أن الدعوة إذا قام بها خامل الذكر والنسب فلا
يحسده من اكفايه أحد وأما مذكور بيمن النقيبة وبالظفر
المتتابع فذاك أجود ما يكون وأقرب إلى تمام الأمر وقال الفرزدق

تصرم مني ود بكر بن وائل وما كان عني ودهم يتصرم ٤١
قوارص تاتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال ايضا

وقالت أراه واحداً لا أخا له يؤمله في الوارثين الأباعد
لعلك يوما أن تريني كأنما بني حوالي الأسود الحوارد
فإن تميما قبل أن يلد الحصا أقام زمانا وهو في الناس واحد

وقال ايضا

فإن يك سيف خان أو قدر أبى لميقات يوم حتفه غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقا عن راس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحيانا مناط القلائد

وإن أحببت أن تروي من قصار القصائد شعراً لم تسمع بمثله قط
فالتمس ذلك في قصار قصائد الفرزدق فإنك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد
في القصار والطوال غيره وقد قيل للكميت إن الناس يزعمون أنك
لا تقدر على القصار قال من قال الطوال فهو على القصار أقدر وهذا كلام

يخرج في ظاهر الراي والظن ولم يجد وذلك عند التحصيل على ما قال وقيل
لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق
وقيل لجرير إلى كم تهجو الناس قال إني لا أبتدي ولكني أعتدي وقيل له لم لا تقصر
٤٢ قال إن الجماح يمنع الأذى وقال عبيد بن الأبرص

أنبئت أن بني جديلة أوعبوا نفراء من سلمى لنا وتكتبوا
ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كالهراوة أعضب
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متنكب إبط الشمال ينعب
فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدواً وقرضبة فلما قربوا
طعنوهم بمران الوشيج فما ترى خلف الأسنة غير عرق يشخب
وتبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنما فقروا يا جديل وأعذبوا

وقال آخر

ألم تر حسان بن ميسرة الذي يحوخي الجيرانه كيف يصنع
متاريب ما تنفك منهم عصابة إليه سراعا يحصدون ويزرع

وباب آخر مثل قوله

يريد أن يعربه فيعجمه   وقال الآخر   كان من يحفظها يضيعها
وقال الآخر   أهوج لا ينفعه التثقيف   وقال بعض المحدثين في هذا المعنى
إذا حاولوا أن يشعبوها رأيتها على الشعب لا تزداد إلا تداعيا

وقال صالح بن عبد القدوس

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه

إذا ادعوى عاد له جهله كذي الضنا عاد الى نكسه

ومثل هذا المعنى قوله

ادبت عرسي بعد ما هرمت ومن العناد رياضة الهرم

وقال حسيل بن عرفطة

٤٢ ليهنك بغض في الصديق وظنة وتحديثك الشيء الذي انت كاذبه

وانك مشنوء الى كل صاحب بلاك ومثل الشر يكره جانبه

وانك مهدا الخنا نطف الخنا شديد السباب رافع الصوت غالبه

وقال الاصمعي قال الزبرقان بن بدر خصلتان كبيرتان في امرئ السوء شدة السباب وكثرة اللطام وقال خالد بن نضلة

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه ولو عالوا به فوق مرقب

من الجانب الاقصى وان كان ذا ندى كثير ولا ينبيك مثل المجرب

إذا كنت في قوم عدا لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

فان تلتبس بي خيل دودان لا أرم وان كنت ذا ذنب وان غير مذنب

ولما تاذى الاضبط بن قريع في بني سعد وقال سحيم بن وثيل

الا ليس زين الرحل نطع ونمرق ولكن زين الرحل يا مي راكبه

وقال اعرابي

ما وجد ملواح من الهيم حليت عن الماء حتى جوفها يتصلصل

تحوم وتغشاها العصي وحولها اقاطيع انعام تعل وتنهل

باكثر مني غلة وتعطفا الى الورد الا انني اتجمل

[illegible]

وقال خالد بن علقمة بن الطيفان في عيب اخذ العقل والرضا بشيء دون الدم

٤٤ ان الذي أصبحتم يحلبونه دم غير ان اللون ليس بأحمرا

فلا توعدوا ولا دحيان بعد ما رضيتم وزوجتم سيالة مشهرا

واعجب قرد يقصم القلح حالقا اذا لغبت منها في البقيعة بربرا

إذا سكبوا في القعب من ذي انائهم رأو لونه في القعب وردا او اشقرا

وباب آخر في ذكر الغضب والجنون

في المواضع التي يكون فيها محمودا قال الاشهب بن رميلة

هذا الوفادة من لا يستعد لها واعصوصب الشر وارتد المساكين

من كل اشيب قد مالت عمامته كانه من حذار الضيم مجنون

وقال في شبيه ذلك ابو الغول الصبي

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني

فوارس لا يملون المنايا اذا دارت رحا الحرب الزبون

ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين

ولا تبلى بسالتهم وان هم صلوا بالحرب حينا بعد حين

هم احموا حمى الوقبا بضرب يؤلف بين اشتات المنون

فنكب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من الجنون

في الاصل والطحون

وقال ابن الطثرية

لو انني لم انل منكم معاقبة الا السنان لذاق الموت مطعون

أو لا سمت فاني قد هممت به بالسيف ان خطيب السيف مجنون

وقال آخر

حوانا بكة السنام كأنها جمل بهودج أهله مظعون

٤٥ جادت بها يوم الوداع يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين

ما إن يجود بمثلها في مثله إلا كريم الخيم أو مجنون

وفي غير هذا المعنى يقول حسان أو ابنه عبد الرحمن

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا

وفي شبيه بذلك يقول الشنفرى

دقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

وقال القطامي حين وصف إفراط ناقته في المرح والنشاط

يتبعن سامية العينين تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبل

وقال ابن أحمر في معنى التشبيه والاشتقاق

لجوجن قسا ذفر الخزامى تداعى الجربيا بها الحنينا

تفقأ فوقه القلع السواري وجن الخازباز به جنونا

وفي مثل ذلك يقول الأعشى

وإذا الغيث صوبه وضع القدح وجن التلاع والآفاق

لم يزدهم سفاهة شرب الخمر ولا اللهو فيهم والسباق

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ما أنشدنيه أبو الأصبغ بن ربعي

أتوني بمجنون يسيل لعابه وما صاحبي إلا الصحيح المسلم

وأنشدني إبراهيم بن هانئ وعبد الرحمن بن منصور

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون ٤٦

وكان إبراهيم بن هانئ لا يقيم بيت شعر ولا أدري كيف قام هذا البيت
وكان يدعي بحضرة أبي إسحق علم الحساب والكلام والهندسة واللحون
وأنه يقول الشعر فقال له أبو إسحق حتى لم تمتحنك في هذه الأمور فلك أن
تدعيها عندنا فكيف صرت تدعي قول الشعر وأنت إذا رويته لغيرك كسرته
فقال إني هكذا هكذا طبعت أن أقيمه إذا قلت وأكسره إذا أنشدت قال
أبو إسحق ما بعد هذا كلام قال وقلت لأعرابي أيما أشد غلمة المرأة أو الرجل فأنشد

فوالله ما أدري وإني لسائل الأير أدنى للفجور أو الحر

وقد جاءنا مرخيا من عنانه وأقبل هذا فاتحا يتهدر

وأنشد بعضهم

أصبح الشيب في المفارق شاعا واكتسى الرأس من بياض قناعا

ثم ولى الشباب إلا قليلا ثم يأبى القليل إلا نزاعا

وأنشدني محمد بن يسير لبعضهم

قامت تخاصرني بقنبتها خود تأطر غادة بكر

كل يرى أن الشباب له في كل مبلغ لذة عذر

وقال الآخر في خلاف هذا وأنشدنيه محمد بن هاشم السدري فلا تعذراني
في الإساءة إنه شرار الرجال من يسيء فيعذر وقال ابن قنبرة

فليت قلوصي عريت أو رحلتها إلى حسن في داره وابن جعفر

إلى معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

وقال الطرماح بن حكيم وهو ابو نفر ٤٧
لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طايل
اذا ما رآني قطع الطرف بينه وبيني فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الارض حتى كانها من الضيق في عينيه كفة حابل
وقال اخر
اذا ابصرتني اعرضت عني كان الشمس من قبلي تدور
وقال الخزيمي في عينه
اصغي الى قايدي ليخبرني اذا التقينا عمن يحييني
اريد ان اعدل السلام وان افصل بين الشريف والدون
اسمع ما لا ارى فاكره ان اخطئ والسمع غير مامون
لله عيني التي فجعت بها لو ان دهرا بها يواتيني
لو كنت خيرت ما اخذت بها تعمير نوح في ملك قارون
وقال بعض القدماء
الم تر حوشبا امسى يبني قصورا نفعها لبني بقيله
يؤمل ان يعمر عمر نوح وامر الله يطرق كل ليله
وقال ابن عباس بعد ما ذهب بصره
ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف ماثور
وقال حسان يذكر بيان ابن عباس

اذا قال لم يترك مقالا ولم يقف لعي ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى وينظر في اعطافه نظر الصقر
٤٨ وقال بعض الاعراب في الخصب والجدب
مطرنا فلما ان روينا تهادرت شقاشق فيها رايب وحليب
ورامت رجال من رجال ظلامة وعادت ذحول بيننا وذنوب
ونصت ركاب للصبي فتروحت لهن بما هاج الحبيب حبيب
ودبرفنا الحي حتى كانه وحي منهل من كرهن لجيب
بني عمنا لا تعجلوا بنضب الثرى قليلا ويشفي المترفين طبيب
فلو قد تولى النبت وامترت القرى وحنت ركاب الحي حين تؤوب
وصار غبوق الخود وهي كريمة على اهلها ذو جدتين مشوب
وصار الذي في انفه خنزوانة ينادي الى الهادي الجافي فيجيب
اولئك ايام تبين ما الفتى اكاب سكيت ام اشم نجيب
قال ولما ولي حارثة بن بدر سرق كتب اليه انس بن ابي اياس الدولي
احار بن بدر قد وليت امارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق
وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق
ولا تحقرن يا حار شيا ملكته فحظك من ملك العراقين سرق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما تهوى واما مصدق
يقولون اقوالا ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
وقال بعض الاعراب

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم دعينا الحريث وهو فيهم مضيع
وادركنا من عرف قيس حنيظة ولا خير فيمن لا يضر وينفع ٤٩
ويقال ان رجلا قال لبعض السلاطين الدنيا بما فيها حديث فان استطعت
أن تكون من أحسنها حديثا فافعل وقال حذيفة بن بدر لصاحبه
يوم جفر الهباءة حين اعطاهم بلسانه ما أعطى اياك والكلام المأثور
وانشد الأصمعي

كل يوم كأنه يوم الأضحى عند عبد العزيز او يوم فطر

وذكر لي بعض البغداذيين ان سقاء مر بباب الفضل بن يحيى
وعلى بابه جماعة من الشعراء فقال

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

قال الأصمعي قال خلف الأحمر الفارسي اذا تطرف تساكت والنبطي
اذا تطرف اكثر الكلام قال الأصمعي قال رجل لأعرابي كيف
فلان قال احمق مرزوق قال هذا الرجل الكامل قال وقال اعرابي
لرجل كيف فلان فيكم قال غبي حظي قال هذا من أهل الجنة الأصمعي
قال اخبرني جوسق قال كان يقال بالبدو اذا ظهر السواد قل البياض واذا
ظهر البياض قل السواد قال الأصمعي يعني بالسواد التمر والبياض
اللبن والأقط يقول اذا كانت السنة مخصبة كثر الأقط واللبن
وقل التمر واذا كانت السنة مجدبة كثر التمر وقل اللبن والأقط
وقال اذا كان العام خصيبا ظهر في صدقة الفطر البياض يعني
الأقط واذا كان جديبا ظهر السواد يعني التمر وتقول الفرس اذا خربت
الأودية بالماء كثر التمر واذا اشتدت الرياح كثر الحب وحدث
محمد بن سلام عن شعيب بن صخر قال جاء رجل على فرس فوقف بماء
من مياه العرب فقال تكون عندكم الريح تكب البعير قالوا لا قال فكما
تكون فتذري الفارس قالوا لا قال فتهد هذه الحجر قالوا لا قال فكما تكون
يكون مطركم وحدثني القيني قال هجمت على بطن بين جبلين
فلا ارى واديا قط اخصب منه واذا رجال يتركلون على مساحيهم
يجولون واذا وجوه مهيجة والوان فاسدة فقلت واديكم اخصب واد
وانتم لا تشبهون المخاصيب فقال شيخ منهم ليس لنا ريح وقال
٥٠ النمر بن تولب

كأن جمرة أو عزت لها شبها في العين يوم تلاقينا بأدام
ميثاء جاد عليها وابل هطل فأمرعت لاحتيال فرط أعوام
اذا يجف ثراها بلها ديم من كوكب نزل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا فأو من الأرض محفوف بأعلام
تسمع للطير في حافاتها زجلا كأن أصواتها أصوات جرام
كأن ريح خزاماها وحنوتها بالليل ريح يلنجوج وأهضام

فلم يدع نعوتا من أجله تخصب الوادي ويعتم نبته الا ذكره وصدق حديث
القيني في قوله فأو من الأرض محفوف بأعلام وقال الأسدي
في ذكر الخصب في رطوبة الأشجار ولدونة الأغصان وكثرة الماء

وكانّ ادحلنا بجوّ مخضب بلوى عنيزة من مقيل الترمس

في حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتيك قابس اهله لم يقبس

ذهب الى انه قد بلغ من رطوبة اغصانها وعيدانها انها اذا احك بعضها بعضا لم يقدح وفي شبيه بذلك يقول جرير وذهب الى كثرة الانهار والانوار

كانت لنا من غطفان جاره   حلالة ظعانة سياره ٥١

كأنها من دبل وشاره   والحلي حلي التبر والحجاره

مدفع ميثاء الى قراره   ثم قال اياك اعني فاسمعي يا جاره

وقال بشار   وحديث كانه قطع الروض فيه الصفراء والحمراء

باب من الفطن

وفهم الكنايات والرطانات في الفهم والافهام

الاصمعي قال كانت امرأة تنزل متنحية من الحي وتحب العزلة وكان لها غنم فطرقها اللصوص فقالت لامتها من ها هنا قالت ها هنا حيان والحنادش وعامر والحرث وراس عنز شارف وراعيا بهمنا فنحن ما اوليك اي فنحن اوليك فلما سمعت حسهم قالت لامتها اخرجي سلح بنيه من ها هنا قالا وسلح جمع سلاح وحيان وعامر والحنادش اسماء تيوس لها قال الاصمعي تزوج رجل امرأة فساق اليها مهرها ثلثين شاة وبعث معها رسولا له وبعث معه بزق من خمر فعمد الرسول فذبح شاة في الطريق فاكلها وشرب بعض الزق فلما اتى المرأة نظرت الى تسع وعشرين شاة ورأت الزق ناقصا

فعرفت ان الرجل لا يبعث الا بثلثين وزق مملوء فقالت للرسول قل له ان سحيما قد رثم وان رسولك جانا في المحاق فلما اتاه الرسول فاخبره قال يا عدو الله اكلت من الثلثين شاة وشربت من راس الزق فاعترف ه الاصمعي قال اخبرني شيخ من بني العنبر قال اسر بنو شيبان رجلا من بني العنبر فقال دعوني ارسل الى اهلي ليفدوني قالوا على ان لا تكلم الرسول الا بين ايدينا قال نعم فقال للرسول ائت اهلي فقل ان الشجر قد اورق وان النسا قد اشتكت ثم قال له اتعقل قال نعم قال فما هذا قال الليل قال اراك تعقل انطلق فقل لاهلي عرو جملي الاصهب واركبوا ناقتي الحمراء واسلوا حارثا عن امري وكان حارث صديقا له فذهب الرسول فاخبرهم فدعوا حارثا فقص عليهم القصة فقال اما قوله ان الشجر قد اورق فقد تسلح القوم واما قوله قد اشتكت النسا فيقول قد اتخذت الشكاء وخرزت القرب للغزو واما قوله ما هذا فقال الليل فانه يقول اتاكم جيش مثل الليل واما قوله عرو بعيري الاصهب فانه يقول ارحلوا عن الصمان واما قوله اركبوا ناقتي الحمراء فيقول انزلوا الدهنا وكان القوم قد تهيؤا لغزوهم فخافوا ان ينذرهم فانذرهم وهم لا يشعرون فجا القوم يطلبونهم فلم يجدوهم وكذلك صنع العطاردي في شان شعب حيلة وهو كرب بن صفوان وذلك انه حين لم يرجع اليهم حين سالوه بقول ورمى اليهم بصرتين في احداهما تراب وفي الاخرى شوك فقال قيس بن زهير هذا رجل ما خوذ عليه

بالحلف وهو يبذركم عددًا وشوكةً قال الله عز وجل وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم وقال ابو نخيلة

لما رايت الدين دينًا يوفك ٥٣ وامسيا القبة لا تستمسك
تفتق من اغراضها وتهتك سرت من الباب فسار الدلدك
منها الدجوجي ومنها الارمك كالليل الا انها تحرك

وقال الاخر

ليل من النقع لا نجم ولا قمر الا جبينك والمذروبة الشرع

وقال الاخر

كانهم ليل اذا ستنفروا او لجة ليس لها ساحل

وقال العجاج كانما ذهاوه لمن جهر
ليل ورد وغره اذا وغر سار سرى من قبل العين فجر

وفي هذا الباب وليس به يقول بشار

كان مثار النقع فوق رؤسهم واسيافنا ليل تهادى كواكبه

وقال كلثوم بن عمرو

تبني سنابكها من فوق ارؤسهم سقفًا كواكبه البيض المباتير

وهذا المعنى قد غلب عليه بشار كما غلب عنترة على قوله

فترى الذباب بها يغني وحده هزجًا كفعل الشارب المترنم
غردًا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

فلو ان امرا القيس عارض عنترة في هذا المعنى لافتضح ل

وقال بعضهم في غير هذا المعنى

وفلاة كانما اشتمل الليل على ركبها بابنا حام
خضتها فيها الى الخليفة بالرقة بحرى ظهيرة وظلام

وقال العرجي

سميتني خلقًا لخلة قدمت ولا جديد اذا لم يلبس الخلق
يا ايها المتحلي غير شيمته ومن خلايفه الاقصار والملق
ارجع الى خيمك المعروف ديدنه ان التخلق ياتي دونه الخلق

وقال مهلهل

اودى الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا في كل امر عظيمة لو كنت حاضر امرهم لم ينبسوا

وابيات ابي نواس على انه مولد شاطر اشعر من شعر مهلهل في اطراق
الناس في مجلس كليب وهي قوله

على خبز اسمعيل واقية البخل فقد حل في دار الامان من الاكل
وما خبزه الا كاوي يرى ابنها ولم ير اوى في الحزون وفي السهل
وما خبزه الا كعنقاء مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمر ولا تحلي
ثم قال وما خبزه الا كليب بن وايل ليالي يحمي عزه منبت البقل
واذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل
ثم قال فان خبز اسمعيل حل به الذي اصاب كليبًا لم يكن ذاك عن ذل

ولكن قضا ليس يسطاع رده بحيلة ذي مكر ولا دهي ذي عقل

والقضية التي لا أحتشم منها ولا اهاب الخصوم فيها ان عامة العرب والأعراب في البدو والحضر من ديار العرب أشعر من عامة شعرا الأمصار والقرى من المولدين والنابتة وليس ذلك بواجب لهم في جميع ما قالوه وقد رأيت ناسا يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له لب لعرف موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان هم وانا رايت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضره قرطاسا ودواة حتى كتبهما وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولولا ان ادخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا ابدا وهما قوله

لا تحسبن الموت موت البلى فانما الموت سوال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا اشد من ذاك على كل حال

وذهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي والمدني والبدوي وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الما وجودة السبك وصحة الطبع فانما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير وقيل للخليل بن أحمد ما لك لا تقول الشعر قال الذي يجيئني لا أرضاه والذي أرضاه لا يجيئني وانا استحسن هذا الكلام

كما استحسن جواب الأعرابي حين قيل له كيف تجدك قال أجدني أجد ما لا اشتهي واشتهي ما لا أجد وقيل لابن المقفع ما لك لا تجوز البيت والبيتين والثلثة قال ان جزتها عرفوا صاحبها فقال له السايل وما عليك ان تعرف بالطوال الجياد فعلم انه لم يفهم عنه لان الفرق بين المولد والأعرابي ان المولد يقول بنشاطه وجمع باله الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو فاذا امعن انحلت قوته واضطرب كلامه وفي شبيه بمعنى المهلهل وأبي نواس في التعظيم والاطراق عند السادة يقول الشاعر في بعض

بني مروان

في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

ان قال قال بما يهوى جميعهم وان تكلم يوما ساخت الكلم

وقال ابو نواس في مثل ذلك

فترى السادات ماثلة لسليل الشمس من قمره

فهم شتى ظنونهم حذر المطوي من خبره

وقال ابن هرمة في مديح المنصور وهو شبيه بهذا وليس به له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونايل فام الذي آمنت آمنة الردا وام الذي حاولت بالنكل ثاكل وقال مهلهل وهو يقع في باب الحلف وكيف يعقد

ملنا على وايل وافلتنا يوما عدي جريعة الذقن

دفعت عنه الرماح اذ شرعت حفظا لحلفي وحلف ذي يمن

اذكر من عهدنا وعهدهم عهداً وثيقاً بمنحر البدن

ما بلّ بحرٌ كفّاً بصوفتها وما اناف الهضاب من حضن

يزيده الليل والنهار معاً شدّاً اخراط الجموح في الشطن

وقال جابر بن حُنَيّ التغلبي

لسنا كأقوام قريب محلّهم ولسنا كمن ترضيهم بالتملق

فسائل شرحبيلاً بنا ومحلّنا غداة نكرّ الخيل في كل خندق

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى امّه بالموفق

فقام ابن كلثوم الى السيف مغضباً فامسك من ندمانه بالمخنق

وعمّمه عمداً على الرأس ضربةً بذي شطب صافي الحديدة مخفق

وقال المتلمس

ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وما كنت الا مثل قاطع كفّه بكفّ له اخرى فاصبح اجذما

يداه اصابت هذه حتف هذه فلم تجد الاخرى عليها مقدّما

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمّما

احارث انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دمٌ دما

قال وسألته عن قول عمر بن الخطاب لابي مريم الحنفي والله لانا اشد
بغضاً لك من الارض للدم قال لان الدم الجاري من بين كل شيء جامد
لا يغوص في الارض ومتى جف وتحلّت فقرفته رأيت مكانه ابيض
الا ان صاحب المنطق قال في كتاب الحيوان كذلك الدم الا دم البعير وقال

النمر بن تولب

اذا كنت في سعد وامك منهم غريباً فلا يغررك امك من سعد

فان ابن اخت القوم مصغى اناؤه اذا لم يزاحم خاله باب جلد

وقال البعيث

تخيّره ربّ العباد لدينه على علمه والله بالعبد اعرف

وقال ايضاً

وما ترك الهاجون لي في اديمكم مصحّاً ولكنّي ارى متَرقّعا

وقال العكلي لنوح بن جرير

اتسبني فاداك مثلي سبّةً واسب جدكم بسبّ ابينا

ولقد ارى والمقتضى متجوز يا نوح ان اباك لا يوفينا

وقال عمرو بن معدي كرب

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وصِلْه بالزماع فكل امرٍ سما لك او سموت له ولوع

وقال المقنع الكندي

وصاحب السوء كالداء العضال اذا ما ارفضّ في الجلد يجري ها هنا وهنا

يجري ويخبر عن عورات صاحبه وما يرى عنده من صالح دفنا

كمهر سوء اذا رفّعت سيرته رام الجماح وان خفضته حرنا

ان يحي ذاك فكن منه بمعزلة وان يمت ذاك لا تشهد له جننا

بسم الله الرحمن الرحيم

خصال الحرم

فمن خصاله ان الذيب يصيد الظبى ويريغه ويعارضه فاذا دخل الحرم كف عنه   ومن خصاله انه لا يسقط على الكعبة حمام الا وهو عليل يعرف ذلك متى امتحن وتعرفت حاله ولا يسقط عليها ما دام صحيحا ومن خصاله انه اذا حاذى اعلى الكعبة عرقة من طير كاليمام وغيره انفرقت فرقتين ولم يعلها طاير منها   ومن خصاله انه اذا اصاب المطر الباب الذى من شق العراق كان الخصب فى تلك السنة بالعراق واذا اصاب شق الشام كان الخصب والمطر فى تلك السنة فى شق الشام فاذا عم جوانب البيت كان المطر والخصب عاما فى البلدان ه   ومن خصال الحرم ان حصا الجمار ترمى فى ذلك المرمى منذ حج الناس البيت على طول الدهر ثم كانه على مقدار واحد ولولا موضع الاية والعلامة والاعجوبة التى فيها لقد كان ذلك كالجبال هذا من غير ان تكسحه السيول ويأخذ منه الناس ومن سنتهم ان كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك على من علاها ولا يجمعون بين عز علوها وذلة الملك وبمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوا الكعبة قط   وكانوا فى الجاهلية لا يبنون بيتا مربعا تعظيما للكعبة والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة ومنه كعبة نجران وكان اول من بنى بمكة بيتا مربعا حميد بن زهير احد بنى اسد بن عبد العزى   ثم البركة والشفا الذى يجده من شرب ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يقيم عليه فيجد فيه الشفا بعد ان لا يدع فى

الارض حجة الا اتاها واقام عندها وشرب منها واستنقع فيها مع شان الفيل والطير الابابيل والحجارة السجيل وانها لم تزل امنا ولقاحا لا تؤدى اتاوة ولا تدين للملوك ولذلك سمى البيت العتيق لانه لم يزل حرا لا يملك وقال حرب بن امية

ابا مطر هلم الى الصلاح   فيكفيك الندامى من قريش
فتامن وسطهم وتعيش فيهم   ابا مطر هديت بخير عيش
وتنزل بلدة عزت لقاحا   وتامن ان يزورك رب جيش

وقال الله عز وجل واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقال عز وجل ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افيدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون والمدينة هى طيبة ولطيبها قيل تلفظ خبثها وينصع طيبها وفى ريح ثراها وشم تربتها وعرف ترابها ونسيم هوايها والنغمة التى توجد فى سككها وحيطانها دليل على انها جعلت اية حين جعلت حرما وكل من خرج من منزل مطيب الى استنشاق ريح الهوا والتربة فى كل بلدة فانه لا بد عند الاستنشاق والتثبت من ان يجدها منتنة وذلك على طبقات من شان البلدان الا ما كان من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال وللصياح والعطر والبخور والتضرج من الرايحة الطيبة اذا كان فيها اضعاف ما يوجد فى غيرها

من البلدان وان كان الصياح أجود العطر افخر والبخور اثمن ودبت
بلدة يستحيل فيها العطر ويفسد فيها الطيب وتذهب رايحته كقصبة
الاهواز وقد كان الرشيد هم بالمقام بانطاكية وكره اهلها
ذلك فقال له شيخ منهم وصدقه يا امير المومنين ليست ولا بلاد
مثلك لان الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع منه بكبير شي
والسلاح يصدأ فيها ولو كان من قلعة الهند ومن طبع اليمن ومطرها
دائما دام شهرين ليس فيها سكون يوم فلم يقم بها ثم ذكر المدينة فقال وان
الجورية السودا التجعل في راسها شيا من بلح وشيا من نضوح مما لاقيمة له
لهوانه على اهله فتجد لذلك خمرة وطيب رايحة لا يعدلها بيت عروس
من ذوي الاقدار حتى ان النوى المنقع الذي يكون عندا اهل العراق
في نهاية النتن اذا طال انقاعه يكون عندهم في غاية الطيب والحمد لله

٦١

القول في الحمام

قال صاحب الحمام الحمام وحشي واهلي وبيوتي وطورانى وكل طاير
يعرف بالزواج وحسن الصوت والهديل والدعا والترجيع فهو حمام
وان خالف بعضه بعضا في بعض الصورة واللون وفي بعض القد
ولحن الهديل وكذلك تختلف اجناس الدجاج ولا يخرجها ذلك من ان تكون
دجاجا كالديك الهندي والخلاسي والنبطي وكالدجاج السندي والزنجي
وغير ذلك وكذلك الابل كالعراب والبخت والفوالج والبهونيات
والصرصرانيات والحوش وغير ذلك من الابل ولا يخرجها ذلك من

٦٢

ان تكون ابلا وما ذلك الا كمخالفة الجرذان والفار والنمل والذر وكاختلاف
الضان والمعز واجناس البقر الاهلية والوحشية وكقرابة ما بينها
وبين الجواميس وقد تختلف الحيات والعقارب بضروب الاختلاف ولا يخرجها
ذلك من ان تكون عقارب وحيات وكذلك الكلاب والغربان وحسبك
بتفاوت ما بين الناس كالزنج والصقالبة في الشعور والالوان وكياجوج
وماجوج وعاد وثمود والكنعانيين والعمالقة وقد يخالف الماعزة
الضانية حتى لا يقع بينهما تسافد ولا تلاقح وهي في ذلك غنم وشا
قال والقمري حمام والفاختة حمام والورشان حمام والشفنين حمام
وكذلك اليمام واليعقوب وضروب اخر كلها حمام ومفاخرها التي
فيها ترجع الى الحمام التي لا تعرف الا بهذا الاسم قال وقد زعم افليمون
صاحب الفراسة ان الحمام تتخذ لضروب منها ما تتخذ للانس
وللنسا والبيوت ومنها ما تتخذ للطيران والتلهي بذلك ومنها ما تتخذ
للفراخ ومنها ما تتخذ للزجال والسباق ومن مناقب الحمام حبه
للناس وانس الناس به وانك لم تر حيوانا قط اعدل موضعا ولا
اقصد مرتبة من الحمام لان اسفل الناس يكون دون ان تتخذها
وارفع الناس لا يكون فوق ان تتخذها وهو شي تتخذه ما بين
الحجام الى الملك الهمام والحمام مع عموم شهوة الناس له ليس شي
مما تتخذونه هم اشد شغفا به ولا اشد صبابة منهم بالحمام ثم تجد
ذلك في الخصيان كما تجده في الفحول وتجده في الصبيان كما تجده في الرجال

زجل الحمام ... بالرأي المجوز ... القاهر ... على بعد ... والزجل ... الحكى

وتجده في الشبان كما تجده في الشيوخ وتجده في النسا كما تجده في الرجال والحمام
من الطير الميامين وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم وقضيب
كالكلب والحمار وما اشبه ذلك فيكون حاجب على الرجال دوهم وقال
مثنى بن زهير ومن العجب ان الحمام ملقى والسكران موقى فانشده
ابن بشير قول الخزيمي

واعددته ذخرا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخاير مولع ٦٧

ومتى راى انسان عطشان الديك والدجاجة يشربان الما وراى
كلبا وذيبا يلطعان الما لطعا ذهب عطشه من قبح حسو الديك
نغبة نغبة ومن لطع الكلب وانه ليرى الحمام وهو يشرب الما وهو ريان
فيشتهي ان يكرع في الما معه والديك والكلب في السفاد وفي طلب الذرء
كما قال ابو الاخزر الحماني فانه يقول لا مبتغي الضرء ولا بالعازل
والحمام اكثر معانيه طلب الذرء فاذا علم الذكر انه قد اودع رحم الانثى
ما يكون منه الولد تقدما في نقل القصب وشقق الخوص واشباه ذلك من
العيدان الخوارة الرقاق حتى يعملا افحوصة وينسجاها نسجا مداخلا
وفي الموضع الذي قد رضيناه واتخذاه واصطنعاه بقدر جثمان الحمامة ثم
اشخصا لتلك الافحوصة حروفا غير مرتفعة لتحوط البيض وتمنعه من
التدحرج ولتلتزم كنفي الجوجو ويكون رفدا لصاحب الحضن وسندا
للبيض ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرموص وتلك الافحوصة
يسخنانها ويدفيانها ويطيبانها وينفيان عنها طباعها الاول ويحدثان لها

طبيعة اخرى مشتقة من طبايعهما ومستخرجة من رايحة ابدانهما وقواهما
الفاصلة منهما لكي تقع البيضة اذا وقعت في موضع اشبه المواضع
طباعا بارحام الحمام مع الحصانة والوثارة كي لا تنكسر البيضة ينبس ٦٩
الموضع وكي لا ينكر طباعها طباع المكان وليكون على مقدار من البرد والسخونة
والرخاوة والصلابة ثم ان ضربها المخاض وطرقت ببيضتها بادرت الى
الموضع الذي قد اعتدته وتحاملت الى المكان الذي قد اتخذته وصنعته
الا ان يفزعها رعد قاصف فانها ربما رمت بها دون موضعها الذي اختارته
والرعد ربما مرق عنه وفسد ما فيه كالمراة التي تسقط من الفزع فاذا
وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن حتى اذا بلغ ما في
البيت مداه وانتهت ايامه انصدع القيض عن الفرخ واعاناه على
ذلك ويعلمان عند ذلك ان الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما للغذا فلا
يكون لهما هم عند ذلك الا ان ينفخا في حلقه الريح لتتسع الحوصلة بعد التحامها
وتنفتق بعد ارتتاقها ثم يعلمان ان الفرخ وان اتسعت حوصلته شيا انه

لا يحتمل في اول اغتذايه ان يزق بالطعم فيزق عند ذلك باللعاب المختلط
بقواهما وقوى الطعم وهم يسمون ذلك اللعاب اللبا ثم يعلمان ان طبع
حوصلته يرق عن استمرا الغذا وان الحوصلة تحتاج الى دبغ وتقوية
وتحتاج الى ان يكون لها بعض المتانة فياكلان من سورج اصول الحيطان
وهو شي بين الملح الخالص وبين التراب الملح فيزقانه به حتى اذا علما انه
قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي قد غب في حواصلهما ثم زقاه بعد ذلك

الحب الذي هو أطرا وأقوى فلا يزالان يزقانه بالحب والماء على قدر قوته وهو
يطلب ذلك منهما حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج
إلى اللقط فيتعوده حتى إذا علما أن أداته قد تمت وأن أسبابه قد اجتمعت
وأنهما إن فطماه فطما مقطوعا منبتا قوي على اللقط وبلغ لنفسه منتهى
حاجته ضرباه إذا سألهما الكفاية ونفياه متى رجع إليهما ثم تنزع عنهما
تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك العطف المتمكن ويذهلان عن تلك
الأثرة له والكد عليه ثم يبتديان العمل ابتدا على ذلك النظام وعلى تلك
المقدمات وما أعجب حالات الطعم الذي يصير في أجواف الحيوان وكيف
يتصرف به الحالات في أجناسه في الوجوه فمنه ما يكون مثل زق الحمام
لفرخه والزق في معنى القيء أو القلس وليس بهما وجرة البعير والشاة
والبقرة في معنى ذلك وليس به والبعير يريد أن يعود في طحنه الأول واستقصاء
طعمه وربما كانت الجرة رجيعا والرجيع أن يعود على ما قد أعاد عليه
مرة حتى ينتزعه من جوفه ويقلبه عن جهته والحمام يخرجه من حوصلته
ومن مستكنه وقراره وموضع حاجته واستمرائه بالأثرة والبر إلى
حوصلة ولده قد ملك ذلك وطابت نفسه به ولم تقذر من صنيعه ولم
تخبث ولم تتغير شهوته ولعل لذته في إخراجه تكون كلذته في إدخاله
وإنما اللذة في مثل هذا بالمجاري كنحو ما يعتري مجرى النطفة فهذا شأن قلب
الحمام في جوفه وإخراجه بعد إدخاله والتمساح يخرجه على أنه رجعه
ونجوه الذي لا مخرج له ولا فتح له في سواه وقد يعتري ذلك الإنسان

بما يعرض من الداء فلا يعرض إلا الأكل والقيء ولا يعرف النجو إلا في الحين على بعض
الشدة وليس ما عرض بسبب آفة كالذي يجري على الأصل تركيب الطبيعة
والسنور والكلب على خلاف ذلك كله لأنهما يخرجانه بعارض يعرض لهما من
خبث النفس والفساد ومن التثوير والانتقاض ثم يعودان مع ذلك فيه
من ساعتهما مشتهيين له حريصين عليه والإنسان إن دعه ذلك لم يكن
شيء أبغض إليه منه وربما استقا وتكلف ذلك لبعض الأمر وليس التكلف
في هذا الباب إلا له وذوات الكروش كلها تقصع بالجرة فإذا أجادت مضغه
أعادته والجرة هي الفرث وأشد من ذلك أن تكون رجيعا فتجيد مضغها
وإعادتها إلى أماكنها إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهها وليس عند الحافر من
ذلك قليل ولا كثير بوجه من الوجوه وقد يعتري سباع الطير شبيه بالقيء
وهو الذي يسمونه الزمج وبعض السمك يقيء قيئا ذريعا كالبال فإنه ربما دسع
الدسعة فتلقى بعض المراكب فيلقون من ذلك شدة والناقة الضجور
ربما دسعت بجرتها في وجه الذي يرحلها أو يعالجها فيلقى من ذلك أشد الأذى
ومعلوم أنها تفعل ذلك على عمد فلذوات الأقدام في ذلك مذهب ولذوات
الكروش من الظلف والخف في ذلك مذهب ولذوات الأنياب في ذلك مذهب
وللسمك والتمساح الذي يشبه السمك في ذلك مذهب ويزعمون أن جوف
التمساح هو الامعاليق فيه وأنه في صورة الجراب مفتوح الفم مسدود الدبر
ولم أحق ذلك وما أكثر من يعرف الحال فيه ثم رجع بنا القول في الحمام بعد
أن استغنى ولده عنه وبعد أن نزعت الرحمة منه وذلك أنه يبتدئ الذكر

الدعاء والطرد وتبتدئ الانثى بالتأتي والاستدعاء ثم تزيف وتتشكل ثم تمكن
وتمنع وتجيب وتصدف بوجهها ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما
من التغزل والتفتل ومن السوف في القبل ومن المص والرشف ومن التنفخ
والتنفج ومن الخيلاء والكبرياء ومن اعطاء التقبيل حقه ومن ادخال الفم في جوف
الفم وذلك من التطاعم وهي المطاعمة وقال الشاعر

لم اعطها بيدي اذ بت ارشفها الا تطاول غصن الجيد بالجيد ٦٧
كما تطاعم في خضراء ناعمة مطوقان أصاخا بعد تغريد

هذا مع ارسالها جناحيها وكفها على الارض وهو مع تدرعها وتشعلها
ومع تصاوله وتطاوله ومع تنفجه وتنفخه مع ما يعتريه من الحكة والتفلي
والتقشش حتى تراه وقد مشى فيه بمثله ثم الذي ترى من كسحه بذنبه وارتفاعه
بصدره ومن ضربه بجناحيه ومن فحصه ومرحه بعد قمطه والفراغ من
شهوته ثم يعتريه ذلك في الوقت الذي يفتر فيه انكح الناس وتلك الخصلة
يفوق بها جميع الحيوان لان الانسان الذي هو اكثر الخلق في قوة الشهوة
وفي دوامها في جميع السنة واكثر الناس في التصنع والتغزل والتشكل
والتفتل افتر ما يكون اذا فرغ وعندها يركبه الفتور ويحب فراق الزوج
الى أن يعود نشاطه وترجع اليه قوته والحمام انشط ما يكون وأمرح
وأقوى واجذل ابرد ما يكون الانسان وافتر هذا وفي الانسان ضروب
من القوى احدها فضل الشهوة والاخرى دوام الشهوة في جميع الدهر
والاخر قوة التصنع والتكلف وأنت اذا جمعت خصاله كلها كانت

دون قوة الحمام عند فراغه من حاجته وهذه فضيلة لا تنكر ومزية
لا تجحد ويقال ان الناس لم يجدوا مثل نشاط الحمام في وقت فترة الانسان
الا ما وجدوه في البغال فان البغال تحمل اثقالها عشية فتسير بقية
يومها وسواد ليلتها وصدر نهار غدها حتى اذا حطوا عن جميع اصناف
الدواب اثقالها لم يكن لشيء منها همة ولا لمن ركبها من الناس الا المراغة
والماء والعلف الا البغال فانها في وقت اعياء جميع الدواب وشدة كلالها
وشغلها بانفسها مما مر بها ليس لها عمل الا أن تدلي ايورها وتشظ وتضرب
بها اليس لها بطونها وتحطها وترفعها وفي ذلك الوقت لو رأى المكاري امرأة
حسناء لما انتشر ولما هم بها ولو كان منعظا ثم اعتراه بعض ذلك الاعياء
لنسي النعظ وهذه خصلة تخالف فيها البغال جميع الحيوان وتزعم العوام
انها تلتمس بذلك الراحة وتتداوى به فليس العجب ان كان ذلك حقا الا في امكان
ذلك لها في ذلك الوقت وذلك لا يكون الا عن شهوة وشبه آخر وشكل من هذا
وذلك لا يكون الاحمق كالذي يوجد عند الاتراك عند بلوغ المنزل وسير الليل
كله وبعض النهار فان الناس في ذلك الوقت ليس لهم هم الا ان يتمددوا ويقودوا
دوابهم والتركي في ذلك الوقت اذا عاين ظبيا او بعض الصيد ابتدأ الركض
بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير وذلك وقت تهمم الخارجي والخصي انفسهما
فانهما المذكوران بالصبر على ظهر الدابة وليس في الارض بهيمة تفطم
ولدها من اللبن دفعة واحدة بل تجد الظبية والبقرة والاتان أو الناقة
اذا ظنت ان ولدها قد اطاق الاكل منعته بعض المنع ولا تزال المنع

وترتيبه وتدرجه حتى اذا علمت ان به غنى عنها اذ هي فطمته فطاما
لا رجعة فيه منعته كل المنع والعرب تسمى هذا التدبير من البهايم
التعفير ولذلك قال لبيد

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها

وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكون عمل الحمام في فراخه ومن عجيب
امر الحمام انه ايام يقلب بيضه حتى يصير الذي كان منه يلي الارض
يلي بدن الحمام من بطنه وباطن جناحه حتى يعطي جميع البيضة
نصيبها من الحضن ومن مس الارض لعلمه ان خلاف ذلك العمل يفسده
وخصلة اخرى محمودة في الحمام وذلك ان البغل المتولد من بين الحمار
والرمكة لا يبقى له نسل والراعبي المتولد فيما بين الحمام والورشان
يكثر نسله ويطول عمر ولده والبخت ان ضرب بعضها في بعض خرج الولد
منقوص الخلق لا خير فيه والحمام كيف ما اردته وكيف ما زاوجت
بين متفقها ومختلفها يكون الولد تام الخلق مامول الخير فمن نتاج
الحمام اذا كان مركبا مشتركا الراعبي والوردانى وعلى ان الوردانى غرابة
لون وظرافة قد وللراعبي فضيلة في عظم البدن والفراخ وله من
الهدير والقرقرة ما ليس لابويه حتى صار ذلك سببا للزيادة في ثمنه
وعلة في الحرص على اتخاذه والغنم على قسمين ضان ومعز والبقر
على قسمين احدهما الجواميس الا ما كان من بقر الوحش والظلف اذا
اختلف لم يكن بينهما تسافد ولا تلاقح فهذه فضيلة الحمام في جهة

الانسال والالقاح واتساع الارحام لاصناف القبول وعلى ان بين ساير اصناف
الحمام من الوراشين والقماري والفواخت تسافدا وتلاقحا ومما اشبه فيه
الحمام الناس ان ساعات الحضن على البيض اكثرها على الانثى وانما يحضن
الذكر في صدر النهار يسيرا كالمراة التي تكفل الصبي فتقمطه وتمرخه وتعهده
بالتمهيد والتحريك حتى اذا ذهب الحضن وانصرم وقته وصار البيض فراخا
وصار في البيت العيال وما يحتاجون اليه من الطعام والشراب صار
اكثر ساعات الزق على الذكر كما كان اكثر ساعات الحضن على الانثى
ومما يشبه فيه الحمام الناس قال مثنى بن زهير وهو امام الناس في
البصر بالحمام وكان جيد الفراسة حاذقا بالعلاج عارفا بتدبير
الخارجي اذا ظهرت فيه مخيلة الخير واسم الخارجي عندهم المجهول
وعارفا بتدبير العريق المنسوب اذا ظهرت فيه علامة الفسولة
وسوء الهداية وقد يكون ان يخلف ابن قرشيين ويفتدب ابن خوزى
من نبطية وانما فضلنا نتاج العلية على نتاج السفلة لان النجابة
فيهم اكثر والسقوط في اولاد السفلة اعم فليس بواجب ان تكون
السفلة لا تلد الا السفلة والعلية لا تلد الا العلية وقد يلد المجنون
العاقل والسخي البخيل والجميل القبيح وقد زعم الاصمعي ان رجلا من
العرب قال لصاحب له اذا تزوجت امراة فانظر الى اخوالها واعمامها
واخوتها فانها لا تخطئك بواحد منهم فان كان هذا الموصي والمعلم اذ ذلك
حكما علينا فقد اسرف في القول وان كان انما ذهب الى التخويف والترهيب

قمط المرأة ولده
وتقمطه الرضيع
صح

كى يختار لنفسه ولان المتخير اكثر نجابة فقد أحسن قال المثنى بن زهير
لم أر شيئا قط فى رجل وامرأة الا وقد رأيت مثله فى الذكر والانثى من الحمام
رأيت حمامة لا تريد الا ذكرها كالمراة التى لا تريد الا زوجها او سيدها
ورأيت حمامة لا تمنع شيا من الذكور ورأيت امراة لا تمنع يد لامس
ورأيت حمامة لا تزيف الا بعد طرد شديد وشدة طلب ورأيتها
تزيف لاول ذكر يريدها ساعة يقصد ورأيت حمامة لها زوج وهى
تمكن ذكرا اخر ما تعدوه ورأيت مثل ذلك فى النسا ورأيتها تزيف لغير
ذكرها وذكرها يراها ورأيتها لا تفعل ذلك الا وذكرها يطير او يحضن
ورأيت حمامة تقمط الحمام الذكر ورأيت حمامة وتقمط للحمامة ورأيت
الحمام الذكر يقمط الحمام الذكر ورأيت انثى لى كانت لا تقمط الا الاناث
قال ورأيت ذكرا يقمط الذكورة وتقمطه ورأيت ذكرا يقمطها ولا يدعها
تقمطه ورأيت انثى تزيف للذكورة ولا تدع شيا منها يقمطها ورأيت
هذه الاصناف كلها فى السحاقات من المذكرات والموءنثات وفى الرجال
الحلقيين واللوطيين ومن الرجال من لا يريد الا النسا ومن النسا
من لا يريد الا الرجال قال وامتنعت على خصلة فوالله لقد رأيتها
لانى كما رأيت من النسا من تزنى ابدا وتساحق ابدا ولا تتزوج ومن
الرجال من يلوط ابدا ويزنى ابدا ولا يتزوج فرأيت حماما ذكرا
يقمط ما لقى ولا يزاوج ورأيت حمامة تمكن كل حمام أرادها من ذكر
وانثى وتقمط الذكورة والاناث ولا تزاوج ورأيتها تزاوج ولا تبيض

قال ورأيت انثى تقمطها الاناث ولا تدع انثى تقمطها ه

وتبيض فتفسد بيضها كالمرأة تتزوج وهى عاقر وكالمراة تلد وتكون
خرقا ورها او يعرض لها العقوق والغلظة على الاولاد كما يعترى ذلك
العقاب واما انا فقد رأيت الجفاء بالاولاد شايعا فى اللواتى حملن من
الحرام ولربما ولدت من زوجها فيكون عطفها وتحننها كتحنى العفيفات
الستيرات فما هى الا ان تزنى او تحب فكان الله لم يضرب بينها وبين
ذلك الولد بشبكة رحم وكانها لم تلده وقال مثنى ورأيت ذكرا له
انثيان باضتا منه فهو يحضن مع هذه ومع تلك ويزق مع هذه ومع
تلك ورأيت انثى تبيض بيضة ورأيت انثى فى اكثر حالاتها تبيض ثلث
بيضات وزعم انه انما جزم بذلك فيها ولم يظنه بالذكر لانها قد كانت
قبل ذلك عند ذكر آخر فكذلك كانت تبيض ورأيت انا حمامة فى المنزل
لم يعرض لها ذكر الا اشتدت نحوه بجدة وترق وتسرع حتى ينقر
اين صادفت منه حتى يصدن عنها كالهادب منها وكان زوجها جميلا
فى العين رايعا وكان لهما فى المنزل بنون وبنو بنين وبنات وبنات
بنات وكان فى العين كانه أشب من جميعهن ولقد بلغ من حظوته الى قل
ما رأيته اراد واحدة من عرض تلك الاناث فامتنعت عليه وقد كن
يمتنعن من غيره فبينا انا يوما جالس بحيث اراهن اذ رأيت تلك الانثى
وقد زافت لبعض بنيها فقلت لخادم لى ما الذى غير ها عن ذلك الخلق الكريم
قال انى خليت زوجها من القاطول فذهب وهذا منذ شهر قلت فهذا عذر
وقال مثنى وقد رأيت الحمامة تزاوج هذا الحمام ثم تتحول عنه الى آخر

ورأيت ذكرا فعل ذلك في الإناث ورأيت الذكر كثير النسل قويا على القمط ثم يضعف
الرجل إذا أكثر من الجماع ثم عدد مثنى بن زهير أبوابا غير ما حفظت
مما يصاب مثله في الناس وزعموا أن مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف
فيظن أنه يجي من الغاية فلا يكاد ظنه يخطي وكان إذا ظهر ابتياع
حمام أغلوه عليه وقالوا لم يطلبه إلا وقد رأى فيه علامة المجي من
الغاية فكان يدس في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه فربما اشترى نصفه
أو ثلثه فلا يقصر عند الرجال من الغاية وكان له خصي يجري مجراه
فكانا إذا تناظرا في شان طاير لم تخلف فراستهما قال والحمام تبيض
عشرة أشهر من السنة فإن صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفاية
وأحسنوا تعهده باض في جميع السنة قال والدجاجة تبيض كل السنة
ما خلا شهرين ومن الدجاج عظيم الجثة تبيض بيضا كثيرا وقل ما تحضن
ومن الدجاج ما تبيض ستين بيضة وأكثر الدجاج العظيم الجثة يبيض
أكثر من الصغير الجثة قال فأما الدجاج الذي ينسب إلى أدريانوس
الملك فهو طويل البدن وتبيض في كل يوم وهي صعبة الخلق وتقتل
فراريجها ومن الدجاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم
ومن الدجاج ما إذا باض بيضا كثيرا أمات نفسها لذلك العرض قال
والخطاف تبيض مرة في السنة وتبني بيتها في أوثق مكان وأعلاه فأما
الحمام والفواخت والأطرغلة والحمام البري فإنها تبيض مرتين
في السنة والحمام الأهلي يبيض عشر مرات وأما القبج والدراج فهما

يبيضان بين العشب ولا سيما فيما طال شيا والتوى قال وإذا باض الطير
بيضا لم يخرج البيضة من جهة التحديد والتلطيف بل يكون الذي
بدأ بالخروج الجانب الأعظم وكان الظن يسرع إلى أن الراس المحدد
هو الذي يخرج أولا قال وما كان من البيض مستطيلا محدد الأطراف
فهو للإناث وما كان مستديرا عريض الأطراف فهو للذكورة قال
والبيضة عند خروجها لينة القشر غير جاسية ولا يابسة قال
والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف وهو في
الطيب دون الآخر ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام
والطاووس والأوز قال وحضن الطير وجثومه على البيضة صلاح
لبدن الطاير كما يكون صلاحا لبدن البيض وكذلك الحضن على الفراخ
والفراريج والأفراخ ربما هلك الطاير عن ذلك السبب قال وزعم ناس
أن بيض الريح إنما كان عن سفاد متقادم وذلك خطا من وجهين أما
أحدهما فإن ذلك قد عرف من فراريج لم يرين ديكا قط والوجه الآخر
أن بيض الريح لم يكن منه فرخ قط إلا أن يسفد الدجاجة ديك بعد
أن يتم أيضا خلق البيض قال وبيض الصيف المحضون أسرع خروجا
منه في الشتا ولذلك تحضن الدجاجة في الصيف ثماني عشرة ليلة قال
وربما عرض غيم في الهوا ورعد في وقت حضن الطاير فيفسد البيض
وعلى حال ففساده في الصيف أكثر والموت فيه في ذلك الزمان أعم
وأكثر ما يكون فساد البيض في الجنايب وكان ابن الجهم لا يطلب

من نسايه ولداً الا والريح شمال وهذا عندي تعرض للبلاء وتحكك بالشر
واستدعا للعقوبة قال وبعضهم يسمي بيض الريح البيض الجنوبي لان اصناف
الطير يقبل الريح في اجوافها وربما افرخ بيض الريح بسفاد كان ولكن
يكون لونه متغيراً وان سفد الانثى طاير من غير شكلها غير خلق ذلك
المخلوق الذي كان من الذكر المتقدم وهو في الديكة اعم ويقولون ان البيض
يكون من اربعة اشيا فمنه ما يكون من التراب ومنه ما يكون من
السفاد ومنه ما يكون من نسيم ريح اذا وصل الى ارحامها في بعض
الزمان ومنه شي يعتري الحجل وما شاكله في الطبيعة فان الانثى
ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان
فتحشي من ذلك بيضاً ولم ارهم يشكون ان النخلة المطعمة تكون
بقرب الفحال وتحت ريحه فتلقح بتلك الرايحة وتكتفي بذلك وبيض
ابكار الطير اصغر وكذلك اولاد النسا الى ان تتسع الارحام
وتنتفخ الجنوب ويكون هديل الحمام الفتي ضئيلاً فاذا زق
مراراً فتق الزق جلد غببه وحوصلته فخرج الصوت اغلظ
واجهر وهم لا يثقون بحيوة البكر من الناس كما يثقون بحيوة انثى
ويرون ان طبيعة الشباب والابتدا لا يعطيانه شيا الا اخذه
تضايق مكانه من الرحم ويحبون ان تبكر بجارية واظن ذلك انما كان
لشدة خوفهم على الذكر وفي الجملة انهم لا يتيمنون بالبكر الذكر
فان كان البكر ابن بكرين تشاموا به فان كان ابن بكرين فانه في

الشوم مثل قيس بن زهير ومثل البسوس فان قيساً كان ازرق وبكراً
ابن بكرين ولا احفظ شان البسوس حفظاً اجزم عليه قال واما
الحمام فانه اذا تمط تنفش وتكبر ونفض ذنبه وضرب بجناحيه
واما الاوز فانه اذا سفد اكثر من السباحة في الما واعتراه في
الما من المرح مثل ما يعتري الحمام في الهواء قال وبيض الدجاج يتم خلقه
في عشرة ايام واكثر شيا واما بيض الحمام ففي اقل من ذلك والحمامة ربما
احتبس البيض في جوفها بعد الوقت لامور تعرض لها اما الامر عرض
لعشها وافحوصها واما النتف ريشها واما الوجع من اوجاعها
واما الصوت رعد فان الرعد اذا اشتد لم يبق طاير على الارض
واقعاً الا عدا من الفزع وان يطير رمى بنفسه الى الارض وقال
علقمة بن عبدة

رغا فيهم سقب السما فداحض بشكته لم يستلب وسليب
كانهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب

وليس التقبيل الا للحمام والانسان ولا يدع ذلك ذكر الحمام الا بعد الهرم
وكان في الظن ان احوج ما كان الى ذلك التهييج به عند الكبر والضعف
وتزعم العوام ان تسافد الغربان هو تطاعمها بالمناقير وان القاحها
انما يكون من ذلك الوجه ولم ار العلما يعرفون هذا قال واناث
الحمام اذا تسافدن ايضاً قبل بعضهن بعضاً وتزعم انها تبيض
عن ذلك ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ وانه في سبيل بيض الريح

قال ويتبين خلق الفراخ اذا مضت ثلثة ايام بلياليها وذلك فى
شباب الدجاج فاما فى المسان منها ففى اكثر وفى ذلك الوقت توجد
الصفرة من الناحية العليا من البيضة عند الطرف المحدد
وحيث يكون اول نقرها فالقلب يستبين فى بياض البيضة مثل
نقطة من دم وهى تختلج وتتحرك والفرخ انما يخلق من البياض
ويغتذى الصفرة ويتم خلقه لعشرة ايام والرأس يكون وحده اكبر من
ساير جسده قال ومن الدجاج ما يبيض بيضا له صفرتان فى بعض
الاحايين خبرنى بذلك كم شيئ من ثقات اصحابنا وقال
صاحب المنطق وقد باضت دجاجة فيما مضى ثمانى عشرة بيضة لكل
بيضة مختان ثم حضنت وسخنت فخرج من كل بيضة فروجان ما خلا
الذى كان فاسدا من الاصل وقد تخرج من البيضة فرخان ويكون احدهما
اعظم جثة وكذلك الحمام وما اقل ما يغادر الحمام ان يكون احد الفرخين
ذكرا والاخر انثى قال وربما باضت الحمامة واشباهها من الفواخت
ثلث بيضات فاما الاطرغلات والفواخت فانها تبيض بيضتين
وربما باضت ثلث بيضات ولكن لا تخرج منها اكثر من فرخين وربما
كان واحدا فقط قال وبعض الطير لا يبيض الا بعد مرور الحول كله
والحمامة فى اكثر امرها يكون احد فرخيها ذكرا والاخر انثى وهى تبيض
اولا البيضة التى فيها الذكر ثم تقيم يوما وليلة ثم تبيض الاخرى
وتحضن ما بين السبعة عشر يوما الى العشرين يوما على قدر اختلاف

طباع الزمان والذى يعرض لها من العلل والحمامة ابر بالبيض والحمام
ابر بالفراخ قال واما جميع اجناس الطير مما ياكل اللحم فلم يظهر لنا
انه يبيض ويفرخ اكثر من مرة واحدة ما خلا الخطاف فانه يبيض
مرتين والعقاب تبيض ثلث بيضات فتخرج لها فرخان ثم اختلفوا
فقال بعضهم لانها لا تحضن الا بيضتين وقال بعضهم قد يخرج لها
ثلثة ولكنها ترمى بواحد استثقالا للتكسب على ثلثة وقال اخرون
ليس ذلك لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعترى النفسا من
الضعف والوهن وقال اخرون العقاب طاير سيى الخلق ردى التربية
وليس يقوى شئ من الحيوان على تربية الاولاد الا بالصبر وقال
اخرون لا ولكنها شديدة النهم والشره واذا لم تكن ام الفراخ ذات
اثرة لها ضاعت وكذلك قالوا فى العقعق عند اضاعتها لفراخها حتى
قالوا احمق من عقعق كما قالوا احذر من عقعق قالوا فاما الفرخ الذى يخرجه
العقاب فان الكلفة وهى الطاير التى يقال لها قينا تقبله وتربيه
والعقاب تحضن ثلثين يوما وكذلك كل طاير عظيم الجثة مثل الاوز
واشباه ذلك فاما الوسط فهو يحضن عشرين يوما مثل الحداة واصناف
البزاة والحداة تبيض بيضتين وربما باضت ثلث بيضات وخرجت
منهن ثلثة افرخ قال واما العقبان السود الالوان فهى تبيض
وتحضن وجميع الطير المعقف المخاليب تطرد فراخها عن اعشاشها
عند قوتها على الطيران وكذلك ساير اصناف الطير فانها تطرد الفراخ

ثم لا تقر فيها ما خلا الغداف فانها لا تزال لولدها قابلة وكالئة متفقدة
وزعم غيره ان العقبان والبزاة التامة والجهارداناك والنيمتات
والزرافة انها كلها عقبان فاما الشواهين والصقور واليوايى
فانها اجناس اخر قال وقالوا فراخ البزاة سمينة طيبة جدا قال
فاما الاوزة فهي التي تحضن دون الذكر واما الغربان فعلى الاناث الحضن
والذكورة تاتي الاناث بالطعم واما الحجل فان الزوج منها يهيئان للبيض
عشين ويتقين مقسومين عليهما فتحضن احدهما الذكر والاخر الانثى
وكذلك هما في التربية وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة
ولا تلقح الانثى بالبيض ولا تلقح الذكر الا بعد ثلث سنين وقال
واما الطاووس فاول ما تبيض ثماني بيضات وتبيض ايضا بيض
الريح والطاووس يلقي ريشه في زمن الخريف اذا بدا اول الشجر
يلقي ورقه واذا بدا الشجر يكتسي ورقا بدا الطاووس فاكتسى ريشا
قال وما كان من الطير الثقيل الجثة فليس يهيئ لبيضه عشا
من اجل انه لا يجيد الطيران ويثقل عليه النهوض ولا يتحلق مثل
الدراج والقبج وانما يبيض على التراب وفراخ هذه الاجناس كفراريج
الدجاج وكذلك فراريج البط الصيني فان هذه كلها تخرج من البيض
كيسة كاسية تلقط من ساعتها وتكفي نفسها قال واذا دنا الصياد
من عش القبجة ولها فراخ مرت من بين يديه مرا غير مغيث
واطمعته في نفسها ليتبعها فتمر الفراخ وليلا تغلط في رجوعها

الى موضع عشها فانه ليس معها من الهداية ما مع امها وعلى ان القبجة
سيئة الهداية وكذلك كل طاير يعجل له الكيس والكسوة والكسب
في صغرها وهذا انما اعتراها بقرابة ما بينها وبين الديك قال اذا
امعن الصياد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها طارت
وقد نحته الى حيث لا تهتدي الرجوع الى موضع عشها فاذا سقطت
قريبا دعتها باصواتها حتى يجتمعن اليها قال واناث القبج
تبيض خمس عشرة بيضة الى ست عشرة بيضة قال والقبج طير
منكر وهي تفر ببيضها من الذكر لان الانثى تشتغل بالحضن
عن طاعة الذكر في طلب السفاد والقبج الذكر يوصف بالقوة
على السفاد كما يوصف الديك والحجل والعصفور قال فاذا اشتغلت
عنه بالحضن طلب مواضع بيضها حتى يفسدها فلذلك توغل الانثى
عشها في مخابئ اذا احست بوقت البيض قال واذا قاتل بعض
ذكورة القبج بعضا فالمغلوب منها مسفود والغالب سافد وهذا
العرض يعرض للديكة ولذكورة الدراريج قال واذا دخل بين الديكة
ديك غريب فما اكثر ما تجتمع عليه حتى تسفده وسفاد ذكورة هذه
الاجناس انما يعرض لها لهذه الاسباب فاما ذكورة الحمير والخنازير
والحمام فان بعض ذكورتها يثب على بعض من جهة الشهوة وكان
عند يعقوب بن الصباح الاشعثي هران ضخمان احدهما يكوم الاخر
متى اراده من غير اكراه ومن غير ان يكون المسفود يريد من السافد

مثل ما يريد منه السافد وهذا الباب شايع في كثير من الأجناس الا انه
في هذه الأجناس أوجد ثم رجع بنا القول الى ذكر الحمام وحده من غير
أن يشاب بذكر غيره زعم صاحب المنطق ان البزاة عشرة اجناس
فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جاثمة ومنها ما لا يضرب الحمام
الا وهو يطير ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في حال جثومه
ولا يعرض له الا ان يراه في بعض الأغصان او على بعض الانسان
والأشجار فعدد اجناس صيدها ثم ذكر ان الحمام لا يخفى عليه في أول
ما يرى البازي في الهوا أي البزاة هو واي نوع صيده فيخالف ذلك
ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال اول ذلك ان الحمام في أول
نهوضه يفصل بين النسر والعقاب وبين الرخمة والبازي وبين
الغراب والصقر فهو يرى الكركي والطبرزين فلا يستوحش منهما
ويرى الزرق فيتصال فان راى الشاهين فقد راى السم الناقع والنعجة
ترى الفيل والزندبيل والجاموس والبعير فلا يهيدها ذلك وترى السبع
الذي لم تره قبل ذلك فتخافه وعضو من اعضا تلك البهايم اعظم
وهي أشنع وأهول بل ترى الأسد فتخافه وكذلك النمر وكذلك الببر
فان رأت الذيب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من
تلك الأجناس مجموعة في مكان واحد وليس ذلك عن تجربة ولا لأن
منظره أشنع أو أعظم وليس في ذلك علة الا ما طبعت عليه من تمييز
الحيوان عندها فليس بمستنكر أن تفصل الحمامة بين الرخمة والبازي

كما فصلت بين البازي والكركي فان زعمت انها أبصرت مخالبه
فمنقار الكركي فان ~~زعمت انها أبصرت~~ أشنع وأعظم وأقطع
وأطول فاما طرف منقار الابغث فاكل سنان وان كان محددا
ليبلغه قال صاحب الديك كيف يكون للحمام من الفطنة و
المعرفة مثل ما تذكرون وقد جا في الاثر كونوا بلها كالحمام وقال
صاحب الديك تقول العرب اخرق من حمامة ومما يدل على ذلك
قول عبيد بن الأبرص ٨٢

عيّوا بأمرهم كما عيّت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه

فان كان عبيد انما عنى حمامكم هذا الذي تفخرون به فقد أكثرتم
في ذلك تدبيرها المواضع بيضها وإحكامها الصنعة عشاشها وأفاحيصها
وان قلتم انما عنى بعض اجناس الحمام الوحشي والبري فقد أخرجتم
بعض الحمام من حسن التدبير وعبيد لم يخص حماما دون حمام وحدث
أسامة بن زيد قال سمعت بعض أشياخنا منذ زمان يحدث
ان عثمن بن عفان أراد أن يذبح الحمام وقال لولا انها امة من
الأمم لأمرت بذبحهن ولكن قصوهن قال فدل بقوله قصوهن
على انها انما تذبح لسودعة من تتخذهن ويلعب بهن من الفتيان
والأحداث والشطار واصحاب المراهنة والقمار والذين يتشرفون
على حرم الجيران ويختدعون بفراخ الحمام اولاد الناس ويرمون

بالجلاهق وما أكثر من فقأ عينا وهشم أنفا وهتم فما وهو لا يدرى
ما صنع ولا مقدار ما ركب به القوم ثم تذهب جنايته جبارا ويعود
ذلك الدم مطلولا لا بلا عقل ولا قود ولا قصاص ولا أرش اذ كان
صاحبه مجهولا وعلى شبيه بذلك كان عمر امر بذبح الديكة
وامر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب قالوا ففيما ذكرنا
دليل على ان اكل لحوم الكلاب لم يكن من دينهم ولا من اخلاقهم
ولا من دواعى شهواتهم ولولا ذلك لما جاء الاثر عن النبى صلى الله عليه وسلم
وعمر وعثمن بذبح الديوك والحمام وبقتل الكلاب ولولا ان الامر
على ما قلنا لقالوا اقتلوا الديوك والحمام كما قالوا اقتلوا الكلاب وفى تفريقهم
بينهما دليل على افتراق الحالات عندهم قال وحدثنا اسامة
ابن بزيد وابرهيم بن ابى يحيى ان عثمن شكوا اليه الحمام وانه قال
من اخذ منهن شيا فهو له ونحن قد علمنا ان اللفظ وان كان
قد وقع على شكاية الحمام ان المعنى انما هو فى شكاية اصحاب
وليس فى الحمام معنى يدعو الى شكاية قال وحدثنا عثمن قال
سئل الحسن عن الحمام الذى يصطاده الناس قال لا تاكله فانه من
اموال الناس فجعله مالا ونهى عن اخذه بغير اذن اهله وكل ما كان
مالا فبيعه حسن وابتياعه جايز فكيف يجوز لشىء هذه صفته
أن يذبح الا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن
اغذه لما لا يحل قال ورووا عن الزهرى عن سعيد بن المسيب

قال نهى عثمن عن ذبح الحمام وعن رمى الجلاهق فهذا يدل على ما قلنا
والناس يقولون آمن من حمام مكة ومن غزلان مكة وهذا شايع فى
جميع الالسنة لا يرد ذلك احد ممن يعرف الامثال والشواهد وقال
٨٤ عقيبة الاسدى لابن الزبير

ما زلت مذ حجج بمكة محرما فى حيث يامن طاير وحمام
فلتنهضن العيس تنفخ فى البرا جنين عرض مخارم الاعلام
أبنو المغيرة مثل آل خويلد يا للرجال لخفة الاحلام

وقال النابغة فى الغزلان وامنها كقول جميع الشعرا فى الحمام لا والذى
لا والذى آمن الغزلان يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ولو ان الظبا ابتليت ممن تخذها بمثل ما ابتليت به الحمام ثم ركبوا
المسلمين فى الغزلان بما ركبوهم به فى الحمام لسارعوا فى ذبح الغزلان كسرعتهم
فى ذبح الحمام قالوا وانه ليبلغ من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام
ان اهل مكة يشهدون عن آخرهم انهم لم يروا حماما قط سقط على
ظهر الكعبة الا من علة عرضت له فان كانت هذه المعرفة اكتسابا
من الحمام فالحمام فوق جميع الطير وكل ذى اربع وان كان انما كان
من طريق الالهام فليس ما يلهم كما لا يلهم وقد قال الشاعر فى امن الحمام

لقد علم القبايل ان بيتى تفرع فى الذوايب والسنام
وانا نحن اول من تبنى بمكتها البيوت مع الحمام

وقال كثير عزة او غيره من بنى سهم فى أمن الحمام

لعن الله من يسب عليا وحسينا من سوقة وإمام
أتسب المطيبين جدودا والكرام الأخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام
رحمة الله والسلام عليكم كلما قام قائم بسلام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا أهل بيت الرسول والإسلام

وذكر شأن ابن الزبير وابن الحنفية فقال

من ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أغلال ونفاع غارم
أبى فهو لا يشري هدى بضلالة ولا يتقي في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمنات سواكن وتلقى العدو كالولي المسالم

قال صاحب الحمام أما العرب والأعراب والشعراء فقد أطبقوا على أن الحمامة هي كانت دليل نوح ورائده وهي التي استجعلت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تلك الحلية ومنحها تلك الزينة بدعاء نوح عليه السلم حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها وفي رجليها من الطين والحمأة ما برجليها فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق وفي طوقها يقول الفرزدق

من بك خائفا لأذاة شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

وقال بكر بن النطاح في ذلك

إذا شئت غنتني ببغداد قينة وإن شئت غناني الحمام المطوق
لباسي الحسام أو إزار معصفر ودرع حديد أو قميص مخلق

فذكر الطوق ووصفها بالغناء والإطراب وكذلك قال حميد بن ثور فإنه الذي يقول

رقود الضحى لا تقرب الجيرة القصى ولا الجيرة الأدنين إلا تجشما
وليست من اللائي يكون حديثها أمام بيوت الحي إن وإنما
ثم قال
وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر في حمام ترنما
مطوقة خطباء تصدح كلما دنا الصبح وانزال الربيع فانجما

ثم قال بعد ذكر الطوق

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة أو النخل من تثليث أو من يبنبما
عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر محزونا له مثل صوتها ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال في ذكر الطوق وأن الحمامة نواحة عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو شهيد يوم الطائف

لم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق
أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا وما ناح قمري الحمام المطوق

وقال جهم بن خلف يذكرها بالنوح والغناء والطوق ودعوة نوح

وهو قوله

وقد شاقني نوح قمرية طروب العشي هتوف الضحا
من الورق نواحة باكرت عسيب أشاء بذات الغضا
فغنت عليه بلحن لها يهيج للصب ما قد مضا
مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها اذ دعا
فلم أر باكية مثلها تبكي ودمعتها لا ترا
اضلت فرخا فطافت به وقد علقته حبال الردا
فلما بدا الياس منه بكت عليه وماذا يرد البكا
وقد صاده ضرم ملحم خفوق الجناح حثيث النجا
حديد المخالب عاري الوظيف ضار من الزرق فيه قنا

قال صاحب الديك اما قوله

مطوقة كساها الله طوقا ولم يخصص به طيرا سواها

فكيف لم يخصص بالطوق غير الحمام والدرابج احق بالاطواق واحسن منها اطواقا وهي في ذكورتها اعم وعلى انه لم يصف بالطوق الحمامة التي فاخرتم الديك بها لان الحمامة ليست بمطوقة وانما الاطواق لذكورة الوراشين واشباه الوراشين من نوايح الطير وهواتفها ومغنياتها وكذلك قال شاعركم حيث يقول

اعاتك لا انساك ما هبت الصبا وما ناح قمري الحمام المطوق

ثم قال الاخر

وقد شاقني نوح قمرية طروب العشي هتوف الضحا

ثم وصفها فقال

مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها اذ دعا

فان زعمتم ان اليمام والقمري والفواخت والدبسي والشفانين والوراشين حمام كله قلنا ان بعض الناس يزعم ان ذكورة الدرابج وذكورة القبج وذكورة الحجل ديوك كلها فان كان ذلك كذلك فالفخر بالطوق ونحن اولى به قال صاحب الحمام العرب تسمي هذه الاجناس كلها حماما فجمعوها بالاسم العام وفرقوها بالاسم الخاص وان كان في الاجسام بعض الاختلاف وفي الجثث بعض الاتفاق وكذلك المناقير ووجدناها تتشابه من طريق الهداج ومن طريق الدعا والغنا والنوح كذلك هي في القدود وصور الاعناق وقصب الريش وصيغة الرؤوس والارجل والسوق والبراثن والاجناس التي عددتم ليس يجمعها اسم ولا بلدة ولا صورة ولا ازدواج وليس بين الديكة وبين تلك الذكورة نسب الا انها من الطير الموصوف بكثرة السفاد وان فراخها وفراريجها تخرج من بيضها كاسية وانها لا تعدو في الهوا اذا طارت وفراخ البط الصيني تخرج من بيضها كاسية كاسبة والبط طاير مثقل وقد ينبغي ان تجعلوا فرخ البطة فروجا والانثى دجاجة والذكر ديكا ونحن نجد الحمام والوراشين تتسافد وتتلاقح ونجي منها الراعبي والورداني ونجد الفواخت

تعلوم

والعمادى تتسافد وتتلاقح مع ما ذكرنا من التشابه فى تلك الوجوه وهذا
كله يدل على ان بعضها من بعض كالبخت والعراب وتناتج بينهما
وكالبراذين والعتاق وكلها خيل وتلك كلها ابل وليس بين التدرج والقبج
والحجل والدجاج هذه الامور التى ذكرنا وعلى انا قد وجدنا الاطواق
عامة فى ذوات الاوضاح من الحمام لان فيها من الالوان ولها
من الشيات واشكال الوان الريش ما ليس لغيرها من الطير ولو احتجنا
بالتسافد دون التلاقح لكان لقايل مقال ولكنا وجدناها تجمع
الخصلتين لانا قد نجد سفها الناس ومن لا يتقزز من الاحداث
ومن تشتد غلمته عند احتلامه وتقل طروقته وتطول عزبته
كالمعزب من الرعاة فان هذه الطبقة لم يدعوا ناقة ولا بقرة
ولا شاة ولا اتانا ولا رمكة ولا حجرا ولا كلبة الا وقد وقعوا عليها
ولولا ان فى نفوس الناس شهواتهم ما يدعو الى هذه القاذورة لما
وجدت هذا العمل شايعا فى هذه الصفة لو جمعتهم لجمعت اكثر
من اهل بغداد والبصرة ثم لم يلقح احد منهم شيا من هذه الاجناس
على ان بعض هذه الاجناس يلقى ذلك بالشهوة المفرطة ولقد خبرنى
من اخوانى من لا اتهم خبره ان مملوكا لبعض اهل القطيعة اعنى قطيعة
الربيع كان يكوم بغلة مولاه وانها كانت تتوذق وتتلمظ وانها فى
بعض تلك الاحوال تاخرت وهو موعب فيها ذكره تطلب الزيادة
فلم يزل المملوك يتاخر وتتاخر البغلة حتى اسندته الى زاوية من زوايا

الاصطبل فضغطته حتى برد فدخل بعض من دخل فاذا هو على تلك
الحال فصاح بها فتاخرت فخر العبد ميتا واخبرنى صديق لى قال
بلغنى عن برذون لزرقان المتكلم انه كان يدمح للبغال والحمير
والبراذين حتى تكومه قال فقلت يوما فى ذلك الاصطبل فتناولت
المجرفة وانه لاكثر من ذراع ونصف وانه لخشن غليظ غير محكوك
الراس ولا مملسه فدفعته حتى بلغ اقصى العود وامتنع من الدخول
ببدن المجرفة وحلف انه ما راه تاطر ولا تثنى فقال صاحب
الحمام فهذا فرق ما بيننا وبينكم وذكر ما وصف به الحمام فى الاشعار

من حسن الغنا والاطراب والنوح والنشيج قال الحسن بن هانى

اذا ثنته الغصون جللنى فينان ما فى اديمه جوب
تبيت فى ماتم حمايمه كما ترثى الفواقد السلب
يهب شوقى وشوقهن معا كانما يستخفنا طرب

وقال الاخر

لقد هتفت فى جنح ليل حمامة على فنن وهنا وانى لنايم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا لما سبقتنى بالبكاء الحمايم

وقال نصيب

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهاج الى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وقال اعرابى

عليك سلام الله قاطعة القوى على ان قلبى للفراق كليم
يقرفه نوح الحمام اذا دعا وان هب من ريح الجنوب نسيم

وقال المجنون أو غيره

ولو لم ترعنى الرايحون لراعنى حمايم ورق فى الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى نوايح ما تجرى لهن دموع

وقال الاخر

الا يا سيالات الدخاير بالضحى عليكن من بين السيال سلام
أرى الوحش احيانا الا اليكن بالضحى لهن الى أفيايكن نعام
وانى لمجلوب الى الشوق كلما ترنم فى افنانكن حمام

وقال عمر بن الوليد

حال دون أن اصل به النأى وصرف النوى وحرب عقام
فتبدلت من مساكن قومى والقصور التى بها الاطام
كل قصر مشيد ذى اواسى تتغنى على ذراه الحمام

وقال الاخر

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد هاج لى مسراك وجدا من الجهد
ان هتفت ورقا فى رونق الضحى على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن جليدا وابديت الذى لم تكن تبدى
وقد زعموا ان المحب اذا دنا يمل وان النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد

وقال صاحب الحمام مجاهيل الحمام ومعروفاته وخارجياته ومنسوباته
والذى تشتمل عليه دواوين اصحاب الحمام اكثر من كتب النسب التى تضاف الى
الكلبى والشرقى بن القطامى والى ابى اليقظان وابى عبيدة النحوى بل الى
دغفل بن حنظلة وابن لسان الحمرة بل الى صحار العبدى وابى السطاح
اللخمى بل الى النخار العذرى وصبح الطاى بل الى متجور بن غيلان الضبى
والى سطيح الذيبى بل الى ابن شرية الجرهمى وزيد بن الكيس النمرى والى كل
نسابة راوية وكل متقن علامة ووصف الهذيل المازنى المثنى بن
زهير وحفظه لانساب الحمام فقال والله لهو انسب للحمام من سعيد
ابن المسيب وقتادة بن دعامة للناس بل هو انسب من جبير بن مطعم بل هو
انسب من ابى بكر الصديق لقد دخلت على رجل اعرف بالامهات المنجبات
من سحيم بن حفص واعرف بما دخلها من الهجنة من يونس بن حبيب
قال ومما اشبه فيه الحمام الناس فى الصورة والشمايل ورقة الطباع
وسرعة القبول والانقلاب انك اذا كنت صاحب فراسة فمر بك
رجال بعضهم كوفى وبعضهم بصرى وبعضهم مدينى وبعضهم شامى
لم يخف عليك فى الصور والشمايل والقدود والنغم ايهم بصرى وايهم
كوفى وايهم شامى وايهم مدينى وكذلك الحمام لا ترى صاحب حمام يخفى
عليه نسب الحمام وجنسها وبلادها اذا راها وللحمام من الفضيله
والمفخر ان الحمام الواحد يباع بخمس مايه دينار ولم يبلغ ذلك باز
ولا شاهين ولا صقر ولا عقاب ولا طاووس ولا تدرج ولا ديك

ولا بعير ولا حمار ولا بغل ولو اردنا ان تحقق الخبر بان برذونا او فرسا
بيع بخمس مائة دينار لما قدرنا عليه الا في حديث السمر وانت اذا اردت
ان تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جا من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة
وجدت ذلك بلا معاناة وفيه ان الحمام اذا جا من الغاية بيع الفرخ
الذكر من فراخه بعشرين دينارا واكثر وبيعت الانثى بعشرة دنانير
واكثر وبيعت البيضة بخمسة دنانير واكثر فيقوم الزوج منها في الغلة
مقام ضيعة وحتى ينهض مؤنة العيال وبقضي الدين وبنى من غلاته
واثمان رقابه الدور الجياد وتبتاع الحوانيت المغلة هذا وهي في ذلك
ملهى عجيب ومنظر انيق ومعتبر لمن فكر ومن دخل الحجر وراى
قصورها المبنية بالشامات وكيف اقدار تلك الغلات وخفة تلك
المؤنات ومن شهد ارباب الحمام واصحاب الزجل والهدى وما يحتملون
فيها من الكلف الغلاظ والمؤن العظام ايام الزجل في حملانها وعلى
ظهور الرجال وقبل ذلك في بطون السفن وكيف تفرد بالبيوت
وكيف تجمع اذا كان الجمع امثل وكيف تنقل الاناث عن ذكورتها
وكيف تنقل الذكورة عن اناثها الى غيرها وكيف يخاف عليها
الضوى اذا تقاربت انسابها وكيف يخاف على اعراقها من دخول
الخارجيات فيها وكيف يحتاط في تعرف صحة طرقها ونجلها لانه
لا يامن ان تقمط الانثى ذكر من عرض الحمام فيضرب في النجل
بنصيب فتعتريه هجنة والبيضة في ذلك تنسب الى طرقها وهم

لا يحوطون ارحام نسايهم كما يحوطون ارحام اناث منجبات الحمام
ومن شهد اصحاب الحمام عند زجلها من الغاية والذين يعلمون
الحمام كيف يختارون لصاحب العلامات وكيف يتخيرون الثقة وموضع
الصدق والامانة والبعد من الكذب والرشوة وكيف يتوخون ذا
التجربة والمعرفة اللطيفة وكيف تسخو انفسهم بالجعالة الرفيعة
وكيف يختارون لحملها من رجال الامانة والجلد والشفقة والبصر
وحسن المعرفة لعلم عند ذلك ان صاحب الكلب والديك انهما لا يجريان
في هذه الحلبة ولا يتعاطيان هذه الفضيلة قال وللحمام
من حسن الاهتداء وجودة الاستدلال وثبات الذكر وقوة النزاع
الى اربابه والالف لوطنه ما ليس لشي وكفاك اهتدا ونزاعا
ان يكون طاير من بهايم الطير يجي من برغمة لا بل من العليق
او من خرشنة او من الصفصاف لا بل من لولوة ثم الدليل على
انه يستدل بالمعرفة والعقل والعناية انه انما يجي من الغاية
على تدريج وتدريب وعلى ترتيب وتنزيل والدليل على علم اربابه
بان تلك المقدمات قد نجعن فيه وعملن في طباعه انه اذا بلغ
الرقة غمر به بكرة الى الدرب وما فوق الدرب من بلاد الروم
بل لا يجعلون ذلك لتغير المكان المقدمات والترتيبات التي قد
عملت فيه وحذقته ومرنته ولو كان الحمام مما يرسل بالليل لكان
مما يستدل بالنجوم لانا رايناه يلزم بطن الفرات وبطن دجلة

أو من بطون الأودية التي قد مر بها وهو يرى ويبصر ويفهم انحدار
الما ويعلم بعد طول الجولان بعد الرجال اذا هو أشرف على الفرات أو دجلة
ان طريقه وطريق الما واحد وانه ينبغي أن ينحدر معه وما أكثر
ما يستدل بالجواد من الطرق اذا اعيته بطون الأودية فان لم يدر
أمصعد هو أم منحدر تعرف ذلك بالريح ومواضع قرص الشمس في السماء
وانما يحتاج الى ذلك كله اذا لم يكن وقع بعد على رسم يعمل عليه فربما كسر
حين يرجل يمينا وشمالا وجنوبا وشمالا وصبا ودبورا الفراسخ
الكثيرة وفوق الكثيرة وفي الحمام الغمر والمجرب وهم لا يخاطرون
بالأغمار لوجهين احدهما ان يكون الغمر عريقا فصاحبه يضن به
وهو على أن يدربه أو يمرنه ثم يكلفه بعد الشي الذي له اصطنعه
واتخذه واما ان يكون الغمر مجهولا فهو لا يتعنى ويشقى نفسه بتوقع
الهداية من الأغمار المجاهيل وأخرى ان المجهول اذا رجع مع الهدى
المعروفات فحمله معها الى الغاية فجا سابقا لم يكن له كبير ثمن حتى
تتلاحق له اولاد فان أنجب فيهن صار اما مذكورا وصار نسبا
يرجع اليه وزاد ذلك في ثمنه فاما المجرب غير الغمر فهو الذي قد عرفوه
الورود والتحصب لأنه متى لم يقدر على ان ينقض حتى يشرب الما من
أوساط الأودية والأنهار والغدران ومناقع المياه ولم يتحصب
بطلب بزور البراري وجاع وعطش التمس مواضع الناس واذا مر
بالقرى والعمران سقط واذا سقط اخذ بالبايكير وبالقفاعة

وبالملقف وبالتدبيق وبالدشاخ وبالرمي بالجلاهق وغير ذلك من
اسباب الصيد والحمام طاير ملقى غير موقى وأعداوه كثير وسباع
الطير تطلبه أشد الطلب وهو يترفع مع الشاهين وهو للشاهين
أخوف والحمام اطير منه ومن جميع سباع الطير ولكنه يذعر فيجهل
باب المخلص ويعتريه ما يعتري الحمار اذا راى الأسد والشاة اذا رات
الذيب والفارة اذا رات السنور والحمام اشد طيرانا من جميع سباع
الطير الا في الانقضاض والانكدار فان تلك تنحط انحطاط الصخور
ومتى التفت دامة من سباع الطير وحفالة من بهايم الطير او كن
على عرقة وخيط ممدود وكلها يعتريها عند ذلك التقصير عما كانت
عليه اذ كانت في غير جماعة ولم نر جماعة طير أكثر طيرانا
اذا كثرن من الحمام فانهن كلما التففن وضاق موضعهن كان اشد
لطيرانهن وقد ذكر ذلك النابغة في قوله

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد

قال الأصمعي لما أراد مديح الحاسب وسرعة اصابته شدد الأمر
وضيقه عليه ليكون احمد له اذا أصاب فجعله حزر طيرا والطير

أخف من غيره ثم جعله حماما والحمام أسرع من الطير وكثر العدد
لأن الحمام يشتد طيرانه عند المسابقة والمنافسة وكان يحفد
جانبا بيتي وشبعه فاراد ان الحمام اذا كان في مضيق من الهوا كان
اسرع من ان يتسع عليه الفضا فصاحب الحمام قد كان يدرب
ويمرن وينزل في الرجال والغاية يومئذ واسط فكيف يصنع
اليوم بتعريفه الطرق وتعريفه الورد والتحضير والبغداديون يختارون
للرجال من الغاية الإناث والبصريون يختارون الذكور فحجة البغدادي
ان الذكر اذا سافر وبعد عهده بقمط الإناث وتاقت نفسه الى
السفاد ورأى انثى في طريقه ومجيئه ترك الطلب ان كان بعد
في الجولان او ترك السير ان كان وقع على القصد ومال الى الانثى ففي
ذلك الفساد كله وقال البصري الذكر احن الى بيته لمكان انثاه وهو
اشد متنا واقوى بدنا وهو احسن اهتدا فنحن لا ندع تقديم الشي القايم
المعنى قد يعرض وقد لا يعرض وسمعت شدفويه السباحي يقول العبد
السلم بن أبي عمار من نحو من خمسين سنة اجعل كعبة حمامك في
صحن دارك فان الحمام اذا كان متى خرج من بيته الى العلاوة لم يصل
الى معلاته الا بجمع النفس والجناحين والنهوض والمكابدة للصعود
اشتد متنه وقوي جناحه ولحمه ومتى اراد بيته فاحتاج الى أن
يتنكس ويجي منقضا كان اقوى له على ورد الما من بطون الاودية
واقوى له على الادتفاع في الهواء ان يروى وقد تعلمون ان الباطنيين

اشد متنا من الظاهريين وان النقرس لا يصيب الباطني في رجليه
ليس ذلك الا لانه يصعد على العلالي فوق الكناديج درجة بعد
درجة وكذلك نزوله فلو دربتم الحمام هذا التدريب كان اصوب
ولا يعجبني تدريب العتق وما فوق العتق لان من الاماكن القريبة
لان العاتق كالفتاة العاتق وكالصبي العذر فهو لا يعدمه ضعف
البدن وقلة المعرفة وسوء الالف ولا يعجبني ان يترك الحمام
حتى اذا صار في عدد المسان واكتهل وولد البطون بعد البطون
واخذ ذلك من قوته شبابه حملتموه على الزجل وعلى التمرين ثم
رميتم به اقصى غاية لا ولكن التدريب مع الشباب في انتها الجدة
وكمال القوة من قبل أن تاخذ القوة في النقصان فانه يلقن بقربه
من الحداثة ويعرف بخروجه من حد الحداثة فابتدوا به التعليم
والتمرين في هذه المنزلة الوسطى وهم اذا ارادوا ان يثبتوا الفراخ
أخرجوها وهي جايعة حتى اذا ألقي لها الحب أسرعت النزول
ولا تخرج والريح عاصف وتخرج قبل المغرب وانتصاف النهار
وحذاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام فان الذكورة يعتريها
النشاط والطيران والتباعد ومجاوزة القبيلة فان طارت
الفراخ معها سقطت على دور الناس فرياضتها شديدة وتحتاج
الى معرفة وفراغ وعناية والى صبر ومطاولة لان الذي يراد
منها اذا جين اليه بعد هذه المقدمات كان ايضا من العجب

العجيب وخبرني بعض من أثق به ان يعقوب بن داود قال لبعض من دخل
عليه وقد ذهب عني اسمه ونسبه بعد أن كنت قد عرفته اما ترى كيف
اخلف ظننا واخطأ رأينا حتى عم ذلك لم يخص فما كان في جميع من اصطنعنا
واخترنا وتفرسنا فيه الخير وأردناه به واحد يكفينا معرته ومؤونة
الاحتجاج عنه حتى صرت لا أقرع الا بهم ولا أعاب الا باختيارهم
قال فقال له الرجل ان الحمام يختار من جهة النسب ومن جهة الخلقة
ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتى يرتبوه وينزلوه ثم تحمل الجماعة منه
بعد ذلك الترتيب والتدريب الى الغاية فيذهب الشطر ويرجع
الشطر أو شبيه بذلك أو قريب من ذلك وأنت عهدت الى حمام لم تنظر
في أنسابها ولم يتأمل مخيلة الخير في خلقها ثم لم ترض حتى ضربت بها
بكرة واحدة الغايات فليس بعجب ولا منكر أن لا يرجع اليك واحد
منها وانما كان العجب في الرجوع فأما في الضلال فليس في ذلك عجب
وعلى أنه لو رجع منها واحد أو أكثر من الواحد لكان حظوك موفرا
عليك لم ينقصه خطأ من أخطأ لانه ليس من الصواب أن تجي طائر
من الغاية على غير عرق وعلى غير تدريب قال صاحب الحمام
ومن كرم الحمام الالف والانس والنزاع والشوق وذلك يدل على
اثبات العهد وحفظ ما ينبغي أن يحفظ وصون ما ينبغي أن يصان وانه
لحبي صدق في بني آدم فكيف بذلك الخلق في بعض الطير وقد قالوا عمر الله
البلدان بحب الأوطان وقال ابن الزبير ليس الناس بشيء من اقسامهم

أقنع منهم بأوطانهم وأخبر الله عن طبايع الناس فقال قالوا وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا وقال ولو انا كتبنا عليهم
أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال الشاعر
وكنت فيهم كممطور ببلدته فسر أن جمع الأوطان والمطرا
فتجده يرسل من موضع فيجي ثم تخرج من بيته الى الضيق موضع والى رحام
وتقاد فيرسل من ابعد من ذلك فيجي ثم يصنع به مثل ذلك المرار الكثيرة
ويزاد في الفراسخ ثم يكون جزاؤه أن يعمر به من الرقة الى لولوة فيجي ويسرق
من منزل صاحبه فيقص جناحه فيغبر هناك حولا وأكثر من الحول
فحين ينبت جناحه يحن الى الفه وينزع الى وطنه وان كان الموضع
الثاني انفع له وانعم لباله فيهب فضل ما بينهما الموضع تربيته وسكنه
كالانسان الذي لو أصاب في غير بلاده الريف كله لم يقع ذلك على
قلبه وهو يصالحهم على أن يعطي عشر ذلك في وطنه ثم ربما باعه صاحبه
فاذا وجد مخلصا رجع اليه حتى ربما فعل ذلك مرارا عدة وربما طار
دهره وجال في البلاد وألف الطيران والتقلب في الهوا والنظر الى الدنيا
فيبدو لصاحبه فيقص جناحه ويلقيه في ديماس فينبت جناحه
ولا يذهب عنه ولا يتغير له حتى ربما حذف وهو مقصوص فاما صار
اليه واما بلغ عذرا ومتى قص أحد جناحيه كان أعجز له عن الطيران
ومتى قصهما جميعا كان اقوى له عليه ولكنه لا يبعد لانه اذا كان
مقصوصا من شق واحد اختلف خلقه ولم يعتدل وزنه وصار

ساهو فيه م

أحدهما هو آتيًا والآخر ارضيًا وإذا قصّ الجناحان جميعًا كان وإن
كان مقصوصًا فقد يبلغ بذلك التعديل من جناحيه أكثر مما كان يبلغ
بهما إذا كان أحدهما وافيًا والآخر مبتورًا فالكلب الذي تدّعون
له الإلف وثبات العهد لا يبلغ هذا وصاحب الديك الذي لا يفخر
للديك بشيء من الوفا والحفاظ والإلف أحقّ بأن لا يعرض في هذا الباب
قال وقد يكون الإنسان شديد الحضر فإذا قطعت إحدى يديه دارًا
والعدو كانت خطاه أقصر وكان عن القصد والسنن أذهب وكانت
غاية مجهوده أنقص وخبّرني من ثبت من أشدّ الفتيان ابن نباتة
الأقطع وكانت قطعته من دوين المنكب وكان ذلك في شقه الأيسر
فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه فإن أصاب الضريبة ثبت
وإن أخطأه سقط لوجهه إذ لم يكن جناحه الأيسر يمسكه ويثقله
حتى يعدل بدنه وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة وقد قال الله الحمد لله
فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث
ورباع يزيد في الخلق ما يشاء وزعموا أن الجناحين كاليدين وإذا كان
للجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة وإذا كان ثلثة صار صاحب
الثلثة كالجاذف من الطير الذي أحد جناحيه مقصوص فلا يستطيع
الطيران لعدم التعديل وإذا كان أحدهما وافيًا والآخر مقصوصًا
اختلف خلقه وصار بعضه يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق
وقالوا إنما الجناح مثل اليد ووجدنا الأيدي والأرجل في جميع الحيوان

لا تكون إلا أزواجًا فلو جعلتم لكل واحد منهم مائة جناح لم تنكر
ذلك وإن جعلتموها أنقص بواحد ولا أكثر بواحد لم نجوّزه
قيل لهم قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ورأينا ما له
قرنان أملسان ورأينا ما له قرنان لهما شعب في مقاديم القرون ورأينا
بعضها جمًّا ولأخواتها قرون ورأينا منها ما لا يقال له أجمّ ليس له
شكل ذوات القرون ورأينا لبعض الشاء عدة قرون نابتة في
عظم الرأس أفرادًا وأفرادًا ورأينا قرونًا لجوفًا فيها قرون ورأينا
قرونًا لا قرون فيها ورأيناها مصمتة ورأينا بعضها ينصل قرنه
في كل سنة كما تنسلخ الحية وتنفض ورقها الأشجار وهي قرون
الأيايل وقد زعموا أن للحمار الهندي قرنًا واحدًا وقد رأينا طائرًا
شديد الطيران بلا ريش كالخفاش ورأينا طائرًا لا يطير وهو وافي
الجناح ورأينا طائرًا لا يمشي وهو الزرزور ونحن نؤمن بأن جعفرًا
الطيار ابن أبي طالب له جناحان يطير بهما في الجنة جعلا عوضًا
من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين يوم مؤتة وغير ذلك
من أعاجيب أصناف الخلق وقد يستقيم وهو سهل سائغ جائز
مفهوم معقول قريب غير بعيد أن يكون إذا وضع طباع الطائر
على هذا الوضع الذي نراه أن لا يطير إلا بالأزواج فإذا وضع على
غير هذا الوضع وركّب على غير هذا التركيب صارت ثلثة أجنحة
فوق تلك الطبيعة ولو كان الوطواط في وضع أعضائه وأخلاطه

وامتنزاجاته كساير الطير لما طار بلا ريش وزعم البحريون انهم يعرفون
طيرا لم يسقط قط وانما يكون سقوطه من لدن تخرج من بيضه الى ان يتم
قصب ريشه ثم يطير فليس له رزق الا من بعوض الهوا واشباه البعوض
الا انه قصير العمر سريع الانحطام فليس بمستنكر ان يمزج الطاير
ويمحى غير عجنه الاول فيعيش ضعف ذلك العمر وقد يجوز ايضا
ان يكون موضع الجناح الثالث من الجناحين فيكون عون الثالث
للثاني كعون الثاني للاول وتكون كل واحده عاملة في الثالثة التي
تليها من ذلك البدن فتستوي في القوى والحصص ولعل الجناح الذي
انكره الملحد الضيق العطن ان يكون مركز قواديمه في حاق
الصلب ولعل ذلك الجناح ان يكون الريشة الاولى منه معينة
للجناح الايمن والثانية معينة للجناح الايسر وما هذا مما يضيق
عنه الوهم ويعجز عنه الجواز فاذا كان ذلك ممكنا في معرفة العبد
بما اعاره الرب عز وجل كان ذلك في قدرة الله جل وعز اجوز وما
اكثر من يضيق صدره لقلة علمه وقد علموا ان كل ذي اربع فانه
متى مشى قدم احدى يديه وقد يجوز ان يستعمل اليد الاخرى ويقدمها
بعد الاولى حتى يستعمل الرجل المخالفة لتلك اليد ان كانت تلك اليد
المتقدمة اليمنى حرك الرجل اليسرى فاذا حرك الرجل اليسرى لم تحرك
الرجل اليمنى وهي اقرب اليها واشبه بها حتى تحرك اليد اليسرى وهذا كثير
في طريق آخر وقد يقال ان كل انسان فانما ركبته في رجله وجميع ذوات

الاربع فانما ركبها في ايديها وكل انسان وكل ذي كف وبنان كالانسان

والقرد والاسد والضب والدب فكفه في يده والطاير كفه في رجله
وما راينا احدا ليس له يدان الا وهو يعمل برجليه ما كان يعمل
بيديه وما اقف على شي من اعمال الايدي الا وانا قد رايت اوليك يتكلفونه
بارجلهم ولقد رايت واحدا منهم راهن على ان يفرغ برجليه ما في دستيجة
نبيذ في قناني وطليات وفقاعات فراهنوه واذ عجبني امره وتركته
عند ثقات لا اشك في خبرهم فن عمرانه وفي وزاد قلت قولكم وفا فما قولكم
وزاد قالوا هو انه لو صبت من راس الدستيجة حتى الى افواه القناني كما
يعجز عن ذلك صاحب الكمال في الجوارح لما انكرنا ذلك لقد فرغ ما فيها
في جميع افواه القناني فما ضيع اوقية واحدة وخبرني الحرامي
عن مليك اخيه انه متى شا ان يدخل في بيت ليلا بلا مصباح ويفرغ
قرابة في قناني فلا يصب اشتارا واحدا فعله ولو حكي لي الحرامي
هذا الصنيع ولد اعمى او عمي في صباه كان يعجبني منه اقل فاما من
تعود ان يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما اشد عليه ان يفعله
وهو مغمض العين فان كان اخوه قد كان يقدر على مثل ذلك
اذا غمض عينيه فهو عندي عجب فان كان يبصر في الظلمة فاشبه
من هذا الوجه السنور والفارة فان هذا عجب عندي آخر وغرايب
الدنيا كثيرة عند من كان كلفا بتعرفها وكان له في العلم اصل
وكان بينه وبين التنين نسب واكثر الناس لا يجدهم الا في حالتين

امّا في حال إعراض عن التبين واهمال للنفس وامّا في حال تكذيب وانكار
وتسرّع الى أصحاب الاعتبار وتتبّع الغرايب والرغبة في الفوايد
ثم يرى بعضهم ان له بذلك التكذيب فضيلة وانّ ذلك باب من التوقي
وجنس من استعظام الكذب وانه لم يكن كذلك الا من حاق الرغبة
في الصدق وبيس الشي عادة الانكار والرد وبيس الشي عادة الاقرار
والقبول والحق الذي امر الله به ورغّب فيه وحث عليه أن تنكر من
الخبر ضربين احدهما ما تناقض واستحال والآخر ما امتنع في الطبيعة
وخرج من طاقة الخلقة فاذا خرج الخبر من هذين البابين وجرى عليه
حكم الجواز فالتدبير في ذلك التثبت وان يكون الحق هو ضالتك والصدق
هو بغيتك كاينا ما كان وقع منك بالموافقة او وقع منك بالمكروه
ومتى لم تعلم انّ ثواب الحق وثمرة الصدق اجدى عليك من تلك
الموافقة لم تقو على أن تعطي التثبت حق التثبت قال وهم يصفون
الرماد الذي بين الاثافي بالحمامة ويجعلون الاثافي أظآر اللاخنا
الذي في أعالي تلك الاحجار ولانها كانها معطفات عليها وحانيات
على أولادها قال ذو الرمة

كان الحمام الورق في الدار جثمت على خرق بين الاثافي جوازله
شبه الرماد بالفراخ قبل أن تنهض والجثوم في الخير مثل الربوض
في الغنم وقال الشماخ

وادت رمادا كالحمامة ماثلا ونؤيين في مظلومتين كداهما

وقال ابو حية

من العرصات غير مخلد نؤي كباقي الوحي خط على امام
وغير خوالد لوحن حتى بهن علامة من غير شام
كأن بها حمامات ثلاثا مثلن ولم يطرن مع الحمام

وقال العرجي

ومربط افراس وخيم مصرّع وهاب كجثمان الحمامة هامد

وقال البعيث

وسفع ثوين العام والعام قبله وسحق رماد كالنصيف
من العصب

وقالوا في نوح الحمام قال جران العود

واستقبلوا واديا صوت الحمام به كانه صوت أنباط
مثاكيل

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وغنايها قال الاعشى

الم تر ان العرض اصبح بطنه نخيلا وزرعا نابتا وفصافصا
وذا شرفات يقصر الطرف دونه ترى للحمام الورق فيه قرامصا

وقال عمر بن الوليد

فتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الاطام
كل قصر مشيد ذي اواس تتغنى على ذراه الحمام

والحمام ايضا ربما سكن اجواف الركايا ولا يكون ذلك الا للوحشي

منها وفي البير التي لا تورد وقال الآخر
بدلو غير مكربة أصابت حماما في مساكنه فطارا
يقول أستقي بسفرته من هذه البير ولم يستق بدلو وهذه بير قد
سكنها الحمام لأنها لا تورد وقال جهم بن خلف
وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة مطوقة ورقا تصدح في الفجر
هتوف تبكي ساق حر ولا ترى لها دمعة يوما على خدها تجري
فغنت بلحن فاستجاب لصوتها نوايح بالأصياف في فنن السدر
إذا فترت كرت بلحن شج لها يهيج للصب الحزين جوى الصدر
دعتهن مطراب العشيات والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكر
فلم أر ذا وجد يزيد صبابة عليها ولا ثكلى تبكي على بكر
فأسعدنها بالنوح حتى كأنما شربن سلافا من معتقة الخمر
تجاوبن لحنا في الغصون كأنها نوايح ميت يلتدمن لدى قبر
بسرة واد من تبالة مونق كسا جانبيه الطلح واعتم بالزهر
فقلت لقد هيجتن صبا متيما حزينا وما منكن واحدة تدري
قال ويقال هدل الحمام يهدر قال ويقال في حمام الوحش من
القماري والفواخت والدباسي وما أشبه ذلك قد هدل يهدل
هديلا فإذا طرب قيل غرد يغرد تغريدا والتغريد يكون للحمام
والإنسان وأصله من الطير وأما أصحابنا فيقولون للجمل عند
ولا يكون بالكلام والحمام يهدل وربما كان بالرا وبعضهم يزعم أن

الهديل من أسماء الحمام الذكر وقال الراعي
كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا
ويزعم الأصمعي أن قوله هتوف تبكي ساق حر إنما هو حكاية صوت
وحشي الطير من هذه النواحات وبعضهم يزعم أن ساق حر هو الذكر
وذهب إلى قول الطرماح في تشبيه الرماد بالحمام
بين أظآر مظلومة كسراة الساق ساق الحمام
وقال الشاعر يصف فرسا
ينجيه من مثل حمام الأغلال وقع يد عجلى ورجل شملال
الأغلال جمع غلل وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشجر قال والمعنى أن الحمام
تريد الماء فهو أسرع لها وقوله شملال أي خفيفة وقال صاحب الحمام
ليس في الأرض جنس تعرى به الأوضاح والشيات ويكون فيها المصمت
والبهيم أكثر ألوانا وأصناف التحاسين كما يكون في الحمام فمنها ما يكون
أخضر مصمتا وأحمر مصمتا وأسود مصمتا وأبيض مصمتا وضروب
من ذلك كلها مصمتة إلا أن الهداية للخضر والنمر فإذا ابيض الحمام
كالفقيع فمثله من الناس الصقلابي فإن الصقلابي فطير خام
لم تنضجه الأرحام إذ كانت الأرحام في البلاد التي شمسها ضعيفة
وإن أسود الحمام فإنما ذلك احتراق ومجاوزة لحد النضج ومثل سود
الحمام من الناس الزنج فإن أرحامهم جاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق
وشيطت الشمس شعورهم فقبضتها والشعر إذا أدنيته من النار

تجعد فان زدته تغلغل فان زدته احترق وكما ان عقول سودان الناس
وحمرانهم دون عقول السمر فكذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر
في المعرفة والهداية واصل الخضرة انما هو للريحان والبقل ثم جعلوا
بعد الحديد اخضر والحمام أخضر والسما خضرا حتى سموا بذلك الكحل والليل

وقال شماخ بن ضرار

ورحن رواحا من زرود فنازعت زبالة جلبابا من الليل أخضرا

وقال الراجز

حتى انتضاه الصبح من ليل خضر مثل انتضا البطل السيف الذكر

نضو هوى بال على نضو سفر

قال الله عز وجل ومن دونهما جنتان فباي الا ربكما تكذبان مدهامتان
قال خضراوان من الري سوداوان وسواد العراق لون سقف نخله
ومايه والأسودان الما والتمر والابيضان الما واللبن فالما اسود
اذا كان مع التمر وابيض اذا كان مع اللبن ويقولون سود البطون
وحمر الكلى ويقولون سود الأكباد يريدون العداوة وان الاحقاد
قد احرقت اكبادهم ويقال الحافر اسود البطن لان الحافر
لا يكون في بطونها شحم ويقولون نحن بخير ما راينا سواد فلان بين
اظهرنا يريدون شخصه وقالوا بل يريدون ظله فاما خضر محارب
فانما يريدون السود وكذلك خضر غسان ولذلك قال الشاعر

ان الخضارمة للخضر الذين ودوا أهل البريض نفى منهم الحكم

وهو قول القرشي

وانا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

واذا قالوا فلان اخضر القفا فانما يعنون انه قد ولدته سودا واذا
قالوا أخضر البطن فانما يريدون انه حايك لان بطن الحايك لطول
التزاقه بالخشبة التي يكون عليها الثوب تسود وكان سبب
عداوة العروضي لابرهيم النظام انه كان يسميه الأخضر البطن
والأسود البطن وكان يكشف بطنه للناس يريد تكذيب
أبي اسحق حتى قال له اسمعيل بن غزوان انه انما يريد انك من ابنا الحاكة
فعاداه لذلك واذا قال اخضر النواجذ فانما يريد انه من أهل القرا ممن
ياكل البصل والكراث واذا قيل للثور خاضب فانما يريدون ان البقل
قد خضب اظلافه بالخضرة واذا قيل للظليم خاضب وانما يريدون
حمرة وظيفه فانهما تحمران في القيظ واذا قيل للرجل خاضب
فانما يريدون الحنا فاذا كان خضابه بغير الحنا قيل صبغ ولا يقال
خضب ويقولون في تشبيه بالباب الاول الأحمران الذهب
والزعفران والابيضان الما واللبن والأسودان الما والتمر
ويقولون أهلك الناس الأحمران الذهب والزعفران واهلك
الناس الأحامر الذهب والزعفران واللحم والخمر والجديدان
الليل والنهار وهما الملوان والعصر الدهر وصلاة العصر وصلاة
العشي والعصران الغداة والعشي وقال الشاعر

مطلب

وأمطله العصرين حتى تملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم
ويقال البايعان بالخيار وانما هما بايع ومشتر دخل المبتاع في البايع
وقال الله عز وجل ولابويه لكل واحد منهما السدس دخلت الام
في الاب كما يجمعون على ابنه الاسمين وكقولهم شيرين والبصرتين
وليس ذلك بالواجب وقد قالوا سيرة العمرين وابو بكر فوق عمر
وقال الفرزدق
اخذنا بآفاق السما عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع ١١١
واما قول ذي الرمة
وليل كجلباب العروس ادرعته باربعة والشخص في العين واحد
فانه ليس يريد لون الجلباب ولكنه يريد سبوغه وكذلك قول
الاعرابي قيل له باي شي تعرف حمل شاتك قال اذا استفاضت
خاصرتها ودجت شعرتها والداجي هاهنا اللابس قال الاصمعي
ومسعود بن قيد الفزاري الا ترونه يقول كان ذلك ثوب
الاسلام داج واما لفظ الاصمعي فانه قال كان ذلك منذ
دجا الاسلام يعني انه البس كل شي ثم رجع بنا القول الى شيات
الحمام وزعموا ان الاوضاح كلها ضعف قليلها وكثيرها الا ان
ذلك بالحصص على قدر القلة والكثرة وكذلك هي في جميع الحيوان سوا
مستقبلها ومستدبرها وليس ذلك بالواجب حتى لا يغادر شيا
البتة لان الكلبة السلوقية البيضا اكرم واصيد واصبر من

السود او البياض في الناس على ضروب فالمعيب منه بياض
المغرب والاشقر والاحمر وهو اقل في الضعف والفساد
اذا كان مشتقا من بياض البهق والبرش والبرص والشيب والمغرب
عند العرب لا خير فيه البتة والفقيع لا ينجب وليس عنده الاحسن
بياضه عند من اشتهى ذلك وزعم محمد بن سلام الجمحي انه لم ير قط بلقا
ولا ابلق جا سابقا وقال الاصمعي لم تسبق الحلبة اهضم قط لانهم
يمدحون المجفر من الخيل ويقولون الفرس بعنقه وبطنه وحدثني
بعض اصحابنا انه راى فرسا للمامون بلقا سبقت الحلبة وهذا
نادر غريب والحمام طاير الوف مالوف محبب موصوف
بالنظافة حتى ان ذرقه لا يعاف ولا نتن له كسلح الدجاج
والديكة وقد يتعالج بذرقه صاحب الحصاة وللفلاحين فيه
منافع والخباز يلقي الشي منه في الخمير لينتفخ العجين ويعظم
الرغيف ثم لا يستبين ذلك فيه ولذرقها غلات يعرف ذلك
اصحاب الحجر وهو يصلح في بعض وجوه الدبغ وقال صاحب
الديك الحمام طاير لييم قاسي القلب فان نزع تمره ولد
غيره وضع به كما يصنع بفرخه وذلك انهما يحضنان كل بيضة
ويزقان كل فرخ دنا منهما الا في الفرط واما اللوم فمن طريق
الغيرة فانه يرى بعينه الذكر الذي هو اضعف منه وهو
يطرد انثاه ويكسح بذنبه حولها ويتطوس لها ويستميلها

وهو يرى ذلك بعينه ثم لم ير ذكرا قط واثب ذكرا عند ذلك فان قلت انه
يشد عليه ويمنعه اذا اجتمعت له واراد ان يعلوها فكل ذكر هناك
يفعل ذلك وليس ذلك من الذكر الغريب على طريق الغيرة ولكنه ضرب
من النفاسة واذا لم يكن من ذكرها الا مثل ما يكون من جميع الحمام
علم ان ذلك منه ليس من طريق الغيرة وانا رايت النواهض تفعل ذلك
وتقطع على الذكر بعد ان يعلو على الانثى قال واما ما ذكرتم من ان
الحمام معطوف على فراخه ما دامت محتاجة الى الزق فاذا استغنت
برعت منها الرحمة فليس ذلك كما قلتم الحمام طاير ليس له عهد وذلك
ان الذكر ربما كانت الانثى معه السنين ثم سفل وتوارى عنه شهرا
واحدا ثم تظهر له مع زوج اضعف منه فيراها طول دهره وهي الى
جنب بيته وتماديه فان كان لا يعرفها بعد معرفة العمر الطويل
وانما غابت عنه الايام اليسيرة فليس يوجه ذلك الجهل الذي يعامل به
فراخه بعد ان كبرن الا على الغباوة وسوء الذكر وان الفرخ حين
استوى ريشه واشبه غيره من الحمام جهل الفصل بينهما وان كان
يعرف انثاه وهو يجدها مع ذكر ضعيف وهو مسلم لذلك قانع
به وقليل الاكتراث له فهذا من لوم في اصل طبيعته قال
وباب اخر من لومه والقسوة من الام اللوم وذلك ان الذكر ربما
اراد الانثى او ربما استضعف الذكر فنقر راسه والاخر متسخذ قد
امكنه من راسه خاضعا له شديد الاستسلام لامره فهو لا يرحمه

لضعفه وعجزه عنه ولا هو يرحمه لخضوعه له وهو لا يميل ولا له عنده
ترة ثم لا يزال ينقر يافوخه حتى ينقب عنه ثم لا يزال ينقر ذلك المكان
بعد النقب حتى يخرج دماغه ويموت بين يديه فلو كان مما ياكل
اللحم ويشتهي الدماغ كان ذلك له عذرا اذا لم يعد ما طبع الله عليه سباع
الطير فاذا راينا من بعض بهايم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع
الطير لم يكن لنا الا ان نقضي عليه من اللوم الاعلى شكل حسب مباينته
لشكل البهيمة وتزيده في ذلك على ما مع جوارح الطير من السبعية
وقال صاحب الديك زعم ابو الاصبغ بن ربعي قال كان روح
ابو همام صاحب المعمى عند مثنى بن زهير فبينا هو يوما وهو معه
في السطح اذا جماعة قد صعدوا فلم يلبث ان صعد آخرون ثم لم يلبث
ان جا مثلهم فاقبل عليهم فقال لاي شي جمعكم اليوم قالوا هذا اليوم
الذي يرجع فيه مزاجيل الحمام من الغاية قال ثم ماذا قالوا نتمتع
بالنظر اليها اذا اقبلت قال لكني امتع بتغميض العين اذا اقبلت
وترك النظر اليها هو النظر ثم نزل وجلس وحده وقال مثنى بن
زهير ذات يوم ما تلهى الناس بشي كالحمام ولا وجدنا شيا مما يتخذه
الناس للهو واللعب يخرج من ابواب الجد ويفتح من ابواب الحق
كالحمام وابو اسحق حاضر فغاظه ذلك وكظم على غيظه فلما راى
مثنى سكوته عن الرد عليه طمع فيه فقال يبلغ والله من كرم
الحمام ووفايه وثبات عهده وشدة حنينه الى اهله اني مما قصصت

الطاير دهرًا بعد ان طار عندي دهرًا فمتى نبت جناحه نبت كنباته
الأول ولم يدعه سوء صنيعي اليه الى الذهاب عني ولربما بعته فيقصه
المبتاع حينًا فما هو الا ان يجد في جناحه قوة على النهوض اتاني
جادفًا كان أو غير جادف وربما فعلت ذلك به مرارًا كل ذلك لا يزداد
الا وفا فقال ابو اسحق اما انت فاراك ابيا تحمده وتذم نفسك
ولئن كان رجوعه اليك من الكرم ان اخراجك اياه لمن اللوم وما يجئ
من الرجل يقطع نفسه لصلة طاير وينسى ما عليه من جنب ما البهيمة
ثم قال له خبرني عنك حين تقول رجع الي مرة بعد مرة وكلما زهدت
فيه كان فيّ ارغب وكلما باعدته كان لي اطلب الك جا واليك
حن ام الى عشه الذي درج منه ووكره الذي ربي فيه افرايت
لو رجع الى وكره وبيته ولم يجدك والفاك غايبًا او ميتًا اكان يرجع
الى موضعه الذي خلفه وعلى انك تعجب من هدايته وما لك فيه مقال
غيره فاما شكرك له على ارادته لك فقد تبين خطوه وانما بقي الان
حسن الاهتدا والحنين الى الوطن وقد اجمعوا على ان الرخم والغربان
من لئام الطير وبغاثها وليست من عتاقها واحرارها وهما من
قواطع الطير ومن موضع مقطعها الينا ثم مرجعها اليه من عندنا
اكثر واطول من مقدار ابعد غايات حمامكم فاذا كان وقت خروجها
من اوطانها الينا خرجت تقطع الصحاري والبراري والجزاير والغياض
والبحار والجبال حتى تصير الينا في كل عام فان قلت انها ليست

تخرج على سمت محجة ولا على هداية ودلالة ولا على امارة وعلامة
وانما هربت من الثلوج والبرد الشديد وعلمت انها تحتاج الى الطعم
وان الثلج قد البس ذلك العالم فخرجت هاربة فلا تزال تفهر بها
الى ان تصادف ارضًا بيضا ودفا فتقيم عند ادنى ما تجده فانقول
فيها عند رجوعها ومعرفتها بانحسار الثلج عن بلادها البس قد
اهتدت طريق الرجوع ومعلوم عند اهل تلك الاطراف وعند
اصحاب التجارب وعند القناص ان طير كل جيرة اذا قطعت
رجعت الى بلدانها وجبالها واوكارها وغياضها واعشتها
واعشتها فتجد هذه الصفة في جميع القواطع من الطير كراميها
ولياميها وبهايمها كسباعها ثم لا يكون اهتداوها على تمرين وتوطين
ولا عن تدريب وتجريب ولم تعل بالتعليم والترتيب ولم تثبت
بالتدبير والتقويم فالقواطع لا نفسها تصير الينا ولا نفسها تعود
الى اوكارها وكذلك الاوابد من الحمام لانفسها ترجع والفها
للوطن الف مشترك مقسوم على جميع الطير فقد بطل جميع ما ذكرت
ثم قال والعجب من جميع قواطع الطير قواطع السمك كالاسبور
والجواف والبرستوج فان هذه الانواع تاتي دجلة البصرة من
اقصى البحار تستعذب الما في ذلك الابان كانها تحمض بحلاوة
الما وعذوبته بعد ملوحة ما البحر كما تحمض الابل فتطلب
الحمض وهو ما ملح بعد الخلة وهو ما حلا وعذب والاسد

إذا أكثرت من حسو الدماء والدماء حلوة وأكل اللحم واللحم حلو
طلبت الملح لتتملح به وتجعله كالحمض بعد الخلة ولولا موقع الملح
لم يدخله الناس في أكثر الطعام والأسد يخرج للتملح فلا يزال يسير
حتى يجد ملاحة وربما اعتاد مكانا فيجده ممنوعا فيقطع الفراسخ
الكثيرة بعد ذلك فإذا تملح عاد إلى موضع غيضته وعرينه وغابه وعريسته
وإن كان الذي قطع خمسين فرسخا ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي
تقبل إلينا فيها هذه الأصناف وهي تقبل في كل سنة مرتين ثم نجد في
إحداهما أسمن فيقيم كل جنس منها عندنا شهرين إلى ثلثة أشهر
فإذا مضى ذلك الأجل وانقطعت عدة ذلك الجنس أقبل الجنس الآخر
فهم في جميع أقسام شهور السنة من الشتاء والربيع والصيف والخريف
في نوع من السمك غير النوع الآخر إلا أن البرستوج يقبل إلينا قاطعا
قاطعا من بلاد الزنج يستعذب من دجلة البصرة يعرف ذلك جميع
الزنج والبحريين وهم يزعمون أن بين البصرة والزنج أبعد مما بين الصين
وبينها وإنما غلط ناس فزعموا أن الصين أبعد لأن بحر الزنج خورة
واحدة عميقة واسعة وأمواجها عظام ولذلك البحر ريح تهب من
عمان إلى جهة الزنج شهرين وريح تهب من بلاد الزنج تريد جهة عمان
شهرين على مقدار واحد فيما بين الشدة واللين إلا أنها إلى الشدة أقرب
فلما كان البحر عميقا والريح قوية والأمواج عظيمة وكان الشراع
لا يحط وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس ولا يعرفون الخنة والكلا

صارت الأيام التي تسير فيها السفينة إلى الزنج أقل قال فالبرستوج
سمك يقطع أمواج الماء إلى البصرة من الزنج ثم يعود ما فضل عن صيد
الناس إلى بلاده وبحره وذلك أبعد مما بين البصرة إلى العليق المرار الكثيرة
وهم لا يصيدون من البحر فيما بين البصرة إلى الزنج من البرستوج شيئا إلا في
أبان مجيئها إلينا ورجوعها عنها وإلا فالبحر منها فارغ خال فعامة الطير
أعجب من الحمام وعامة السمك أعجب من الطير والطير ذو جناحين
يحلق في الهواء فله سرعة الدرك وبلوغ الغاية بالطيران وله إدراك
العالم بما فيه بعلاماته وأماراته إذا هو تحلق في الهواء وعلا فوق
كل شيء والسمكة تسبح في غمر الماء ولا تسبح في أعلاه ونسيم الهواء الذي تعيش به
الطير لو دام على السمك ساعة لقتله وقال أبو العنبس بن أبي النخيلة الراجز
وذكر السمك

يغمه النشوة والنسيم   فلا يزال مغرقا يعوم
في البحر والبحر له تخميم   وأمه الوالدة الرؤوم
تلهمه جهلا ولا يريم   نقول النشوة والنسيم

الذي يحيي جميع الحيوان إذا طال عليه الخموم واللخن والعفن والرطوبات
الغليظة يغم السمك ويكربه وأمه التي ولدته تأكله لأن السمك يأكل
بعضه بعضا وهو في ذلك لا يريم هذا الموضع وقال ذوبة

والحوت لا يكفيه شيء يلهمه   يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وصف حاله واتصاله بالماء وأنه شديد الحاجة إليه وإن كان غرقا

فيه أبدا وانشدني محمد بن يسير لبعض المدنيين يهجو رجلا وهو يقول

لو رأى في الجو فرجا للتراجى يموتا
أو رأى في البحر فرجا صار للتغطاط حوتا

وقال الذكواني ووصف الصفدع

يدخل في الأشداق ماء ينصفه كيما ينق والنقيق يتلفه

قال يقول الصفدع لا يصوت ولا يتهيأ ذلك منه حتى يكون في فمه ماء
وإذا أراد ذلك ادخل فكه الأسفل في الماء وترك الأعلى حتى يبلغ الماء نصفه
والمثل الذي يتمثل به الناس فلان لا يستطيع أن يجيب خصومه لأن
فمه ملآن ماء وقال شاعرهم هو ابو نواس

وما نسيت مكان الأمر يكبر من الوشاة ولكن في فمي ماء

وإنما جعلوا ذلك مثلا حين وجدوا الإنسان اذا كان في فيه ماء على
الحقيقة لم يستطع الكلام فهذا تأويل قول الذكواني

يدخل في الأشداق ماء ينصفه

بفتح اليا وضم الصاد فإنه يذهب إلى قول الشاعر

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزري

المضوفة الأمر الذي يشفق منه وكقول الشاعر

فإن الظن ينصف أو يزيد وهذا ليس من الإنصاف
الذي هو العدل إنما هو بلوغ نصف الساق وأما قوله
كيما ينق والنقيق يتلفه فإنه ذهب إلى قول الشاعر

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

وقل معنى سمعناه في باب معرفة طبائع الحيوان من الفلاسفة وقرأناه
في كتب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن قد وجدناه أو قريبا منه أو مثله في
أشعار العرب والأعراب في معرفة أهل لغتنا وملتنا ولولا أن يطول
الكتاب ذكرت ذلك أجمع وعلى أني قد تركت تفسير أشعار كثيرة وشواهد
عديدة مما لا يعرفه إلا الرواية النحرير من خوف التطويل قال
أفليمون صاحب الفراسة اجعل حمام النسا المسرولات العظام الجسام
ذوات الاختيال والتجذي والهدير واجعل حمام الفراخ ذوات
الأنساب والأعراق الكريمة فإن الفراخ إنما تكثر عن حسن التعهد
ونظافة القراميص والبروج واتخذ لهن بيتا محفورا على خلقة الصومعة
محفوفا من أسفله إلى مقدار ثلثي حيطانه بالتماريد ولتكن واسعة
وليكن بينها حجاز وأجود ذلك أن تكون تماريدها محفورة في الحائط
على ذلك المثال وتعهد البرج بالكنس والرش في زمان الرش وليكن
مخرجهن من كوى في أعلى الصومعة وليكن مقتصدا في السعة
والضيق بقدر ما يدخل منه ويخرج منه الواحد بعد الواحد
فإن استطعت أن يكون البيت بقرب مزرعة فافعل فإن أعجزك
المنسوب منها فالتمس ذلك بالفراسة التي لا تخطي وإنما يخطي المتفرس
قال وليس كل الهدي يقوى على الرجعة من حيث أرسلت لأن منها
ما تفضل قوته على هدايته ومنها البطي وإن كان قويا ومنها

السريع وان كان ضعيفا على قدر الحنين والاغترام ولا بد لجميعها من
الصرامة ومن التعليم أولا ومن التوطين آخرا وقال جماع الفراسة
لا يخرج من اربعة أوجه اولها التقطيع الثاني المجسة والثالث الشمايل
والرابع الحركة والتقطيع اصحاب العنق والخلقة واستدارة
الراس من غير عظم ولا صغر ثم عظم القرطمتين واتساع المنخرين
وانهرات الشدقين وهذا من أعلام الكرم في الاسترواح ثم حسن
خلقة العينين وقصر المنقار من غير دقة ثم اتساع الصدر وامتلا
الجوجو وطول العنق واشراف المنكبين وطول القوادم في غير
افراط ولحوق بعض الخوافي ببعض وصلابة العصب في غير انتفاخ
ولا يبس واجتماع الخلق من غير الجعودة والكزازة وعظم الفخذين
وقصر الساقين والوظيفين واقتدار الاصابع وقصر الذنب
وخفته من غير تفنن وتفرق ثم توقد الحدقتين وصفا اللون فهذه
أعلام الفراسة في التقطيع واما اعلام المجسة فوثاقة الخلق
وشدة اللحم ومتانة العصب وصلابة القصب ولين الريش من
غير رقة وصلابة المنقار في غير دقة واما اعلام الشمايل
فقلة الاختيال وصفا البصر وثبات النظر وشدة الحذر وحسن
التقلب وقلة الرعدة عند الفزع وخفة النهوض اذا طار وترك
المبادرة اذا لقط واما اعلام الحركة فالطيران في علو ومد
العنق وسمو وقلة الاضطراب في جو السما وضم الجناحين

في الهوا وتدافع الركض في غير اختلاط وحسن القصد في غير دوران
وشدة المد في الطيران فاذا اصبته جامعا لهذه الصفة فهو الطاير
الكامل والا فبقدر ما فيه من هذه المحاسن تكون هدايته وفراهته
قال واعلموا ان الحمام من الطير الرقيق الذي تسرع اليه الآفة
وتعتوره الادوا وطبيعته الحرارة واليبس فاكثر ادوايه الخنان
والكباد والعطاش والسل والقمل فهو يحتاج الى المكان البارد النظيف
والى الحبوب الباردة كالعدس والماش والشعير المنخول والقرطم له
بمنزلة اللحم للانسان لما فيه من قوة الدسم وقال فمما يعالج به
الكباد الزعفران والسكر الطبرزد وما الهندبا يجعل في سكرجة
ثم يوجر ذلك أو يمج في حلقه مجا وهو على الريق ومما يعالج الخنان
أن يلين لسانه يوما أو يومين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح
يدلك بهما حتى ينسلخ الجلدة العليا التي غشيت لسانه ثم يطلى
بعسل ودهن ورد حتى يبرأ ومما يعالج به السل أن يطعم الماش
المقشور ويمج في حلقه اللبن الحليب ويقطع من وظيفته عرقان
ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل من باطن ومما يعالج به القمل
ان تطلا اصول ريشه بالزيبق المنحل بدهن البنفسج يفعل
ذلك مرات حتى يسقط قمله ويكنس مكانه الذي يكون فيه كنسا
نظيفا وقال اعلم ان الحمام والطير كله لا يصلح التغرير به
من البعد وهدايته على قدر التعليم والتوطين واول ذلك أن يخرج

الى ظهر سطح يعلو عليه وينصب عليه علم يعرفه ويكون طيرانه لا يجاوز
محلته ويكون علفه بالغداة والعشي يلقى له فوق ذلك السطح قريبا من علمه
المنصوب له حتى يألف مكانه ويتعود الرجوع اليه ولكن لينظر من
اى شي يتخذ العلم فانه لا ينبغي ان يكون اسود ولا يكون شيا يرى
من بعيد اسود وكلما كان اعظم كان ادل ولا ينبغي ان يطيرهما وزوجته
معا ولكن ينتف احدهما ويطير الآخر ويخرجان معا ولكن ينتف
الى السطح جميعا ثم يطير الوافي الجناح فينازع الى وجهه فاذا عرف
المكان ودار رجع والف ذلك الموضع ونبت ريش الآخر صنع به
كذلك واجود من ذلك ان يخرجا الى السطح وهما مقصوصان حتى
يألفا ذلك الموضع ثم يطير احدهما قبل صاحبه ويصنع بالثاني
كما صنع بالاول وما اشبه قوله هذا بقول ماسرجويه فانه وصف
في كتابه طباع جميع الالبان وشربها للدوا فلما فرغ من الصفة قال
قد وصفت للرجال الالبان في انفسها ولكن انظر الى من يسقيك
اللبن فانك بديا تحتاج الى تنظيف جوفك وتحتاج الى من يعرف
قدر علتك من قدر اللبن وجنس علتك من جنس اللبن ومثل ذلك
قول نجار كان عندي دعوته لتعليق باب ثمين كريم فقلت له ان
احكام تعليق الباب شديد ولا يحسنه من مائة نجار واحد وقد
يذكر بالحذق في نجارة السقوف والقباب وهو لا يحمل التعليق
باب على تمام الاحكام فيه والسقوف والقباب عند العامة اصعب

ولهذا امثال فمن ذلك ان الغلام والجارية يشويان الجدي والحمل
ويحكمان الشي وهما لا يحكمان شي جنب ومن لا علم له يظن ان شي
البعض اهون من شي الجميع فقال لي احسنت حين اعلمتني انك تبصر العمل
فان معرفتي بمعرفتك تمنع من التشفيق فعلقه فاحكم تعليقه ولم يكن
عندي حلقة لوجه الباب اذا اردت اصفاقه فقلت له اكره حبسك
الى ان يذهب الغلام الى السوق ويرجع ولكن انقب لي موضعه فلما نقبه
واخذ حقه وولاني للنصراف فظهره التفت الي فقال قد جودت
النقب ولكن انظر اي نجار يدق فيه الرزة فانه ان اخطا بضربة
واحدة شق الباب والشق عيب فعرفت انه يفهم صناعته فهما
تاما وبعض الناس اذا اراد ان يلقي زوجا يعليهما كتفهما ولم ينتفهما
وبين النتف والقص كثير القص لا يوجع ولا يقرح مغارز قصب
الريش والنتف يوهن المنكبين واذا نتف الطاير مرارا لم يقو على
الغاية ولم يزل واهن المنكبين ومتى اخطا عليه فنتفه وقد جفت
اصوله وقربت من الطرح كان اهون عليه وكلما كان النبات
اطرا كان اضر عليه وانه ليبلغ من مضرته ان الذكر لا يجيد
الالقاح والانثى لا تجيد القبول وربما نتفت الانثى وقد احتشت
بيضا وقد قاربت ان تبيض فتبطي بعد وقتها الايام وربما افسد
ذلك البيض قال واذا بلغ الثاني مبلغ الاول في استوا الريش والاهتدا
الى العلم طيرا جميعا ومنعا من الاستقرار الى ان يطير بهما الاعيا

والكلاكل ثم توطن لهما المراجل برًّا وبحرًا من حيث ينصرفان اذا ارتفعا
في الهوا السمت ونفس العلم واقاصي ما كانا يريانه عند التباعد
في الدوران والجولان فاذا رجعا من ذلك المكان مرات زجلا من
ابعد منه وقد كانوا مرة يعجبهم ان يزجلوا من جميع التوطينات
ما لم تبعد مرتين فلا يزال كذلك حتى يبلغا الغاية
ويكون احدهما محبسًا اذا ارسل صاحبه ليتذكره فيرجع اليه
فان خيف عليه ان يكون قد مل زوجته عرضت عليه زوجة
اخرى قبل الزجل فاذا اجتمعها مرة حيل بينه وبينها يومه ذلك
ثم عرضوها عليه قبل ان يحمل فاذا اطاف بها خبئت عنه ثم حمل الى
الزجل فان ذلك اسرع له قال واعلموا ان اشد المراجل ما قلت
أعلامه كالصحاري والبحار والطير يختلف في الطباع اختلافًا شديدًا
فمنها القوي ومنها الضعيف ومنها البطيء ومنها السريع ومنها
الذهول ومنها الذكور ومنها القليل الصبر على العطش ومنها
الصبور وذلك لا يخفى فيهن عند التعليم والتوطين في سرعة الاجابة
والابطا فلا تبعدن غاية الضعيف والذهول والقليل الصبر
على العطش ولا تزجلن ما كان منشوه في بلاد الجرم من بلاد الصرد
ولا ما كان من بلاد الصرد من بلاد الجرم الا بعد الاعتياد ولا يصبر
على الطيران في غير هوايه واجوايه طاير الا بطول الاقامة في
في ذلك المكان ولا تستوي حاله وحال من لا يعدو هواه والهواء

الذي يعرف من طباع هوايه قال ولا بد من ان يعلم الورود فاذا اردت
ذلك به فاورد به العيون والغدران والانهار ثم حل بينه وبين النظر
الى الما حتى تكف بصره باصابعك عن جهة الما واتساع المورد الا
بقدر ما كان يشرب فيه من المساقي ثم اوسع له اذا اعتب قليلا
بقدر ما لا يروعه ذلك المنظر وليكن معطشًا فانه أجدر ان يشرب
تفعل به ذلك مرارًا ثم تفسح المنظر اولا فاولا حتى لا ينكر ما هو فيه
فلا يزال حتى يعتاد الشرب بغير ستر قال واعلم ان الحمام الاهلي
الذي قد عايش الناس وشرب من المساقي ولقط في البيوت يحتمل
بالوحدة ويستوحش بالغربة واعلم ان الوحشي يستانس والاهلي
يستوحش قال واعلم انه ينسى التاديب اذا اهمل كما يتادب بعد
الاهمال واذا زجلت فلا تتطرف فيه من نصف الغاية الى
الغاية ولكن رتب ذلك فانه ربما اعتاد المجيء من ذلك البعد فمتى
ارسلته من اقرب منه تحير واراد ان يتعدى امره ابتداوهم اليوم
لا يفعلون ذلك لانه اذا بلغ الرقة او فوق الرقة شيا فقد صار
عقدة وصار له ثمن وغلة فهو لا يرى ان يخاطر بشي له قدر ولكنه
ان جا من هيت ادرب به لانه ان ذهب لم يذهب بشي له ثمن
ولا طاير له رياسة وليس له اسم ولا ذكر فان ذهب ذهب شي ليس له
كبير خطر وان جا من الغاية فقد حوى ملكا على هذا هم اليوم
قال ولا ترسل الزاجل حتى تستانف به الرياضة ولا تدع ما تعده

للزجل أن يحضن بيضا ولا تجثم عليه فإن ذلك مما ينقصه ويفتحه ويغمض
له راسه لانه يسمن عند ذلك وتكثر رطوبته فتقذف الحرارة تلك
الرطوبة الحادة العارضة الى راسه فان نقب البيض وزق وحضن
احتجت الى تضبيره واستينان سياسته ولكن ان بدا لك أن تستفرخه
ما نقل بيضه الى غيره بعد أن تعلمه بعلامة تعرفه بها اذا تصدع وان
اصاب أيضا الحمام فزع وذعر عن طلب من الجوارح له فاياك
أن تعيده الى الزجل حتى تريحه وتستفرخه فان ذلك الذعر لا يفارقه
ولا يسكن حتى تستانفه التوطين وان أردت أن تستكثر من
الفراخ فاعزل الذكور عن الاناث شهرا أو نحوه حتى يصبو بعضها الى
بعض ثم اجمع بينها فان بيضها سيكثر ويقل سقطه ومروقه وكذلك
كل أرض أثيرت وكذلك الحيال من الحيوان وقال الأعشى
١٢٧ من سراة الهجان صلبها العض ورعي الحمى وطول الحيال
وقال الحرث بن عباد وجعل ذلك مثلا حيث يقول
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قال افليمون لصاحبه وانا احدثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك
فيها رغبة وذلك ان ملكين طلب احدهما ملك صاحبه وكان
المطلوب أكثر مالا وأقل رجالا وأخصب بلادا وكانت بينهما مسافة
من الأرض بعيدة فلما بلغه ذلك دعى خاصته فشاورهم في أمره
وشكا اليهم خوفه على ملكه فقال بعضهم دامت لك أيها الملك

السلامة ووقيت المكروه ان الذي تاقت اليه نفسه قد يحتال باليسير
من الطمع وليس من شان العاقل التغرير وليس بعد المناجزة بقية
والمناجز لا يدري لمن تكون الغلبة فالتمسك بالثقة خير من الاقدام
على الغرور وقال بعضهم دام لك العز ومد لك في البقا ليس في
الذل درك ولا في الرضا بالضيم بقية والراي اتخاذ الحصون واذكا
العيون والاستعداد للقتال فان الموت في المحاماة عن العز خير من
ذلة الحيوة في الذل وقال بعضهم وقيت وكفيت وأعطيت فضل
المزيد الراي طلب المصاهرة له والخطبة اليه فان الصهر سبب الفة
تقع به الحرمة وتثبت به المودة ويحل به صاحبه المحل الادنى ومن حل
من صاحبه هذا المدخل لم تخله جماعة ولم يمتنع من مناواة من
ناداه فالتمس خلطته فانه ليس فيما بعد الخلطة عداوة ولا مع الشركة
مباينة قال الملك كل قد اشار براى ولكل امر مدة وانا ناظر
وبالله العصمة وبشكره تتم النعمة فاظهر الخطبة الى الملك الذي فوقه
وأرسل رسلا واهدى هدايا وأمرهم بمصانعة من يصل اليه ودس
رجالا من ثقاته فامرهم باتخاذ الحمام في بلاده وتوطينهن واتخذ أيضا
عند نفسه مثلهن فرفعوهن من غاية الى غاية فجعلها ولا يرسلون
من بلاد صاحبهم وجعل من عند الملك يرسلون من بلاد الملك
وأمرهم بمكاتبته بخبر كل يوم وتعليق الكتب في اصول اجنحة
الحمام فكان لا يخفى عليه شي من أمره واطمعه الملك في التزويج

واستفزه وطاوله فتابع بين الهدايا ودس لحرسه رجالا ايلاطفونهم
حتى صادوا يبيتون بابوابه معهم فلما كتب اصحابه اليه بعزته فاتاه
الخبر اليه من يومه سار اليه في جند قد انتخبهم حتى اذا كان على
ليلة او بعض ليلة اخذ بمجامع الطرق ثم بيتهم ووثب اصحابه من
داخل وهو وجنده من خارج ففتحوا الابواب وقتلوا الملك واصبح
قد غلب على تلك المملكة فعظم شانه واعظمته الملوك وذكر فيهم
بالحزم والكيد وانما كان سبب ذلك كله الحمام قال واحدثك
ايضا عن الحمام بحديث آخر في امر النسا والرجال وما يصاب من
اللذة فيهن والصواب في معاملتهن وذلك ان رجلا اتاني مرة
فشكا الي حاله في فتاة علقها فتزوج اياها وكانت جارية غرا حسنا
بكرا وكانت ذات عقل وحياء وكانت غريرة فيما يحسن النساء من استمالة
اهوا الرجال ومن اخذها بنصيبها من لذة النسا فلما دخل بها امتنعت
عليه ودفعته عن نفسها فزادها بكل ضرب كان يحسنه من لطف الحسن
وادخل عليها من نسائه ونسائها من ظن انها تقبل منهن فاعيتهن حتى
هم بوقصها مع شدة وجده بها فاتاني فشكا ذلك الي فامرته ان يفردها
ويخليها من الناس فلا يصل اليها احد وان يضعف لها الكرامة
في اللطف والاقامة لما يصلحها من مطعم وملبس او طيب او غير ذلك
مما تلهو به امراة وتعجب به وان يجعل خادمها عجمية لا تفهم عنها
وهي في ذلك عاقلة لا تفهمها الا بالايما حتى تستوحش اليه والى كل



من يقبل اليها من النسا حتى تشتهي ان تجد من يراجعها الكلام وتشكو
اليه وحشة الوحدة وان يدخل عليها من الحمام ازواجا ذوات صور
حسنة وتخييل وهدير فيصيرهن في بيت نظيف ويجعل لهن في
البيت تماريد وبين يدي البيت حجرة نظيفة ويفتح اليها من بيتها
بابا فيصيرن نصب عينها فتلهو بهن وتنظر اليهن ويجعل دخوله
عليها في اليوم دفعة لا يزيدها فيه على النظر الى تلك الحمام
والتسلي بهن والاستدعا لهن الى الهدير ساعة ثم يخرج فانها لا تلبث
ان تفكر في صنيعهن اذا رات حالهن وان تحركها الطبيعة حتى
يكون اوفق المقاعد لها الدنو منهن واغلب الملاهي عليها النظر
اليهن فان الحواس لا تودي الى النفس شيا من قبل سمع او بصر
او ذوق او شم او مجسة الا تحرك من العقل في قبول ذلك او رده
والاحتيال في اصابته او دفعه او الكراهة له او السرور بقدر
ما حرك النفس منه فاذا رايت الغالب عليها الدنو منهن والتامل
لهن فادخل عليها امراة مجربة غزلة تانس بها وتفطنها لصنيعهن
وتعجبها منهن وتستميل فكرتها اليهن وتصف لها موقع اللذة
على قدر ما ترى من تحرك الشهوة ثم اخرج المراة عنها وحاول الدنو
منها فان رايت كراهية امسكت واعدت المراة اليها فانها
لا تلبث ان تمكنك فان فعلت ما تحب وامكنتك بعض الامكان
ولم تبلغ ما تريد فاخبرني بذلك ففعل قال وقلت له مر المراة فلتسلها

عن حالها في نفسها وحالك عندها فلعل فيها طبيعة من الحيا تمنعها من
الانبساط أو لعلها غِرّة لا يلتمس ما قبلها بالخُرق فَفَعل وأمر المرأة ان
تكشفها عن ذات نفسها فشكت اليها الخرق فأشارت عليها بالمتابعة
وقالت اعتبري بما ترين من حال هذا الحمام فقد ترين الزوجين كيف
كيف يصنعان فقالت قد تأملت ذلك فعجبت منه ولست لحسنه
فقالت لها تمتعي به ولا تحملي على نفسك له وان وجدت من نفسك
شيئا تدعوك اليه لذة فاصنعيه فان ذلك يأخذ بقلبه ويزيد في حبه
ويحرك ذلك منه أكثر مما أعطاك فلم يلبث أن نال حاجته وسقطت
الحشمة وذهبت المداراة فكان سبب الصنع لهما والخروج من الوحشة
الى الأنسة ومن الحال الداعية الى مفارقتها الى الحال الداعية الى حلاوتها
والضن بها الحمام قال صاحب الحمام ما اكثر من الرجال من ليس
يمنعه من ادخال الحمام الى نسائه الا هذا الشي الذي حث عليه صاحب
الفراسة وذلك ان تلك الروية تذكر وتشهي وتحن واكثر النسا بين
ثلثة احوال اما امرأة قد مات زوجها فتحرك طباعها اخطار بامانتها
وعفافها والمغيبة في مثل هذا المعنى والثالثة امرأة قد طال لبثها
مع زوجها فقد ذهب الاستطراف وماتت الشهوة فاذا رأت
ذلك تحرك منها كل ساكن وذكرت ما كانت عنه مندوحة والمرأة
سليمة العرض والدين والصدر ما لم تجش في صدرها الخواطر ولم تتوهم
حالات اللذة وتخير الشهوة فاما اذا وقع ذلك فعزمها أضعف العزم

وعزمها على ركوب الهوى أقوى العزم فاما الابكار الغريرات فهن الى
أن يؤخذن بالقراة في المصحف ويحتال لهن الى أن يصرن الى حال
الشيخ والجبن والكزازة وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل
قليلا ولا كثيرا أحوج ولقد ركبت عجوز سندية ظهر بعير فلما اقبل
بها هز البعير وأدبر فمخضها مخض السقا وجعلها مرة كانها تزهز
قالت بلسانها وهي سندية عجمية أخزى الله هذا الزمل فانه يذكر
بالسر تريد أخزى الله هذا الجمل فانه يذكر بالشر قال حدثنا بهذه النادرة
محمد بن عباد بن كاسب قال وحدثنا ربعي الأنصاري ان عجوزا من
الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها
قدحا فطابت نفسها وتبسمت ثم سقوها قدحا آخر فاحمر وجهها
وضحكت فسقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسايكم بالعراق
أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة وزعم ابرهيم
الأنصاري المعتزلي ان عباس بن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض
جواريه فأبصر حماما قد قمط حمامة ثم كسح بذنبه ونفش ريشه فقال
لمن هذا الحمام فقالوا لفلان خادمك يعنون خصيا له فقدمه فضرب
عنقه وقد قال الحطيئة لفتيان من بني قريع وقد كانوا ربما جلسوا بقرب
خيمته فتغنى بعضهم غنا الركبان فقال يا بني قريع اياي والغنا
فان الغنا داعية الزنا واما ابو احمد التمار المتكلم فانه شهد
صاحب حمام في يوم مجي حمامه من واسط وكانت واسط يومئذ

الغاية فراه كلما اقبل طاير من حمامه نعر ورقص فقال والله اني لأرى
منك عجبا أراك تفرح بان جاءك حمام من واسط وهو ذاك الذي كان
وهو الذي جاء وهو الذي اهتدى وأنت لم تجي ولم تهتد وحين جا من واسط
لم يجي معه بشي من خبر ابي حمزة ولا بشي من مقاريض واسط وبزيون واسط
ولا جامعه شي من خطمي وشي من جوز وشي من زبيب وقد مت بكسكر
فاين كان عن جد السكر ودجاج كسكر وسمك كسكر وصحناة كسكر وربيثا
كسكر وشعير كسكر وذهب صحيحا نشيطا ورجع مريضا كسلان وقد
غرمت ما غرمت فقل لي ما وجهه فرحك قال فرحي اني ارجو أن أبيعه
بخمسين دينارا قال ومن يشتريه منك بخمسين دينارا قال فلان
وفلان فقام ومضى الى فلان فقال زعم فلان انك تشتري حماما
جا من واسط بخمسين دينارا قال صدق قال فقل لي فلم تشتريه بخمسين
دينارا قال لانه جا من واسط قال واذا جا من واسط فلم تشتريه
بخمسين دينارا قال لاني ابيع الفرخ منه بثلثة دنانير والبيضة بدينارين
قال ومن يشتريه منك قال مثل فلان وفلان فاخذ ثوبه ومضى الى فلان
فقال زعم فلان انك تشتري منه فرخا من طاير جا من واسط بثلثة
دنانير والبيضة بدينارين قال صدق قال فقل لي لم تشتري فرخه بثلثة
دنانير قال لان اباه جا من واسط قال ولم تشتريه بثلثة دنانير اذا جا
ابوه من واسط قال لاني ارجو ان يجي من واسط قال واذا جا من واسط
اي شي يكون قال يكون ان ابيعه بخمسين دينارا قال ومن يشتريه

منك بخمسين دينارا قال فلان يشتريه بخمسين دينارا قال فتركه
ومضى الى فلان فقال زعم فلان ان فرخا من فراخه اذا جا من واسط
اشتريته قال صدق قال فلم تشتريه بخمسين دينارا قال لانه جا من
واسط قال فاذا جا من واسط لم تشتريه بخمسين دينارا فاعاد
عليه مثل قوله الاول فقال لا رزق الله من يشتري حماما جا من
واسط بخمسين ولا رزق الله الا من لا يشتريه بقليل ولا كثير وابو احمد هذا
هو الذي قال وهو يعظ بعض المسرفين لو ان رجلا كان عنده الف الف
دينار ثم أنفقها لذهبت كلها وانما سمع قول القايل لو ان رجلا عنده الف
الف دينار فاخذ منها ولم يضع عليها لكان خليقا أن ياتي عليها
وهو الذي قال في قصصه ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم حق
الجار وقال فيه قولا استحيي والله من ذكره وهو الذي قال لمهتدي بلغني
ان في ارضك لشا بهيمتا فهب لي منه أمرا من أمر الله عظيما وكان
جد الاقبل أن يكون تمارا فزعم عنه سليمن الجدال واخوه ثابت
انه قال يوما وذكر الحمام حين زهد في بيع الحمام وذكر بعض الملوك
فقال اما فلان فانه لما بلغني انه يلعب بالحمام سقط من عيني

تم القول في الحمام والحمد لله وحده

القول في الذبان

بسم الله وبالله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على
رسول الله اوصيك أيها القارئ المتفهم وأيها السامع المصيخ

أن لا تحقر شيئاً أبداً لصغر جثته ولا تستصغر قدره لقلة ثمنه ثم اعلم بأن
الجبل ليس بأدل على الله من الحصاة وأن الفلك المشتمل على عالمنا هذا
ليس بأدل على الله من بدن الإنسان وأن صغير ذلك ودقيقه كعظيمه
وجليله ولم تفترق الأمور في حقائقها وإنما افترق المفكرون فيها
ومن أهمل النظر وأغفل مواضع الفرق وفصول الحدود فمن قبل ترك
النظر ومن قبل قطع النظر ومن قبل جهة النظر من غير جهة النظر ومن
قبل الإخلال ببعض المقدمات ومن قبل ابتداء النظر من جهة النظر
واستتمام مع انتظام المقدمات اختلفوا وهذه الخصال هي جماع هذا
الباب إلا ما لم نذكره من باب العجز والنقص فإن الذي امتنع من المعرفة من
قبل النقصان الذي في الخلقة باب على حدة وإنما ذكرنا باب الخطأ والصواب
والتقصير والتكميل وإياك أن تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق
ولتفاوت التركيب ولأنه مشنوء في العين أو لأنه قليل النفع والرد
فإن الذي تظن أنه أقلها نفعاً لعله أن يكون أكثرها رداً فإن لا يكن
ذلك من جهة عاجل أمر الدنيا كان ذلك في آجل أمر الدين وثواب الدين
وعقابه باقيان ومنافع الدنيا فانية زائلة فلذلك قدمت الآخرة على
الأولى فإذا رأيت شيئاً من الحيوان بعيداً عن المعاونة وجاهلاً بسبب
المكانفة أو كان مما يشتد ضرره وتشتد الحراسة منه كذوات
الأنياب من الحيات والذئاب وذوات المخالب من الأسد والنمور
وذوات الإبر والشعر من العقارب والدبر فاعلم أن منافعها

من جهة الامتحان والبلوى ومن جهة ما أعد الله للصابرين ولمن فهم
عنه ولمن علم أن الاختيار والاختبار لا يكون إلا بالمزاوجة بين
المكروه والمحبوب والمؤلم والملذ والمحقر والمعظم والمأمون والمخوف
فإذا كان الحظ الأكبر في الاختيار والاختبار وبهما يتوصل إلى ولاية
الله وأبد كرامته وكان ذلك لا يكون إلا في الدار الممزوجة من الخير
والشر والمشتركة المركبة فليعلم موضع النفع في خلق العقرب ومكان
النفع في صنع الحية ولا تحقرن الجرجس والفراش والذر والذبان
ولتقف حتى تفكر في الباب الذي رميت إليه بجملته فإنك ستكثر حمد الله
في خلق الهمج والحشرات وذوات السموم والأنياب كما تحمده على خلق الأغذية
من الماء والنسيم فإن أردت الزراية والتحقير والعداوة والتصغير فاصرف
ذلك كله إلى الجن والإنس فاحقر منهم كل من عمل عملاً من جهة الاختيار
يستوجب به الاحتقار ويستحق عنده المقت من وجه التصغير به من
وجه فإن أنت نبهت الطبيعة واستقللت من جهة الفطرة ضربين
من الحيوان ضرب يقتلك بسمه وضرب يقتلك بشدة أسره لم تلم إلا أن
عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما إلا ذاك وإنما خلقهما لتصبر على أذاهما
لأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها إلا بالصبر والصبر لا يكون
إلا على عاجل مكروه فسواء عليك لكان المكروه سبعاً أو مرضاً قاتلاً
وعلى أنك لا تدري لعل النزع والعلز والحشرجة أن تكون أشد من لدغ
حية فإن لا تكن له حرقة كحرقة النار وألم كألم الدهق فلعل هناك

من الكرب ما يكون موقعه من النفس فوق ذلك وقد علمنا ان الناس يتمنون
الانتظار لوقع السيف على صليف العنق جهد البلاء وليس ذلك الجهد
من شكل لذع النار والم ضرب العصي فافهم يرحمك الله مواقع النفع كما
يعرفها اهل الحكمة واصحاب الاحساس الصحيحة ولا تذهب في الامور
مذهب العامة وقد جعلك الله من الخاصة فانك مسؤول عن هذه
الفضيلة فانها لم تجعل لغوا ولم تترك هملا واصرف بغضك الى من
مرد ظلمك ولا يراقب فيك الا ولا ذمة ولا كتابا ولا سنة وكلما
زادك الله نعمة ازداد عليك حنقا ولك بغضا وفر كل الفرار واهرب
كل الهرب واحترس كل الاحتراس ممن لا يراقب الله فانه لا يخلو من
احد امرين اما ان يكون لا يعرف ربه مع ظهور آياته ودلالاته
وسبوغ آلائه وتتابع نعمائه ومع برهانات رسله وبيان كتبه واما
ان يكون به عارفا وبدينه موقنا وعليه مجترئا وبحرماته مستخفا
فان كان بحقه جاهلا فهو بحقك اجهل وله انكر وان كان به عارفا
وعليه مجترئا فهو عليك اجرا ولحقوقك اضيع ولاياديك اكفر فاما
خلق البعوضة والنملة والفراشة والذرة والذبان والجعلان واليعا
والجراد فاياك ان تتهاون بشان هذا الجند وتستخف بالآلة التي
في هذا الذرء فربت امة قد اجلاها عن مساكنها النمل ونفاها عن
مساقط رؤوسها الذر واهلكت بالفار وجردت بالجراد وعذبت
بالبعوض وافسد عيشها الذبان فهي جند ان اراد الله ان يهلك بها

قوما بعد طغيانهم وتجبرهم ليعرفوا وليعرف بهم ان كثير امرهم لا يقوم
بالقليل من امر الله وفيها بعد معتبر وموعظة ومصالح لمن استبصر
وبلوى ومحنة وعذاب ونقمة وسبب الى الفكرة والصبر وهما جماع
الخير في باب المعرفة والابانة في باب الاجر وعظم المثوبة وسنذكر
جملة من شان الذبان ثم نقول في جملة ما يحضرنا من شان الجعلان والعربان
قالوا يقال في موضع الذم والهجا ما هم الا فراش نار ويقال اطيش من فراشة
واذل من ذبابة وقال الشاعر

كان بني ذويبة رهط قين ... فراش حول نار يصطلينا
يطفن بحرها ويقعن فيها ... ولا يدرين ماذا يتقينا

والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والدبر كلها من الذبان واما قوله
ازهى من ذباب فلان الذباب يسقط على انف الملك الجبار وعلى موق
عينيه لياكله ثم يطرده فلا ينطرد والانف هو النخوة وموضع التجبر
وكان من شان البطارقة وقواد الملوك اذا انفوا من شي ان ينخروا كما ينخر
الثور عند الذبح والبرذون عند النشاط والانف هو موضع الخنزوانة
والنعرة واذا نعرت الناقة بعد ان تلقح فانما تزم بانفها والاصيد
الملك الذي تراه ابدا من كبره مايل الوجه وشبه بالاسد فقيل اصيد
لان عنق الاسد من عظم واحد فهو لا يلتفت الا بكله فلذلك يقال
للمتكبر انما انفه في اسلوب ويقال ارغم الله انفه واذل معطسه
ويقال وستفعل ذلك وانفك راغم والرغام التراب ولولا كذا

لهشمت أنفك وانما يخصون بذلك الانف لان الكبر اليه يضاف وقال الشاعر

يا رب من يبغض أذوادنا رحن على بغضائه واغتدين

لو نبت البقل على أنفه لرحن منه أصلا قد أبين ١٢٩

ويقال بعير مذبوب اذا عرض له دا يدعو الذبان الى السقوط عليه
وهم يعرفون الغدة اذا فشت وأصابت البعير بسقوط الذبان عليه
وبسقوط الذبان على البعير يحتال الجمال للسلطان اذا كان
قد تسخر ابله وهو لذلك كاره فاذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة
كريمة فانه يعمد الى الخضخاض فيصب فيه شيئا من دبس ثم يطلي به
ذلك البعير فاذا وجد الذبان ريح الدبس تساقطن عليه فتدعى عند
ذلك انه غدة ويجعل الشاهد عند السلطان ما يوجد عليه من الذبان
فما اكثر ما يخلصون من كرائم اموالهم بالحيل من أيدي السلطان ولا
يفطن ذلك السلطان الا انه متى شا أن يبيع مائة اعرابي مدرهم فعل
والغدة عندهم تعدى وطباع الابل اقبل شي الادوا التي تعدى فيقول
الجمال عند ذلك للسلطان لو لم أخف على الابل الا على بعيري هذا المغيد
لم ابل ولكني اخاف اعدا الغدة ومعرتها في سائر مالي فلا يزال يستعطفه
بذلك ويحتال له به حتى يخلي سبيله ويقال ان الذبان لا تقرب
قدرا فيها كماة كما لا تدخل سام أبرص بيتا فيه زعفران ومن اصابه
عض الكلب الكلب حمو وجهه من سقوط الذبان عليه قالوا وهو اشد
عليه من سقوط النبر على البعير والنبر دويبة اذا دبت على البعير

تورم وربما كان ذلك سبب هلاكه قال الشاعر وهو يذكر سمن ابله في عظم ابدانها

حمر تحقنت النجيل كأنما بجلودهن مدارج الأنبار

وليس في الأرض ذباب الا وهو أقرح ولا في الأرض بعير الا وهو أعلم
كما انه ليس في الأرض ثور الا وهو أفطس وفي ان كل بعير اعلم يقول عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم

كأنه قال كشدق البعير اذ كان كل بعير أعلم والشعرا يشبهون الضربة
١٣٠ بشدق البعير ولذلك قال الشاعر

كم ضربة لك تحكي فا قراسية من المصاعب في أشداقها شنع

وقال الكميت مشافر قرحى أكلن البريرا

واذا قيل الأعلم علم انه البعير واذا قيل الأقرح علم انه يعني الذباب
وقد قال الشاعر

ولأنت أطيش حين تغدو سادرا حذر الطعان من القدوح الأقرح

يعني الذباب لانه أقرح ولانه يحك أبدا احدى ذراعيه على الأخرى
كأنه يقدح بعودي مرخ وعفار أو عرجون أو غير ذلك مما يقدح به
ولا نعلم في الأرض شاعرا تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب
عجيب أو في معنى شريف كريم أو في معنى عهب بديع مخترع الا
وكل من جا من الشعرا من بعده أو معه ان هو لم يعد على لفظه
فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى
ويجعل نفسه شريكا فيه وكالمعنى الذي تتنازعه الشعرا فتختلف

الفاظهم واعاريض اشعارهم ولا يكون احد منهم احق بذلك المعنى من صاحبه
اولعله يجحد انه سمع بذلك المعنى قط وقال خطر على بالى من غير سماع كما
خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به الا ما كان من عنترة في صفة
الذباب فانه وصفه فاجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعرا فلم يعرض له
احد منهم ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه
لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

وترى الذباب بها يغنى وحده هزجا كفعل الشارب المترنم ١٤١

غردا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

يريد فعل المكب الاقطع على الزناد والاجذم المقطوع اليدين فوصف
الذباب اذا كان واقعا ثم حك احدى يديه بالاخرى فشبهه عند ذلك برجل
مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فانه يفعل ذلك
ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاه غير شعر عنترة وكان عندنا
في بنى العدوية شيخ منهم شديد العارضة فيه توضيع فسمعنى اقول
وقد جا في الحديث ان تحت جناح الذباب اليمين شفا وتحت جناحه
الاخر سما فاذا سقط في انا او في شراب او في مرق فاغمسوه فيه فانه
يرفع عند ذلك الجناح الذى فيه الشفا ويحط الجناح الذى تحته السم
فقال بابى انت وامى هذه تجمع العداوة والمكيدة وكان عندنا ناس من
الازد وابن حزن هذا عدوى من آل عوج وكان يتعصب لاصحابه

من بنى تميم وكانوا على النبيذ فسقط ذباب في قدح انسان اخر فقال
بعضهم غطه التميمى ثم سقط اخر في قدح انسان اخر فقال بعضهم
غطه التميمى فلما كان في الثالثة قال ابن حزن غطه فانه ان كان
تميميا رسب وان كان ازديا طفا فقال رب المنزل ما يسرنى انه كان
نعتكم حرفا وانما عنى ان ازد عمان ملاحون والذبان ضروب
سوى ما ذكرنا من الفراش والنحل والزنابير فمنها الشعرا قال الراجز

ذبان شعرا وبنت مايل وللكلاب ذبان على حدة يخلق منها

ولا تريد سواها ومنها ذبان الكلا والرياض وكل نوع منها يالف
ماخلق منه قال ابو النجم ١٤٧

مستاسد ذبانه في غيطل يقلن للرايد اعشبت انزل

والعرب تسمى طنين الذباب والبعوض غنا وقال الاخطل

فردا تغنيه ذبان الرياض كما غنى الغواة بصنج عند اسوار

وقال حضرمى بن عامر في طنين الذباب

ما زال اهدا القصايد بيننا شتم الصديق وكثرة الالقاب

حتى تركت كان امرك بينهم في كل مجمعة طنين ذباب

ويقال ما قولى هذا عندك الا كطنين ذباب وللذبان وقت هيج للسفاد
مع قصر اعمارها وفي الحديث ان عمر الذباب اربعون يوما ولها ايضا
وقت هيج على اكل الناس وعضهم وشرب دمايهم وانما يعرض هذا الذبان
البيوت عند قرب ايامها فان هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا والذبان

يعنى ومن عمان الملاح حتى معرفة السباحة فهم لا يغرقون

موضعه الثور

بعنى فتح الواو وكسر الشين المعجمة وسكون اليا

فى وقتٍ من الأوقات حصون للابل والدواب والذبان والبعوض من
ذوات الخراطيم فلذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ وقال
الراجز فى وصف البعوضة

مثل السفاة دايم طنينها ... ركب فى خرطومها سكينها ١٤٢

وقالوا ذوات الخراطيم من كل شى أقوى عضا ونابا وفكا كالذيب والخنزير
والكلب واما الفيل فان خرطومه هو انفه كما ان لكل شى من الحيوان
أنفا وهو يده ومنه يغنى وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر الصوت
فى القصبة بالنفخ ومتى تضاغط الهوا صوت على قدر الضغط وعلى
قدر السبب والذباب اسم للواحد والذبان اسم الجماعة واذا ارادو
التصغير والتقليل قالوا كما قال الشاعر

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز فى جو السحاب
فما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزية الذباب

وقال آخر

لما رأيت القصر أغلق بابه ... وتعلقت همدان بالاسباب
أيقنت ان امارة ابن مضارب ... لم يبق منها قيس أير ذباب

وقال بعضهم لم يرد مقدار أيره انما ذهب الى مثل قول ابن أحمر

ما كنت عن قومى بذا اهلة ... لو ان معصيا له أمر
كلفتنى مخ البعوض فقد ... اقصرت لا نجح ولا عذر

وقالوا ليس شى مما يطير يلغ فى الدم وانما يلغ فى الدما من السباع
ذوات الاربع فاما الطير فانما يشرب حسا وجرعا ونغبة بعد نغبة
وسباع الطير قليلة الشرب للما والاسد كذلك وقال أبو زبيد الطاى

تذب عنه كف بها رمق ... طيرا عكوفا كزور العرس
اذا ونى ونية دلفن له ... فهن من والغ ومنتهس ١٤٤

قالوا فالطير لا يلغ وانما يلغ الذباب وجعله من الطير وهو وان كان
يطير وليس ذلك من اسمايه فاذ قد جاز أن يستعير له اسم الطاير
جاز أن يستعير للطير ولغ السباع فيجعل حسوها ولغا وقال الشاعر

سريع الى ولغ الدما رماحهم ... وفى الحرب والهيجا اسود ضراغم

قال وفى الذبان خصلتان من الخصال المحمودة اما احداهما فقرب
الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها لمن اراد اخراجها من البيت
فليس بينه وبين أن يكون البيت على المقدار الاول من الضيا والكن
بعد اخراجها مع السلامة من التاذى بالذبان الا أن يغلق الباب
فانهن يتبادرن الى الخروج ويتسابقن فى طلب الضوء والهرب من
الظلمة فاذا ارخى الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من
مكروه الذبان فان كان فى الباب شق والا جافى المغلق احد
البابين عن صاحبه ولم يطبقه عليه اطباقا وربما خرجن من الفتح
الذى لا يزال يكون بين أسفل الباب والعتبة والحيلة فى اخراجها
والسلامة من أذاها يسيرة وليس كذلك البعوض لان البعوض
انما يقوى سلطانه ويشتد كلبه فى الظلمة كما يقوى سلطان الذبان

فى الضيا وليس يمكن الناس أن يخلو منازلهم من الضيا ما يمنع عمل البعوض
لان ذلك لا يكون الا بادخال الشمس والبعوض لا يكون الا فى الصيف وشمس
الصيف لا صبر عليها وليس فى الارض ضيا انفصل من الشمس الا ومعه
نصيب من الحر وقد يفارق الحر الضيا فى بعض المواضع والضيا
لا يفارق الحر فى مكان من الاماكن وامكان الحيلة فى الذبان يسير وفى
البعوض عسير والفضيلة الاخرى على انه لولا ان الذبابة تاكل
البعوض وتطلبها وتلتمسها على وجوه حيطان البيوت وفى الزوايا
لما كان لاهلها فيها قرار وذكر محمد بن الجهم فيما خبرنى به بعض الثقات
انه قال لهم ذات يوم هل تعرفون الخبر الذى استفدناه فى الذبان قلنا
لا قال بلى اعلموا انها تاكل البعوض وتصيده وتلتقطه وتفنيه وذلك انى
كنت اريد القايلة فامر باخراج الذبان وطرح الستر واغلاق الباب
قبل ذلك بساعة فاذا اخرجن حصل فى البيت البعوض فى سلطان البعوض
وموضع قوته فكنت ادخل الى القايلة فياكلنى البعوض اكلا فاتيت
ذلك المنزل فى وقت القايلة فاذا البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان
الغلمان اغفلوا ذلك فى يومهم فلما اضطجعت للقايلة لم اجد البعوض
كثيرا وقد كان غضبى اشتد على الغلمان فنمت فى عافية فلما كان الغد
اعادوا اغلاق الباب واخراج الذبان فدخلته التمس القايلة فاذا البعوض
كثير ثم انهم اغفلوا اغلاق الباب يوما آخر فلما رايته مفتوحا شتمتهم
فلما صرت الى القايلة لم اجد بعوضة واحدة فقلت فى نفسى عند ذلك

أرانى قد نمت فى يومى الاعقال والتضييع وامتنع منى النوم فى ايام التحفظ
والاحتراس فلم لا اجرب ترك اغلاق الباب فى يومى هذا فانى نمت يومين
لا القى من البعوض اذى مع فتح الباب علمت ان الصواب فى الجمع بين
الذبان والبعوض وان الذبان هى التى تفنيه وان صلاح امرنا فى تقريب
ما كنا نباعد ففعلت ذلك فاذا الامر قد تم فصرنا اذا اردنا اخراج الذبان
اخرجناها بايسر حيلة واذا اردنا افنا البعوض افنيناها على ايدى الذبان
بايسر حيلة فهاتان خصلتان من مناقب الذبان وكان ابن الجهم
يقول لا تتهاون بكثير مما ترون من علاج القوابل والعجايز فان كثيرا
من ذلك انما وقع اليهم من قبل قدما الاطباء كالذبان يلقى فى الاثمد
فيسحق معه ليزيد ذلك فى نور البصر ونفاذ النظر وفى تشديد مراكز
شعر الاجفان فى حافات الجفون وقلت له مرة قيل لماسرجويه
ما بال الاكرة وسكان البساتين مع اكلهم الكراث والتمر وشربهم
ما السواقى على المالح اقل الناس خفشانا وعميانا وعمشانا وعورا
قال قد فكرت فى ذلك فلم اجد له علة الا طول وقوع ابصارهم على الخضرة
فقال ابن الجهم من اهل السفالة ناس ياكلون الذبان وهم لا يرمدون
وليس لذلك اكلوه وانما هم كاهل خراسان الذين ياكلون فراخ الزنابير
والزنابير ذبان واصحاب الجبن الرطب ياكلون ديدان الجبن وكان
الفرزدق يقول ليت انهم دفعوا الى نصيبى من الذبان ضربة واحدة
بشرط ان آكله لراحة الابد منه وكان زعمو شديد التقذر لها

الاكره بوزن كتبه جمع اكار بفتح الهمزه وتشديد الكاف وآخره را مهمله الفلاح والزارع ه

والنقوز منها وقال ثمامة تساقط الذبان في مرق بعض القصاص
وعلى وجهه فقال كثر الله بكن القبور وحكى ثمامة عن هذا القاص انه
سمعه بعبادان يقول في قصصه اللهم من علينا بالشهادة وعلى جميع المسلمين
وقال المكي مرة انما عمر الذباب اربعون يوما فقلت هكذا جا في الاثر
وكنا يومئذ بواسط في بعض ايام العساكر وليس بعد ارض الهند اكثر
ذبابا من واسط ولربما رايت الحايط وكان عليه مسحا شديد
السواد من كثرة ما عليه من الذبان فقلت للمكي احسب ان الذبابة
تموت في كل اربعين يوما وان شئت ففي اكثر وان شئت ففي اقل نحن
كما ترى ندوسها بارجلنا ونحن هاهنا مقيمون من اكثر من اربعين يوما
واربعين يوما بل منذ اشهر واشهر وما راينا ذبابا واحدا ميتا فلو كان
الامر كما تقول لراينا الموتى كما راينا الاحيا قال ان الذبان اذا ارادت
ان تموت ذهبت الى بعض الخرابات فماتت قلت فانا قد دخلنا كل
خربة في الدنيا ما راينا فيها قط ذبابا ميتا وكان المكي طيبا طيب الحجج
كثير الحيل عجيب العلل وكان يدعي كل شي على غاية الاحكام ولم يحكم
شيا قط لا من الجليل ولا من الدقيق واذ قد جرى ذكره فساحدثك
ببعض احاديثه واخبرك عن بعض علله لتتلهى بها ساعة
ثم نعود الى بقية ذكر الذبان ادعى المكي البصر بالبراذين ونظر الى برذون
واقف قد القى صاحبه في فيه اللجام فراى فاس اللجام واين بلغ
منه فقال لي العجب كيف لا يذرعه القي وانا لو ادخلت اصبعي

الصغرى في حلقي لما بقي في جوفي شي الا خرج قلت الان علمت انك بصير ثم
مكث البرذون ساعة يلوك اللجام فاقبل علي فقال كيف لا يبرد اسنانه
قلت انما يكون علم هذا عند البصرا مثلك ثم راى البرذون كلما لاك الحديدة
سال لعابه على الارض فاقبل علي وقال لولا ان البرذون افسد الخلق
عقلا لكان ذهنه قد صفا قلت له قد كنت اشك في بصرك بالدواب
فاما بعد هذا فلني لست اشك فيه وقلت له مرة ونحن في طريق بغداد
ما بال الفرسخ من هذا الطريق يكون فرسخين والفرسخ يكون اقل من
مقدار نصف فرسخ ففكر طويلا ثم قال كان كسرى يقطع الفراسخ فاذا
صاحب القطيعة تادوه واذا لم يصانع نقصوه وقلت له مرة علمت
ان السياري حدثني ان المخلوع بعث الى المامون بجراب فيه سمسم كانه
يخبره ان عنده من الجند بعدد ذلك الحب وان المامون بعث اليه بديك
اعور يريد ان طاهر بن الحسين يقتلهم كلهم كما يلقط الديك الحب
فقال ان هذا الحديث انا ولدته ولكن انظر كيف قد سار في الافاق
واعاجيبه كثيرة ثم رجع بنا القول الى صلة كلامنا في الاخبار
عن الذبان فاما سكان بلاد الهند فانهم لا يطبخون قدرا ولا يعملون
حلوى ولا يكادون ياكلون الا ليلا لما يتهافت من الذبان في طعامهم
وهذا يدل على عفن التربة ولخن الهوا قال وللذبان يعاسيب
وجحلان ولكن ليس لها قايد ولا امير ولو كانت هذه الاصناف
التي تحرس بعضها بعضا وتتخذ رييسا يدبرها ويحوطها انما خرج ذلك

منها العقل دون الطبع وكالشي يخص به البعض دون البعض لكان الذر
والنمل احق بذلك من الكراكي والغرانيق والثيران ولكان الفيل احق به
من البعير لانه ليس للذر قايد ولا حارس ولا يعسوب يجمعها ويحميها
بعض المواضع ويوردها بعض المواضع وكل قايد فهو يعسوب
ذلك الجيش المقود وهذا الاسم مستعار من فحل النحل وامير العسالات
ولذلك قال الشاعر وهو يعني الثور

١٤٩ كما ضرب اليعسوب ان عاف باقر وما ذنبه ان عافت الما باقر

وكما قال علي بن ابي طالب عليه السلم في صلاح الزمان وفساده فاذا كان
ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه وعلى ذلك المعنى قال لما مر بعبد الرحمن
ابن عتاب بن اسيد قتيلا يوم الجمل لهفي عليك يعسوب قريش جدعت انفي وشفيت
نفسي قالوا وعلى هذا المعنى قيل يعسوب الطفاوة وزعم بعض الحكما
انه لا ينبغي ان يكون في الارض شي من جميع الاشيا انتن من العذرة
وكما انه لا شي انتن من العذرة فكذلك لا شي اقذر من الذباب والقمل اما
العذرة فلولا انها كذلك لكان الانسان مع طول رويته لها وكثرة شمه
لها من نفسه في كل يوم صباحا ومسا لقد كان ينبغي ان يكون ذلك
قد ذهب على الايام وتمحق او دخله النقص فشانها ستين عاما
اكثر او اقل على مقدار واحد من النتن في انف من قد وجده الف عام
وقد راينا المراين والعادات وصنيعها في الطبايع كيف تهون
الشديد وتقلل الكثير فلولا انها فوق كل شي في النتن لما ثبتت هذا

١٥٠

الثبات ولعرض لها ما يعرض لساير النتن فلو كان انما يشم شيا خرج من جوف
غيره ولم يخرج من جوف نفسه لكان ذلك اشبه واذ قد ثبت في انفه على هذا
المقدار وهو منه دون غيره وحتى صار لجده انتن من رجيع جميع الاجناس
فليس ذلك الا لما قد خص به من المكروه وكذلك القول في القمل الذي انما يخلق
من عرق الانسان ومن رايحته ووسخ جلده وبخار بدنه وكذلك الذبان
المخالطة لهم في جميع الحالات والملابسة لهم دون جميع الهوام والهمج
والطير والبهايم والسباع حتى تكون الزم من كل ملازم واقرب من كل
قريب حتى ما يمتنع عليه شي من بدن الانسان ولا من ثوبه ولا من
طعامه ولا من شرابه حتى لزمه لزوما لم يلزمه شي قط كلزومه حتى
انه ليسافر السفر البعيد من مواضع الخصب فيقطع البراري والقفار
التي ليس بها ولا بقربها نبات ولا ماء ولا حيوان ثم مع ذلك يتوخى عند
الحاجة الى الغايط في تلك البرية ان يفارق اصحابه فيتباعد في ارض
قي وفي صخرة خلقا فاذا تبرز فمتى وقع بصره على برازه راى الذبان
ساقطا عليه وقبل ذلك ما كان لا يراه فان كان الذباب شيا خلق له
في تلك الساعة فهذا اعجب مما اردنا واكثر قلنا وان كان قد كان
ساقطا على الصخور الملس والبقاع الجرد في اليوم القايظ في الهاجرة
التي تشوي كل شي وينظر مجيه فهذا اعجب مما قلنا وان كانت
قد تبعته من الامصار اما طايرة معه واما ساقطة عليه فلما برز
استقلت منه الى برازه فهذا تحقيق لقولنا انه لا يلزم الانسان شي

[illegible]

لزوم الذباب لان العصافير والخطاطيف والزرازير والكلاب والسنانير
وكل شيء يألف دور الناس فهو يقيم مع الناس فاذا مضى الانسان
في سفره فصار كالمستوحش كالنازل وكالنازل بالقفار فكل شيء آهل
يألف الناس فانما هو مقيم على مثل ما كان عليه من الفه لهم ولا يتبعهم من دور
الناس الى منازل الوحش الا الذبان قال فاذا كان الانسان يستقذر
الذبان في مرقه وفي طعامه هذا الاستقذار ويستقذر القمل مع محله من
القرابة والنشوء منه هذا الاستقذار فمعلوم ان ذلك لم يكن الا لما قد
خصا به من القذر والا فدون هذه القرابة وهذه الملازمة تطيب
الانفس عن كثير من المحبوب قال وفي الذبان خبر آخر وذلك
انهن ربما تعودن المبيت على حوض فسيلة واقلابها من فسايل
الدور او شجرة او كلة او باب او سقف بيت فيطرد فاذا اجتمعن
لوقتهن عند المساء ليلتين او ثلث ليال فيفرقن ويهجرن ذلك المكان
في المستقبل وان كان المكان قريبا وهو لهن معرض ثم لا يدعن ان
يلتمسن مبيتا غيره ولا يعرض لهن من اللجاج في ذلك مثل الذي يعرض
لهن من كثرة الرجوع الى العينين والانف بعد الذب والطرد وبعد
الاجتهاد في ذلك وقال محمد بن حرب ينبغي ان يكون الذباب سما
ناقعا لان كل شيء يشتد اذاه باللمس دون غير ذلك فهو بالمداخلة
والملابسة اجدر ان يؤذي وهذه الافاعي والجرارات قد يمس
جلودها ناس فلا يضرهم الا ان تلابس ابرة العقرب وناب الافعى

الدم ونحن قد نجد الرجل يدخل في خرق انفه ذباب فيجول في اوله
من غير ان يجاوز ما حاذى روثة انفه ذباب وارنبته فيخرجه
الانسان من جوف انفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هناك
لبث ولا كان منه عض وليس الا ما مس بقوايمه واطراف
جناحيه فيقع في ذلك المكان من انفه من الدغدغة والاكال والحكة
ما لا يصنعه الحرب وبصل النرجس ولبن التين فليس يكون ذلك منه
الا وفي طبعه من مضادة طباع الانسان ما لا يبلغه مضادة شيء وان
افرط قال وليس الشان في انه لم ينخس ولم يجرح ولم يحز ولم يعض ولم
يغمز ولم يخدش وانما هو على قدر منافرة الطباع للطباع وعلى قدر
القرابة والمشاكلة وقد نجد الانسان يغتم بنفض الفتيلة وصوتها
عند قرب انطفا النار او لبعض البلل يكون قد خالط الفتيلة
ولا يكون الصوت بالشديد ولكن الاغتمام به والتكره له يكون
في مقدار ما يعتريه من اشد الاصوات ومن ذلك المكروه الذي يدخل
على الانسان من غطيط النايم وليست تلك الكراهة لعلة الشدة
والصلابة ولكن من قبل الصورة والمقدار وان لم يكن من قبل
الجنس وكذلك صوت احتكاك الآجر الجديد بعضه ببعض فان
النفس تكرهه كما تكره صوت الصاعقة ولو كان على ثقة من
السلامة من الاحتراق لما احتفل بالصاعقة ذلك الاحتفال
ولعل ذلك الصوت ان لو خالطه لم يقتله فاما الذي نشاهد اليوم

الأمر عليه فانه متى قرب منه قتله ولعل ذلك انما هو لان الشى اذا اشتد
صدمه فسخ القوة أو لعل الهوا الذى فى الانسان والمحيط به ان يحمى
ويستحيل نارا للذى قد شاركه لذلك الصوت من النار وهم لم يجدوا
الصوت شديدا جدا الا ما خالطه منه النار وقال ابن حرب
الذبان قوت خلق كثير من خلق الله وهو قوت الفراريج والخفافيش
والعنكبوت والخلد وضروب كثيرة من همج الطير وحشرات السباع
فاما الطير فكالسودانيات والخطافيات والشاهمركات وغير ذلك
من أصناف الطير فاما الضباع فانها تاكل الجيف وتدع فى أفواهها
فضولا وتفتح أفواهها للذبان فاذا احتشت ضمت عليها فهذه كلها
انما تصيد الذبان بنوع واحد وانما هو بالاختطاف والاختلاس
وباعجالها عن الوثوب اذا تلقطته بأطراف المناقير او كبعض ما ذكرنا
من اطباق الفم عليها واما الصيد الذى ليس للكلب ولا للعناق الارض الطير
ولا للفهد ولا لشى من ذوات الاربع مثله فى الحذق والختل والمداراة
وفى صواب الوثبة وفى التسديد وسرعة الخطف مثل الذى يقال له
الليث وهو صنف من العناكب فانك تجده اذا عاين الذباب ساقطا
كيف يلطا بالارض وكيف يسكن جميع جوارحه وكيف يجمع نفسه
للوثبة وكيف يوخر ذلك الى وقت الغرة وكيف يريها انه عنها
لاه فانك ترى من ذلك شيئا لم تره من فهد قط وان كان موصوفا
منعوتا واعلم انه قد ينبغى ان لا يكون فى الارض شى اصيد

لانه لا يطير ولا يصيد الا ما يطير ثم يصيد طائرا شديد الحذر ثم يصيد
صيادا الا ان الذباب يصيد البعوض وحذ يعتك للخداع اعجب وفى مكرك
بالمكار اغرب فكذلك صيد هذا الفرز من العنكبوت وزعم ان الوزغة
تختل الذبان وتصيدها صيدا حسنا شبيها بصيد الليث قال والزنبور
حريص على صيد الذبان ولكنه لا يطمع فيها الا ان تكون ساقطة على خرو
دون كل تمر وعسل وحلو لشدة عجبها بالخرو وتشاغلها به فعند ذلك
يطمع فيه الزنبور ويصيده وزعم الجرادى وتابعه كيسان ان الفهد
انما اخذ ذلك عن الليث وحتى راه الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه
فظننت انهما قلدا بعض من اذا املح شيئا اسرف فيه ويزعمون
ان السبع الصيود اذا كان مع سبع اصيد منه تعلم منه واخذ عنه
واحتذ وهذا لم احققه فاما الذى لا اشك فيه فان الطاير الحسن
الصوت الملحن اذا كان من نوايح الطير ومغنياتها فكان يقرب
طاير من شكله احذق منه واكرز وامهر جاوبه وحكاه او تعلم منه
او صنع شيئا يقوم مقام التعليم والبرذون يراض فيعرف ما يراد
منه فيعين على نفسه وربما استاجروا للطير رجلا يعلمها فاما
الذى رايته انا فالبلبل فقد رايت رجلا يدعى لها ويطارحها
من شكل اصواتها وفى الطير ما يخترع الاصوات واللحون التى
لم يسمع مثل المولف للحون من الناس فانه ربما انشا لحنا لم يمر على
اسماع المغنين قط واكثر ما يجدون ذلك من الطير فى السودانيات

ثم في الكرادنة وهي تاكل الذبان أكلا ذريعا ويقال ان اللجاج
من خلق ثلثة أشيا من جميع الحيوان الخنفسا والذبابة والدودة
الحمرا فانها في ابان ذلك تروم الصعود الى السقف وتمر على الحايط
الأملس شيا قليلا فتسقط ثم تعود فلا تزال تزداد شيا ثم تسقط
الى أن تفضي الى باطن السقف وربما سقطت ولم يبق عليها الا مقدار
اصبع ثم تعود والخنفسا تقبل قبل الانسان فيدفعها فتندفع بقدر
تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضا فيفعل بها اشد من تلك ثم تعود
حتى ربما كان ذلك سببا لغضبه ويكون غضبه سببا لقتلها وما زالوا
كذلك وما زالت كذلك حتى سقط الى المفاليس ان الخنافس تجلب الرزق
وان دنوها دليل على رزق حاضر من صلة او جايزة أو ربح أو هدية
أو حظ فصارت الخنافس وان دخلت في قمصهم ثم نفذت الى سراويلاتهم
لم يقولوا لها قليلا ولا كثيرا واكثر ما عندهم اليوم الدفع لها ببعض الرفق
ويظن بعضهم انه اذا دفعها فعادت ثم دفعها فعادت ان ذلك كلما
كان أكثر كان حظه في المال الذي تؤمله بمجيها أجزل فانظر آية وقاية
وآية واقية واي حارس وأي حصن انشاه لها هذا القول
واي حظ كان لها حين صدقوا بهذا الخبر هذا التصديق والطمع
هو الذي أثار هذا الامر من مواقعه والفقر هو الذي اجتذب هذا
الطمع واجتلبه ولكن ويل لها ان ألحت على غني عالم فقد كانوا
يقتلون الذباب الشديد الطنين الملح في ذلك الجهير الصوت الذي

تسميه العامة (العوام) أمير الذبان فكانوا يحتالون في ضربه وطرده وقتله
اذا اكربهم بكثرة طنينه وزجله وهماهمه فانه لا يفتر فلما سقط
اليهم انه مبشر بقدوم غايب وبرء سقيم صار اذا دخل المنزل
فاوسعهم شرا لم يهجه منهم أحد واذا أراد الله أن ينسئ في أجل شي من
الحيوان هيا لذلك سببا كما انه اذا أراد ان يقصر عمره ويحين يومه
هيا لذلك سببا فتعالى الله علوا كبيرا ثم رجع بنا القول الى
الحاح الذباب وكان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار
لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ركينا ولا وقورا حليما ضبط من نفسه
وملك من حركته مثل الذي ملك وضبط كان يصلي الغداة في منزله وهو
قريب الدار من مسجده فياتي مجلسه فيحتبي ولا يتكي فلا يزال منتصبا
لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل
ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كانه بنا مبني أو صخرة منصوبة
فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم ربما عاد الى مجلسه
بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراة العهد والشروط والوثايق
ثم يصلي العشا وينصرف ولم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة الى
الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك
كان شانه في طوال الايام وقصارها وفي صيفها وشتايها وكان
مع ذلك لا يحرك يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ
بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك ذات يوم واصحابه حواليه

فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود لمجلسه م

وفي السماطين بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال المكث ثم تحول
الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ
خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على انفه من غير ان يحرك
ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال ذلك من
الذباب وشغله واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل
اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان
والى بين الفتح والاطباق فتنحى ريث ما سكن جفنه ثم عاد الى موقه
اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان اوهاه
قبل ذلك فكان احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر في الثانية اقوى
فحرك اجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين وفي تتابع الفتح
والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه
فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره فبلغ مجهوده فلم يجد بدا من ان
يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه يرمقونه وكانهم
لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى
موضعه فالجاه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجاه الى
ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من حضر من امنائه وجلسائه
فلما نظروا اليه قال اشهد ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من
الغراب ثم قال استغفر الله فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله
ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا فقد علمت اني عند الناس

من ازمت الناس فقد غلبني وفضحني اضعف خلقه ثم تلا قول الله تعالى
ضعف الطالب والمطلوب وكان بين اللسان قليل فضول الكلام
وكان مهيبا في اصحابه وكان احد من لم يطعن عليه في نفسه
ولا في تعريض اصحابه للمنالة فاما الذي اصابني من الذبان
فاني خرجت امشي في المبارك اريد دير الربيع ولم اقدر على دابة
فمررت في اشب ونبات ملتف كثير الذباب فسقط ذباب من
تلك الذبان على انفي فطردته فتحول الى عيني فطردته فعاد الى موق
عيني فزدت في تحريك يدي فتنحى على قدر شدة حركتي وذبي عنه
وللذبان الكلاء والغياض والرياض وقع ليس لغيرها ثم عاد
الي فعدت عليه ثم عاد علي الحاحه فعدت باشد من ذلك فلما عاد
استعملت كمي فذببت به عن وجهي ثم عاد وانا في ذلك احث المشي
انقطاعه عني فلما عاد نزعت طيلساني من عنقي فذببت به عني
بدل كمي فلما عاد ولم اجد له حيلة استعملت العدو فعدوت منه
شوطا تاما لم اتكلف مثله مذ كنت صبيا فتلقاني الاندلسي فقال
ما لك يا ابا عثمن هل من حادثة قلت نعم اكبر الحوادث اريد
ان اخرج من موضع للذبان علي فيه سلطان فضحك حتى جلس
وانقطع عني وما صدقت بانقطاعه حتى تباعدت جدا
والعساكر كثيرة الذبان فاذا ارتحلوا لم ير المقيم بعد الظاعن منها
الا اليسير ويزعم بعض الناس انهن يتبعن العساكر ويسقطن

على المتاع وعلى جلال الدواب وأعجاز البراذين التي عليها أربابها حتى تؤدي
إلى المنزل الآخر وقال المكي يتبعوننا اليوم وثمّ لا يركبون إلا أعناقنا ودوابنا
ويقول بعضهم إنما تخلق من تلك العفونات والأبخرة والأنفاس فإذا
ذهبت فنيت مع ذهابها وزعموا أنهم يعرفون ذلك لكثرتها في الجنائب وقلّتها
في الشمال قالوا وربما سددنا فم الآنية التي فيها الشراب بالصمامة فإذا نزعناها
وجدنا هناك ذبانًا صغارًا وقال ذو الرمة
وأيقن أن القنع صارت نطافه فراشًا وأن البقل ذاو ويابس ١٥٩
القنع الموضع الذي يجمع فيه نقران الماء والفراش الماء الرقيق الذي يبقى في
أسفل الحياض وخبرني رجال من ثقيف من أصحاب النبيذ أنهم ربما فلقوا
السفرجل في أيام السفرجل للنقل والأكل وليس هناك من صغار الذبان
شيء فلا نعدمهم أن يروا على مقاطع السفرجل ذبانًا صغارًا ثم ربما رصدوها
وتأملوها فيجدونها تعظم حتى تلحق بالكبار في الساعة الواحدة قال
وفي الذبان طبع كطبع الجعلان وهو طبع غريب عجيب ولولا أن
العيان قهر أهله لكانوا خلقاء أن يدفعوا الخبر عنه فإن الجعل
إذا دفن في الورد مات في العين وفنيت حركته كلها وعاد بارزًا
جامدًا ولم يفصل الناظر إليه بينه وبين الجعل الميت ما أقام على تأملهما
فإذا أعيد إلى الروث عاد إليه حركة الحيوة من ساعته وجرّبت أنا مثل
ذلك في الخنفسا فوجدت الأمر فيها قريبًا من صفة الجعل ولم يبلغ كل ذلك
بقرابة ما بين الخنفسا والجعل ودخلت على ابن أبي كريمة وإذا هو

قد أخرج من إجّانة كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب وإذا ذبان كثير
قد تساقطن فيه من الليل فمتن هكذا كن في رأي العين فغبرت كذلك
عشيتهن وليلتهن والغد إلى انتصاف النهار ثم انتفخن وغضن واسترخين
وإذا ابن أبي كريمة قد أعد آجرًا جديدًا وفتات آجر جديد وإذا هو
يأخذ الخمس منها والست ثم يضعهن على ظهر الآجرة الجديدة ويذر عليهن
من دقاق ذلك الآجر الجديد المدقوق بقدر ما يغمرها فلا تلبث أن تراها
قد تحركت ثم مشت ثم طارت إلا أنه طيران ضعيف وكان
ابن أبي كريمة يقول لا والله لا دفنت ميتًا أبدًا حتى ينتن قلت وكيف ذاك
قال إن غلامي هذا نصيرًا مات فأخرت دفنه لبعض الأمر فقدم أخوه
تلك الليلة فقال ما أظن أخي مات ثم أخذ فتيلتين ضخمتين فروّاهما دهنًا
ثم أشعل فيهما نارًا ثم أطفأهما ثم قربهما إلى منخريه فلم يلبث أن تحرك
وها هو ذا تراه قلت له إن أصحاب الحروب والذين يغسلون الموتى
والأطبا عندهم في هذا دلالات وعلامات فلا تحمل على نفسك
وليكن أن لا تستره بالدفن حتى يجيف والمجوس يقربون الميت من
أنف الكلب ويستدلون بذلك على أمره فعلمت أن الذي عاينه في الذبان
قد زاد في عزمه والنعر ضرب من الذبان والواحدة نعرة وربما
في أنف البعير أو السبع فيزمّ بأنفه للذي يلقى من المكروه بسببه والعرب
يشبه ذا الكبر من الرجال إذا صعّر خده وزمّ بأنفه بذلك البعير
في تلك الحال فيقال عند ذلك فلان في أنفه نعرة وفيه خنزوانة

وقال والله لا اقلع عنه أو اطير نعرته ومنها القمع وهو ضرب من
ذبان الكلاء قال أوس بن حجر

ألم تران الله أنزل مزنة وعفر الظبا في الكناس تقمع ١٦١

وذلك مما يكون في الصيف وفي الحر والذبان جند من جند الله شديد
الاذى وربما كان اضر من الدبر في بعض الزمان وربما اتت على
القافلة بما فيها وذلك انها تغشى الدواب فاذا ضربت الأرض
بأنفسها وهي في المفاوز وسقطت هلك أهل القافلة لأنهم انما يخرجون
من تلك المفاوز على دوابهم ولذلك ينصرف الرعا بابلهم والجمالون بجمالهم
ولا يسكن تلك الناحية صاحب دابة ويقول بعضهم لبعض
بادروا قبل حركة الذبان وقبل أن يتحرك ذبان الرياض والكلاء
والزنابير لا تكاد تدمي اذا لسعت بأذنابها والذبان تغمس خراطيمها
في جوف لحوم الدواب وتخرق الجلود الغلاظ حتى يثير والدم ثروا
ولها مع شدة الوقع سموم وكذلك البعوضة ذات سم ولو زيد في بدن البعوضة
وزيد في حرقة لسعها الى أن يصير بدنها كبدن الجرادة فانها أصغر
العقارب لما قام له شي ولكان أعظم بلية من الجرارات ومن النصيبية
أضعافا كثيرة وربما رأيت الحمار كأنه ممغر أو معصفر وانهم مع ذلك
ليجللون حميرهم ويبرقعونها ولا يدعون موضعا الا ستروه بجهدهم
فربما رأيت الحمير وعليها الرجال فيما بين عبدسي والمذار وقد ضربت
بأنفسها واستسلمت للموت ولربما رأيت المكاري اذا كان

أجيرا يضربها بالعصي بكل جهده فلا تنبعث وليس لجلد البقرة
والجاموس والبعير عنه خطر ولقد رأيت ذبابا سقط على سالفة حمار
كان تحتي فضرب بأذنيه وحرك رأسه بكل جهده وأنا أتأمله وما يقلع
عنه الذباب فلما طال ذلك يطرده عنه قصدت له بالسوط لأنحيه به
فمع تروعه عنه نزا الدم كأنه كان يشرب الدم وقد سد المخرج بفيه
فلما نحاه طلع وتزعم العامة ان الذباب يخرأ على ما شا فقالوا
لانا نراه يخرأ على الشي الأسود ابيض وعلى الشي الأبيض اسود ويقال
قد ونم الذباب في معنى خرى الانسان وعر الطير وصام النعام
وذرق الحمام فقال الشاعر ١٦٢

وقد ونم الذباب عليه حتى كأن ونيمه نقط المداد

وقال ليس طول كوم البعير اذا ركب الناقة والخنزير اذا ركب
الخنزيرة بأطول ساعة من لبث ذكورة الذبان على ظهور الاناث
عند السفاد قال والذباب من الخلق الذي يكون مرة من السفاد
والولاد ومرة من تعفن الأجسام والفساد الحادث في الاجرام
والباقلي اذا عتق شيئا في الانبار استحال كله ذبابا فربما أعقلوه
في ذلك الانبار فيعودون الى الانبار وقد تطايرن من الكوى و
الخروق فلا يجدون في الانبار الا القشور والذباب الذي يخلق من
الباقلي يكون دودا ثم يعود ذبابا وما أكثر ما ترى الباقلي متقبا
وفي داخله شي كأنه مسحوق اذا كان الله قد خلق منه الذبان

وصيره وما اكثر ما تجده فيه تام الخلق ولم تتم جناحاه لقد كان طار
وحدثني بعض اصحابنا عن شيخ من اهل الخريبة قال كنت
احب الباقلى واردت اما البصرة واما بغداد فذهب عني حفظه
فصرت في سفينة حملها باقلى فقلت في نفسي هذا والله من الحظ ومن
سعادة الجد ومن التسديد والتوفيق وقد ابدع من وقع له مثل الذي
قد وقع لي اجلس في هذه السفينة على هذا الباقلى فآكل منه نيا ومقلوا
ومطبوخا وارض بعضه واطحنه واجعله فرقا وادما وهو يغذو غذاء
صالحا ويسمن ويزيد في الماء قال فابتدأت فيما املت فيه ودفعنا السفينة
فانكرت كثرة الذبان فلما كان الغد جاءني منه ما لم اقدر معه على اكل
ولا شرب وذهبت القايلة الحديث وشغلت بالذب على انهن لم يكن
يبرحن بالذب ولكن اكثر من اقوى عليهن لاني كنت لا اطرد ماية حتى
تخلف مكانها ماية وهن في اول ما يخرجن من الباقلى كان بها زمانة
فكلما كان طيرانهن اسوأ كان اسوأ لحالي فقلت للملاح ويلك اي شي معك
حتى صار الذبان يتبعك قد والله اكلت وشربت قال اوليس تعرف
القصة قلت لا والله قال هي والله من هذا الباقلى ولولا هذه
البلية لجانا من الركاب كما يجيئون الى جميع اصحاب الحمولات
وما ظننتك الا ممن اغتفر هذا اللين الكرا واحب التفرد بالسفينة
فسألته ان يقربني الى بعض القراحين اكترى من هناك الى حيث
اريد فقال لي افتحب ان اذودك عنه قلت ما احب ان التقي انا

والباقلى في طريق ابدا ولذلك كان ابو شمر لا ياكل الباقلى وكان اخذ
ذلك عن معلمه معمر الى الاشعث وكذلك كان عبد الله بن مسلمة بن
محارب والوكيعي ومعمر وابو الحسن المدايني برهة من دهرهم وكان
يقول لولا ان الباقلى عفن فاسد الطبع ردي دوي يخثر الدم ويغلظه
ويورث السوداء وكل بلاء لما ولد الذبان والذبان اقذر ما طار ومشى
وكان يقول كل شي ينبت منكوسا فهو ردي للذهن كالباقلى والباذنجان
وكان يزعم ان رجلا هرب من غرمايه فدخل في غابة باقلى فستر عنهم بها
فاراد بعضهم اخراجه والدخول فيها للطلبة فقال احكمهم واعلمهم
كفاكم له بموضعه شرا وكان يقول سمعت ناسا من اهل التجربة يحلفون
بالله ما اقام احد اربعين يوما في منبت الباقلى فخرج منه الا وقد اسقمه
ذلك سقما لا يزايل مثله وزعم ان الذي منع اصحاب الادهان
والتربية بالسمسم من ان يرتبوا السمسم بنور الباقلى الذي يعرفون
من فساد طباعه وانه غير مامون على الدماغ وعلى الخيشوم والسماخ
ويزعمون ان علته الذي هو علة القصد الى الذهن بالافساد له وكان
يزعم ان علته كل شي يكون رديا للعصب فانه يكون رديا للذهن
وان البصل يفسد الذهن اذ كان رديا للعصب وان البلادر انما انما كان صح
صار يصلح العقل ويورث الحفظ لانه صالح للعصب وكان
يقول سواء علي اكلت الذبان او اكلت شيئا لا يولد الا الذبان
وهو لا يولده الا هو والشي لا يولد الشي الا وهو اولى الاشيا به

وأقواها من طبعه وكذلك جميع الأرحام فيما تنتج من أرحام الأرض وأرحام الحيوان وأرحام الأشجار وبينما أنا يوماً جالس في المسجد مع فتيان من المسجديين حيال أبواب بني سليم وأنا يومئذ حدث إذ أقبل أبو يوسف الممرور وكان لا يؤذي أحداً وكان كثير الظرف ومن قوم سراة حتى وقف علينا ونحن نرى أثر الجد في وجهه ثم قال مجتهداً والذي لا إله إلا هو إن الخرء لحلو ثم والله الذي لا إله إلا هو إن الخرء لحلو ثم والله الذي لا إله إلا هو إن الخرء لحلو يميناً باتة يسألني الله عنها يوم القيمة فقلت له أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك فإن كنت علمت أمراً فعلمنا مما علمك الله فقال رأيت الذباب يسقط على النبيذ الحلو ولا يسقط على الحازر ويقع على العسل ولا يقع في الخل وأراه على الخرء أكثر منه على التمر فتريدون حجة أبين من هذا قلت يا أبا يوسف بهذا وشبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ثم رجع بنا القول إلى ذكر خلق الذبان من الباقلي وقد أنكر ناس من العوام أن يكون شيء من الخلق كان من غير ذكر وأنثى وهذا جهل بشأن العالم وبأقسام الحيوان وهم يظنون أن على الدين من الإقرار بهذا القول مضرة وليس الأمر كما قالوا وكل قول يكذبه العيان فهو أفحش خطأ وأسخف مذهباً وأدل على معاندة شديدة أو غفلة مفرطة وإن ذهب الذاهب إلى أن يقيس ذلك على مجاز ظاهر الرأي دون القطع على غيب حقائق العلل فأجراه في كل شيء قال قولاً يدفعه العيان أيضاً

مع إنكار الذين له قد علمنا أن الإنسان يأكل الطعام ويشرب الشراب وليس فيهما حية ولا دودة فيخلق منهما في جوفه ألوان الحيات وأشكال من الديدان من غير ذكر ولا أنثى ولكن لا بد لذلك الولاد والإلقاح من أن يكون عن تناكح طبائع وملاقاة أشياء تشبه بطبائعها الأرحام وأشياء تشبه في طباعها ملقحات الأرحام وقد قال الشاعر

فاستنكح الليل البهيم وألقحت عن هيجه واستفتحت أحلاما

وقال الآخر

وإذا الأمور تلاقحت فالجود أكرمها نتاجا

وقال ذو الرمة

وإني لمدلاج إذا ما تناكحت مع الليل أحلام الهدان المثقل

وقال علي بن معاذ

للبدر طفل في حضان الهوى مسترق من رحم الشمس

وقال دكين الراجز أو أبو محمد الفقعسي

وقد تعللت ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس إذ عرج الليل بروح الشمس

وقال أمية بن أبي الصلت

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

والأرض نوخها الإله طروقة للماء حتى كل زند مسفد

وذكر أمية الأرض فقال

والطوط نزرعه فيها فنلبسه والصوف نجتزه ما أردف الوبر

هي القرار فما نبغي بها بدلا ما أرحم الأرض إلا أننا كفر
وطعنة الله في الأعداء نافذة تعيي الأطباء لا تشوى بها السبر
ثم رجع اليها فقال
منها خلقنا وكانت أمنا خلقت ونحن أبناؤها لو أننا شكر

وتقول العرب الشمس أرحم بنا فاذا سمع السامع منهم ان جالينوس قال عليكم بالبقلة الرحيمة يريد السلق استشنعه واذا سمع قول العرب الشمس أرحم بنا وقول أمية ما ارحم الأرض إلا أننا كفر لم يستشنعه وهما سواء واذا سمع أهل الكتاب يقولون ان عيسى بن مريم أخذ في يده اليسرى كسرة خبز ثم قال هذا أبي للما وهذه أمي لكسرة الخبز استشنعه فاذا سمع أمية بن أبي الصلت يقول

والأرض نوخها الإله طروقة للما حتى كل زند مسفد

لم يستشنعه والأصل في ذلك أن الزنادقة أصحاب ألفاظ في كتبهم وأصحاب تهويل لأنهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل مالوا الى تكلف ما هو أيسر وأخصر وأجدى وأكثر ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ فصار حظ الزنادقة من الألفاظ التي سبقت الى قلوبهم واتصلت بطبائعهم وجرت على ألسنتهم التناكح والتناتج والمزاج والنور والظلمة

والدفاع والمناع والساتر والغامر والبطلان والوجدان وأشكال هذا الكلام فصار وإن كان غريبا مرفوضا مهجورا عند أهل ملتنا كذلك هو عند عوامنا وجمهورنا ولا يستعمله إلا الخواص وإلا المتكلمون وأنا أقول في هذا قولا وأرجو أن يكون مرضيا ولم أقل إني أرجو لأني لا أعلم ولكني أخذت بأدب أهل دعوتي وملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي وهم العرب وذلك أنه قيل لصحار العبدي الرجل يقول لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه أما نحن فإنا نرجو أن نكون قد بلغنا من أداء ما يجب لك مبلغا مرضيا وهو يعلم أنه قد وفاه حقه الواجب وتفضل عليه بما لا يجب قال صحار كانوا يستحبون أن يتركوا للقول متنفسا وأن يذعوا فيه فضلة وأن يتجافوا عن حق متى أرادوه لم يمنعوه ولذلك قلت أرجو فافهم فهمك الله فإن رأى في هذا الضرب من اللفظ أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبادتها فالعادة فيها أن ألفظ بالشيء العتيد الموجود وأدع التكلف لما عسى أن لا يسهل ويسلس إلا بعد الرياضة الطويلة وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين ما كنت خائضا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام لأن ذلك أفهم لهم عني وأخف لمؤنتهم علي ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم إلا لمشاكلة بينها وبين تلك الصناعة وقبيح بالمتكلم أن يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة ورسالة وفي مخاطبة العوام والتجار وفي مجاوبة أهله وعبده وأمته

وفي حديثه اذا تحدث وخبره اذا أخبر وكذلك فانه من الخطا أن يجتلب
الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام لكل مقام مقال
ولكل صناعة شكل ثم رجع بنا القول الى ما يحدث الله من خلقه من غير
ذكر وانثى فقلنا انه لابد في ذلك من تلاقي أمرين يقومان مقام الذكر
والانثى ومقام الارض المطر وقد يقرب الطبايع من الطبايع وان لم تتحول
في جميع معانيها كالنطفة والدم وكاللبن والدم وقد قال صاحب المنطق
اقول بقول عام انه لابد لجميع الحيوان من دم او من شي يشاكل الدم
ونحن قد نجد الجيف تخلق منها الديدان وكذلك العذرة ولذلك المجوسي لا يتغوط
في الابار والبلاليع لانه بزعمه يكرم بطن الارض عن ذلك ويزعم ان
الارض احد الاركان التي عليها بنيت العوالم الخمسة بزعمهم ولذلك
لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم في النواويس
وضعا قالوا ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الارضين
واجواف الاجوا كما اخرجناها من بطون الارضين لفعلنا وهم يسمون يوم
القيمة روز رستها زكانه يوم تقوم الجيف فمن بغضهم لابدان الموتى سموها
باسمج اسمايها قالوا وعلى هذا المثال عظموا الما والنار وليسا باحق بالتعظيم
من الارض وبعد فانا نحن ننزع الصمامة من رووس الانية التي يكون فيها
بعض الشراب فنجد هناك من الفراش ما لم يكن عن ذكر ولا انثى وانما
ذلك استحالة بعض اجزا الهوا وذلك الشراب اذا انضم عليه ذلك الوعا وهذا
قول ذي الرمة

١٧٠ وأيقن ان القمع صارت نطافه فراشا وان البقل ذاو ويابس
وكذلك ما يخلق من جمار النخلة وفيها من ضروب الخلق والطير واشباه
الطير واشباه بنات وردان والذي يسمى بالفارسية فاذو وكالسوس والقوادح
والارضة وبنات وردان اللاتي يخلقن من الاجذاع والخشب والحشوش وقد
نجد الازج الذي يكبس فيه الثلج بخراسان كيف يستحيل كله ضفادع وما
الضفدع بادل على الله من الفراش وانما يستحيل ذلك الثلج اذا انفتح فيه
كقدر منخر الثور حتى يدخله الريح التي هي اللاقحة كما قال الله عز وجل
أرسلنا الرياح لواقح فجعلها لاقحة ولم يجعلها ملقحة ونجد وسط
الدهنا وهي اوسع من الدو ومن الصمان وعلى ظهر مسجد الجامع
في غب المطر من الضفادع ما لا يحصى عدده وليس ان ذلك كان
عن ذكر وانثى ولكن الله خلقها تلك الساعة من طبايع تلك التربة وذلك
المطر وذلك الهوا المحيط بهما وتلك الريح المتحركة وان زعموا ان تلك الضفادع
كانت في السحاب فالذي اقروا به اعجب من الذي انكروه وانما تقيم الضفادع
وتربى وتتوالد في مناقع المياه وفي ارض تلاقي ما والسحاب لا يوصف
بهذه الصفة قد نجد الما يزيد في دجلة والفرات فتنز البطون والحفاير
التي تليها من الارض فيخلق من ذلك الما السمك الكثير ولم يكن في تلك
الحفاير الحدث ولا في بحر تلك الارضين شي من بيض السمك ولم نجد اهل
القاطول يشكون في ان الفار تخلق من ارضهم وانهم ربما ابصروا
الفارة من قبل ان يتم خلقها فتنسبوا باجمعهم خلق الفار الى الذكر

والأُنثى والى بعض المياه والترب والأجوا والزمان كما قالوا في السمك والضفادع
والعقارب فان قاس ذلك قايس فقال ليس الذبان وبنات وردان وبين
الزنابير فرق وليس بين الزنابير والخفافيش فرق ولا بين الزرازير والخفافيش
فرق ولا بين الزرازير والعصافير فرق فاذا فرغوا من خشاش الطير صاروا
الى بغاثها ثم الى احرارها ثم الى الطوابير والتدابج حتى يصعدوا الى الياس
قيل لهم ليس ذلك كذلك وينبغي لكم بديا ان تعرفوا الطبيعة والعادة والطبيعة
الغريبة من الطبيعة العامية والممكن من الممتنع وان الممكن على ضربين
فمنه الذي لا يزال يكون ومنه الذي لا يكاد يكون وما علة الكثرة
والقلة يعرفوا ايضا ان الممتنع على ضربين فمنه ما يكون لعلة موضوعة
يجوز دفعها وما كان منه لعلة لا تجوز وفصل ما بين العلة التي لا تجوز
رفعها وهي على حال علة من الامتناع الذي لا علة له الا عين الشي
وجنسه وينبغي ان تعرفوا فرق ما بين المحال والممتنع وما يستحيل
كونه من الله عز وجل وما يستحيل كونه من الخلق فاذا عرفتم الجواهر
وحظوظها من القوى فعند ذلك فتعاطوا الانكار والاقرار والافكو
في سبيل المتعلم او في سبيل من اثر راحة الابد قد يكون ان يجي على
جهة التوليد شي يبعد في الوهم مجيه ويمتنع شي هو اقرب في الوهم
من غيره لان حقايق الامور ومغيبات الاشيا لا ترد الى ظاهر
الراي وانما يرد الى الراي ما دخل في باب الحزم والاضاعة وما هو
اصوب واقرب الى نيل الحاجة وليس عند الراي علم بالنجح والاكدا

كنحو مجي الزجاج من الرمل وامتناع الشبه من الذهب والزيبق ان يتحول
في طبع الفضة والزيبق اشبه بالفضة المايعة من الرمل بالزجاج
الفرعوني والشبه الدمشقي بالذهب الابريز اشبه من الرمل بفلق الزجاج
الخالص النقي الصافي ومن العجب ان الزجاج هو مولد وقد يجري مع
الذهب في كثير من مفاخر الذهب اذ كان لا يغير طبعه ما ولا ارض
والفضة التي مولدة ان دفنت زمانا غير طويل استحالت ارضا
فاما الحديد فانه في ذلك سريع غير بطي وقد زعم ناس ان الفرق الذي
بينهما ان كل شي له في العالم اصل وخميرة لم يمكن كالشي الذي يكتسب
ويجتلب ويلفق ويلزق وان الذهب لا يخلو ان يكون ركنا من
الاركان قايما منذ كان الهوا والما والارض والنار فان كان ذلك
كذلك فهو ابعد للناس من ان يولفوا مثله وان كان الذهب انما
يحدث في عمق الارض بان يصادف جوهرا ومن الهوا الذي في خلالها
جوهرا ومن الما الملابس لها جوهرا ومن النار المحصورة فيها جوهرا
مع مقدار من طول مرور الزمان ومقدار من مقابلات البروج فان كان
الذهب انما هو نتيجة هذه الجواهر على هذه الاصناف فواجب الا يكون
الذهب الا كذلك فيقال لهم الا لهم ارايتم الفارة التي خلقت من صلب جرذ
ورحم فارة على مقابلات من الامور السماوية والهوايية والارضية
فكانت نتيجة هذه الخصال مع استيفا هذه الصفات الشنا قد
وجدنا فارة اخرى تهيات لها من ارحام الارضين ومن حضانة الهوا

وتلقيح الما ومن مقابلات السماويات والهوائيات من الزمان ما صار جميع
ذلك سببا لفارة أحرى مثلها وكذلك كل ما عددناه فمن أين يستحيل أن تخلط
الانسان بين مائية طبيعية ومائية جوهرية إما من طريق التبعيد
والتقريب ومن طريق الظنون والتجريب أو من طريق أن يقع بعض
ذلك اتفاقا كما صنع الناطف الساقط من يد الأجير في كور الصفر
حتى أعطاه ذلك اللون وجلب لك النقع ثم ان الرجال دبرته وزادت
ونقصت حتى صار شبها ذهبيا هذا مع النوشاذر المولد من الحجارة
السود فإن قلتم ان ذلك القائم الجائز مطرد في الرأي غير مستحيل في
العقل ولكنا وجدنا العالم بما فيه من الناس منذ كانوا فان الناس
يلتمسون هذا وينصبون له ويتكلفون به فلو كان هذا الأمر من
وجه الجمع والتوليد والتركيب والتجريب أو من جهة الاتفاق
فقد كان ينبغي أن يكون قد ظهر من ألوف سنين والوف إذ كان
هذا المقدار أقل ما تؤرخ به الأمم لكان هذا المقدار مقبولا غير مردود
وعلى أنه لم يتبين لنا أنه يستحيل أن يكون الذهب إلا من حيث وجد
وليس قرب كون الشيء في الوهم بموجب لكونه ولا بعده في الوهم
بموجب لامتناعه ولو أن قائلا قال ان هذا الأصل إذ قد يحتاج
الى أن تتهيأ له طبائع الأرض وطبائع الماء وطبائع الهوا وطبائع النار
ومقادير حركات الفلك ومقدار من طول الزمان فمتى لم تجتمع
هذه الخصال وتكمل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب وكذلك قد يستقيم

أن يكون قد تهيأ لواحد أن جمع بين ما شئت شكل من الجواهر فمزجها على
مقادير وطبخها على مقادير ولعبتها مقدارا من الزمان وقابلت مقدارا
من حركات الأجرام السماوية وصادفت العالم بما فيه على هيئة وكان
بعض ما جرى على يده اتفاقا وبعضه قصدا فلما اجتمعت جاء منها
ذهب فوقع ذلك في خمسة آلاف سنة مرة ثم أراد صاحبه المعاودة
فلم يقدر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر ولم يضبط مقادير ما كان
قصد إليه في تلك المرة وأخطاه ما كان وقع له اتفاقا ولم يقابل
من الفلك مثل تلك الحركات ولا من العالم مثل تلك الهيئة فلم يعد له
ذلك فإن قال لنا هذا القول قائل وقال بينوا لي موضع إحالته
ولا تحتجوا بتباعد اجتماع الأمور فيه فإنا مقرون لكم بتباعدها
هل كان عندنا في ذلك قول مقنع والدليل الذي يثلج الصدور وهل
عندنا في استطاعة الناس أن يولدوا ناسا إلا بأن نعرض هذا
القول على العقول السليمة وعلى عقول الأمم ونرده إلى الرسل
والكتب فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافية له كان ذلك عندنا
هو المقنع وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجويز
له ولكن ليرده إلى ذهنه فإنه سيجده منكرا ونافيا له وإذا كان
العقل سليما من آفة المرض ومن آفة التخييل والتخييل ضربان
تخييل من المرار ومن الشيطان وتخييل آخر كالرجل يعمد إلى القلب
رطب لم يتروح وذهن ريض لم يتسمر فيحمله على الدقيق وهو بعد لا يفي

بالجليل وتخطي المقدمات متسكعا بلا امارة فرجع حسيرا بلا يقين
وغبر زمانا لا يعرف الا الشكوك والخواطر الفاسدة التي متى لاقت
القلب على هذه الهيئة كانت ثمرتها الحيرة والقلب الذي يفسد في يوم
لا يداوى في سنة والبناء الذي ينقض في ساعة لا يبنى مثله في شهر
ثم رجع بنا القول الى الذبان قيل لعلويه كلب المطبخ اي شي معنى
قولهم بيت يمنع جانبه قال يريدون ان الذباب لا يدنو منه وكان
الرقاشي حاضرا فانشد شعر ابن عبدل

عشش العنكبوت في قعر دني ان ذا من رزيتي لعظيم
ليتني قد عمرت كي نوحتى ابصر العنكبوت فيه تعوم 175
غرقا لا يغيثه الدهر الا زبد فوق راسه مركوم
مخرجا كفه ينادي ذبابا ان اغثني فانني مظلوم
قال دعني فلن اطيق دنوا من نبيذ تقطر المزكوم

اراد تقطر به سمه المزكوم

قال والذباب يضرب به المثل في القذر وفي استطابة النتن فاذا عجز
الذباب شم شي فهو الذي لا يكون انتن منه ولذلك هجا حمزة بن عبدل
محمد بن حسان بن سعد بالبخر قال

فما يدنو الى فيه ذباب ولو طليت مشافره بقند
يرين حلاوة ويخفن موتا ذعافا ان هممن له بورد

ويقال لكل ابخر ابو ذبان وكانت تعمو كنية عبد الملك بن مروان
وانشدو قول ابي حزابة

امسى ابو ذبان مخلوع الرسن خلع عنان قارح من الحصن
وقد صفت بيعتنا لابن حسن وقال الاخر وهو يهجو هلال بن
عبد الملك الهنائي 176

الا من يشتري مني هلالا مودته وخلطته بفلس
ويشترط الذي يبتاع مني هلالا من خصال فيه خمس
فمنهن التخانع والمكادي وآثار الجروح واكل ضرس
ومن اخذ الذباب باصبعيه ولو كان الذباب براس جعس

قالوا وضرب الله لضعف الناس وعجزهم مثلا فقال يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب فقال بعض الناس فقد سوى بين الذبان والناس
في العجز وقالوا فقد يولد الناس من التعفين الفراش وغير الفراش
وهذا خلق على قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وعلى قوله
احسن الخالقين وعلى قول الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

قيل لهم انما اراد الاختراع ولم يرد التقدير واما قول ابن ميادة

الا لا نبالي ان تخندق خندق ولسنا نبالي ان يطن ذبابها

فانما جعل الذباب هاهنا مثلا وقد وضعه في غير موضع تحقير له
وموضع تصغير به وهو مثل قوله

بني أسد كونوا لمن قد علمتم موالي ذلت للهوان رقابها
فلو حاربتنا الجن لم نرفع العصا عن الجن حتى لا تهر كلابها ١٧٧

وليس يريد الكلاب. ويقال هو ذباب العين وذباب السيف ويقال أرض مذبة أي كثيرة الذبان وقال أبو الشمقمق في هجاية بعض من ابتلى به

أشبه الناس جميعا كلهم كذباب ساقط في مرقه

ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس ونضح به بيت لم يدخله ذبان وسمعت أبا حكيم الكيماوي وهو يقول لثمامة بن أشرس قلنا لكم إنا ندلكم على الإكسير فاستثقلتم الغرم وأردتم الغنم بلا غرم وقلنا لكم دعونا نصنع هذه الجسور صنعة لا تنقض أبدا فأبيتم وقلنا لكم ما ترجون من هذه المسنيات التي تهدمها المدود وتخرمها المرادي نحن نعمل لكم مسنيات بنصف هذه المؤونة فتبقى لكم أبدا ثم قولوا للمدود أن تجهد جهدها وللمرادي أن تبلغ غايتها فأبيتم فقولوا لي الذبان ما ترجون منها وما تشتهون من البعوض وما رغبتكم في الجرجس لم لا تدعوني أخرجها من بيوتكم بالمؤونة اليسيرة وهو يقول هذا القول وأصحابنا يضحكون وابن سافري جالس يسمع فلما نزلنا أخذ بيده فمضى به إلى منزله فغداه وسقاه وكساه ثم قال أحب أن تخرج البعوض من داري فأما الذباب فإني أحتمله قال ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج قال فافعل قال لا بد من أن أخلط أدوية وأشتري أدوية قال

فكم تريد قال أريد شيئا يسيرا قال وكم ذاك قال خمسون دينارا قال ويحك وخمسون يسير قال أنت ليس تشتهي الراحة من قذر الذباب ولسع البعوض ثم لبس خفه وقام على رجليه فقال له اقعد قال إن قعدت تعجل أن آخذها ثم اشتريت دوا بمائة دينار لم ينتفع به لأني لست أدخن هذه الدخن إلا الذين إذا أمرتهم إخراجهن أخرجوهن ولا أكتم أعني العمار فما هو إلا أن سمع بذكر العمار حتى ذهب عقله ودعا له بالكيس وذهب يزنها له قال لا تشق على نفسك هاتها عددا وإنما خاف أن تحدث حادثة أو يقع شغل فيفوت فيعدها وهو زبع فيغلط بعشرة دنانير فلما انصرف وزنها وعدها فوجد دنانيره تنقص فمكث عليه تقضيه الفضل فضحك أبو حكيم حتى كاد يموت وقال تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ولم يزل يختلف إليه فيدافعه حتى قال له ثمامة ويلك أمجنون أنت قد ذهب المال والسخرية مستورة فإن نافرته فضحت نفسك وزدت عداوة شيطان هو والله أضر عليك من عمار بيتك الذين ليس يخرجون عنك الذبان والبعوض بلا كلفة مع حق الجوار قال هم جيراني وسكاني قال لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة كانت الخمسون دينارا مائة دينار وقالوا في غنا الذبان وأصواتها قال المثقب العبدي

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون

وقال الشاعر   حوم مساربه تغنى في غياطله ذبابه   وقال ابو النجم
أنف ترى ذبابها يعلله   من زهر النور الذي يكلله   وقال ابو النجم
والشيح تهديه الى طحمايه   فالروض قد نور في حمايه   مختلف الالوان من اسمايه
نورا يجار الشمس في صحرايه   مكللا بالورد من صفرايه   يجاوب المكاء من مكايه
صوت ذباب العشب في درمايه   يدعو كان العقب من عايه   صوت مغن مد في غنايه
فالاجناس التي توصف بالغنا اجناس الحمام والبعوض والناس
واصناف الذبان من الدبر والنحل والشعرا والنعر والقمع وليس لذبان
الكلب غنا ولا لما يخرج من الباقلى قال الشاعر
تذب عنها باثيت ذايل   ذبان شعرا وصيف ماذل
وذبان الشعرا حمر والذبان التي تهلك الابل زرق والذبان التي تسقط
على الدوات صفر وقال ارطاة بن سهية لزميل بن ام دينار
يا زمل اني ان اكن لك جاديا   أغكر عليك وان ترح لا تسبق
اني امرؤ تجد الرجال عداوتي   وجد الركاب من الذباب الازرق
واذا احرتك الشعر الذي يصلح لمكانه ولا ان تحفظه فلا تنس حظك من
حفظه وقال المتلمس
فهذا اوان العرض حي ذبابه   زنابيره والازرق المتلمس
وقال ابن ميادة
بعنتريس كأن الدبر يلسعها   اذا تغرد حاد خلفها طرب
والدليل على ان اجناس النحل والدبر كله ذبان ما حدثنا به عباد

ابن صهيب عن اسمعيل المكي عن الاعمش عن عطية بن سعد العوفي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذباب في النار
الا النحلة هم قال سليمن سمعت مجاهدا يقول يكره قتل
النحل واحراق الطعام يعني في الغزو قال وحدثنا عنبسة قال
حدثنا حنظلة السدوسي قال حدثنا انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عمر الذباب اربعون يوما والذباب في
النار وقد اختلف الناس في تاويل قوله والذباب في النار فقال
قوم الذباب خلق للنار كما خلق الله تعالى ناسا كثيرا
للنار واطفالا للنار فهولا قوم خلعوا عذرهم وصار احدهم
اذا قال ذلك عدل من الله فقد بلغ اقصى العذر وراى انه اذا اضاف
الى الله عذاب الاطفال فقد مجده ولو وجد سبيلا الى ان يزعم ان
الله يخبر عن شي انه يكون ولا يكون ثم يقول ان ذلك صدق لقاله
ولكنه يخاف السيف عند هذه ولا يخافه عند تلك وان كانت تلك اعظم
في الفرية من هذه وبعضهم يزعم ان الله انما عذب اطفال
المشركين ليغم اباهم ثم قال المتعاقلون منهم بل عذبهم لانه هكذا
شا ولان ذلك له فليت شعري ايجتنب هذا القول في باب التمجيد لله
لان كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود وكل من لم يخف سوط امير
فاتى قبيحا فالذي يحسن ذلك القبيح انه صاحبه كان في موضع امن ام لانه
يمتنع من مطالبة السلطان فكيف وكون الكذب والظلم والعبث

واللهو والبخل كله محال ممن لا يحتاج اليه ولا تدعوه اليه الدواعي
وزعم ابو اسحق ان الطاعات اذا استوت استوى اهلها في الثواب
وان المعاصي اذا استوت استوى اهلها في العقاب فاذا لم يكن منهم
طاعة ولا معصية استووا في التفضل وزعم ان اجناس الحيوان وكل
شي يحس يألم في التفضل سوا وزعم ان اطفال المشركين والمسلمين
كلهم في الجنة وزعم انه ليس بين المجانين والاطفال فرق ولا بين
البهايم والمجانين فرق وكان يقول ان هذه الابدان السبعية
والبهيمية لا تدخل الجنة ولكن الله ينقل تلك الارواح خالصة
من تلك الافات فيركبها في اي الصور احب ومعمر وابو الهذيل وصحصح
يكرهون هذا الجواب ويقولون سوا عند خصومنا وعوامنا اقلنا
ان ارواح كلابنا تصير الى الجنة ام قلنا ان كلابنا تدخل الجنة
ومتى اتصل كلامنا بذكر الكلب على اي وجه كان فكانا عندهم
قد زعمنا ان في الجنة كلابا ولكنا نزعم ان جميع ما خلق الله من
السباع والبهايم والحشرات والهمج فهو قبيح المنظرة مولم او حسن
المنظرة ملذ فما كان كالخيل والظبا والطواويس والتداج فانها
تلذ في الجنة ويلذ اوليا الله بمناظرها وما كان قبيحا في الدنيا
مولم المنظر جعله الله عذابا الى عذاب اعدايه في النار
فاذا جا في الاثر ان الذباب في النار وغير ذلك من الخلق فانما
يراد به هذا المعنى وذهب بعضهم الى انها تكون في النار وتلذ ذلك

ان الجنة فيها كلاب [illegible]

كما ان خزنة النار والذين يتولون من الملايكة التعذيب يلذون
موضعهم من النار وذهب بعضهم الى انه يطبعهم على استلذاذ
النار والعيش فيها كما طبع ديدان الخل والثلج على العيش في
اماكنها وذهب اخرون الى ان الله يحدث لابدانها علة لا تصل
النار اليها وتنعم قلوبها وابدانها من وجه اخر كيف شا وقالوا وقد وجدنا
الناس يحتالون لانفسهم في الدنيا حيلا حتى يدخل احدهم بعض الاتاتين
بذلك الطلا فلا تضره تلك النار وهو في معظمها وموضع الحاجة منها
فضل ما بين قدرة الله وقدرة عباده اكثر من فضل ما بين حر نار
الدنيا والاخرة وذهب بعضهم الى ان سبيلها فيها كسبيل نار
ابرهيم عليه السلم فانه لما قذف فيها بعث الله اليه ملكا يقال له
ملك الظل فكان يونسه ويحدثه فلم تصل النار الى اذاه مع قربه
من طباع ذلك الملك وكيف ما دار الامر في هذه الجوابات فان احسنها
واشنعها احسن من قول من زعم ان الله جل وعز يعذب بنار
جهنم من لا يسخطه ولا يعقل كيف السخط ومن العجب ان بعضهم
يزعم ان الله انما عذبه ليغم اباه وانما يفعل ذلك من لا يقدر
على ان يوصل اليهم ضعف اغتمامهم والالم الذي ينالهم بسبب
ابنايهم فاما من يقدر على ايصال ذلك المقدار الى من يستحقه كيف
يصرفه الى من لا يستحقه وكيف يصرفه عمن اسخطه الى من لم يسخطه
هذا وقد سمعوا قول الله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يوميذ

ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا
ثم ينجيه فكيف يقول هذا وهو يتلو القران قال والذبان واصناف
الذبان اجهل الخلق لانها تغشى النار من ذات انفسها حتى تحترق وقد
قال الشاعر

ختمت الفؤاد على سرها كختم الصحيفة بالخاتم
هوت بي الى حبها نظرة هوي الفراشة للجاحم ١٨٧

وقال الشاعر

كأن مشافر النجدات منها اذا ما مسها قمع الذباب
بأيدي مأتم متساعدات نعال السبت او عذب الثياب

وقال بعض الشعراء وهو يهجو جارية بن بدر الغداني

زعمت غدانة ان فيها سيدا ضخما يواريه جناح الجندب

وزعم ناس انه قال

يرويه ما يروي الذباب فينتشي سكرا وتشبعه كراع الارنب

قالوا لا يجوز ان يقول يرويه ما يروي الذباب ويواريه جناح الجندب
ثم قال تشبعه كراع الارنب وانما ذكر الارنب لان يد الارنب قصيرة
ولذلك تسرع في الصعود فلا يلحقها من الكلاب الا كل قصير اليدين
وذلك محمود في الكلب والفرس توصف بقصر الكراع وحدثني مضحكه
الحسن بن ابرهيم العلوي قال مررت بخالي واذا هو وحده يضحك
فانكرت ضحكه لاني رأيته وحده وانكرته لانه كان رجلا زمّيتا

سكيتا قليل الضحك فسألته عن ذلك فقال اتاني فلان يعني شيخا مدينيا
وهو مذعور فقلت له ما وراك فقال انا والله هارب من بيتي قلت ولم
قال في بيتي ذباب ازرق كلما دخلت ثار في وجهي وطار حولي
وطن عند اذني فاذا وجد مني غفلة لم يخطئ موق عيني هذا والله
١٨٤ دأبه ودأبي منذ دهر قال فقلت له ان شبه الذباب
بالذباب كشبه الغراب بالغراب فلعل الذي آذاك اليوم غير الذي
آذاك امس والذي آذاك امس غير الذي آذاك اول من امس قال اعتق
ما املك ان لم اكن اعرفه بعينه منذ خمس عشرة حجة فهذا هو الذي
اضحكني وقال الخليل بن يحيى قد رأيت الخنزير يركب الخنزيرة
عامة نهاره ورأيت الجمل يركب الناقة ساعة من نهار وكنت
قبل ذلك اغبط الصعو والخنزير فان الذكر وان كان سريع النزول
عن ظهر الانثى فانه لسرعة العودة ولكثرة العدد كانه في معنى
الخنزير والجمل حتى رأيت لبث الذباب وفطنت له فاذا هو يركب
الذبابة عامة نهاره فقال له محمد بن عمرو البكراوي لعل ذلك
ليس هو للسفاد فقال اما رأي العين فهذا حكمه فان كنت تريد
ان تطيب نفسك بانكار ما تعرف مما قسم الله من خلقه من
فضول اللذة فدونك ويزعمون ان للورل في ذلك ما ليس لغيره
وانشد ابن داحة في مجلس ابي عبيدة قول السيد الحميري

اترى صهاكا وابنها وابا ابنها وابا قحافة آكل الذبان

كانوا يرون في الامور عجايبا تأتي بين تصرف الازمان
ان الخلافة من وراثة هاشم فيهم تكون وهيبة السلطان

وكان ابن داحة رافضيا وكان ابو عبيدة خارجيا صفريا فقال له
وما معناه في قوله آكل الذبان قال لانه كان يذب عن عطر ابن
جدعان قال ومتى احتاج العطارون الى المذاب قال غلطت انما
كان يذب حيسة ابن جدعان قال فان ابن جدعان وهشام
ابن المغيرة كان يجاس لاحدهما الحيسة على عدة انطاع ياكل
الراكب والقايم والقاعد فان كانت تقع مذبة ابي قحافة من هذا
الجبر قال كان يذب عنها ويدورحوا اليها فضحكوا منه فهجر مجلسهم
سنة قال وفي باب تحقير شان الذبان وتصغير قدرها يقول
الرجل لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح ذبابة لما اعطى الكفار
منها شيا وعندنا بالبصرة في الذبان اعجوبة لو كانت بالشامات — اعجوبة
وبمصر لادخلوها في باب الطلسم وذلك ان التمر يكون مصبوبا في بيادر
التمر في شق البساتين فلا ترى على شي منه ذبابة لا في ليل ولا في نهار
ولا في البردين ولا في انصاف النهار نعم ويكون هناك المعاصر
ولاصحاب المعاصر ظلال ومن شان الذبان الفرار من الشمس
الى الظل وتلك المعاصر بين تمرة ورطبة ودبس وحجير ثم لا ترى
في تلك الظلال والمعاصر في انصاف النهار ولا في وقت طلب
الذبان الكن من الذبان الا دون ما تراه في المنزل الموصوف

بقلة الذبان وهذا شي يكون موجودا في جميع الشق الذي فيه البساتين
فان حول شي من تمر تلك الناحية الى جميع ما يقابلها من نواحي
البصرة غشيه من الذبان ما عسى ان لا يكون بارض الهند اكثر منه — الهند كثير الذباب
وليس بين جزيرة نهر دبيس وبين موضع الذبان الا فيض البصرة
ولا بين ما يكون من ذلك بهزاردر وبين موضع الذبان مما يقابله الا
سيحان وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ولا تكون المسافة الا مائة ذراع
ازيد شيا او انقص واعجوبة اخرى وهي عندي اعجب من كل شي — اعجوبة لغوى
صدرنا به جملة القول في ذكر الذبان فمن العجب ان يكون بعض الحيوان
لا ينام كالصافر والتنوط فانهما اذا كان الليل فاحدهما يتدلى
من غصن الشجرة ويضم عليها برجليه وينكس راسه ولا يزال
يصيح حتى يبرق النور والاخر لا يزال ينتقل في زوايا بيته ولا ياخذه
القرار خوفا على نفسه فلا يزال كذلك حتى يصبح وقد نتف قبل ذلك
مما على ظهور الاشجار مما يشبه الليف فنفشه ثم فتل منه حبلا
وعمل منه كهيئة القفة وجعله مدلى بذلك الحبل فيعقده بطرف غصن
من تلك الاغصان الا ان ذلك بترصيع ونسج ومداخلة عجيبة
ثم تتخذ عشه فيه ويأوي اليه مخافة على نفسه والاعراب يزعمون
ان الذيب شديد الاحتراس وانه يراوح بين عينيه فتكون واحدة
منطبقة نايمة وتكون الاخرى مفتوحة حارسة ولا يشكون ان
الارنب تنام مفتوحة العين وان الدجاج والكلاب مما تعرف

عقولها في النوم وترجع اليها بمقدار رجوع الانفاس فلما الدجاج فانها
تفعل ذلك من الجبن واما الكلب فانه يفعل ذلك من شدة الاحتراس
وحاوركلهم يخبرون ان الغرانيق والكراكي لا تنام ابدا الا في ابعد المواضع
من الناس واحرزها من صغار سباع الارض كالثعلب وابن آوى وانها
لا تنام حتى تقلد امرها رئيسا وقايدا وحافظا وحارسا وان الرئيس
اذا اعيا دفع احدى رجليه ليكون ايقظ له وسلطان النوم معروف
وان الرجل ممن يغزو في البحر ليعتصم بالشراع وبالعود وبغير ذلك وهو
يعلم ان النوم متى خالط عينيه استرخت يده ومتى استرخت يده باينه
الشي الذي كان مركبه ومايعتصم به وانه متى باينه لم يقدر عليه
ومتى عجز عن اللحاق به فقد عطب ثم هو في ذلك لا يخلو اذا سهر ليلة
او ليلتين من ان يغلبه النوم ويقهره واما ان تحتاج اليه الحاجة
التي تزيل الراي الفاسد وفساد العقل المغمور بالعلة الحادثة انه
قد يمكن ان يغفي وينتبه في اسرع الاوقات وقبل ان تسترخي
يده كل الاسترخاء وقبل ان تباينه الخشبة ان كانت خشبة
وليس في جميع ما راينا ورويناه في ضروب نوم الحيوان اعجب من نوم
الذبان وذلك انها ربما جعلت ماواها بالليل دوند الباب
وقد غشوه ببطانة ساج املس كانه صفاة فاذا كان الليل
لزقت به وجعلت قوايمها مما يليه وعلقت ابدانها في الهواء
فان كانت لا تنام البتة ولا يخالطها عزوب المعرفة فهذا عجب

عجيبة

ان تكون امة من امم الحيوان لا تعرف النوم ولا تحتاج اليه وان كانت
تنام ويعزب عنها ما يعزب عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا فما تخلو من
ان تكون قابضة على مواضع قوايمها متمسكة بها او تكون مرسلة لها
مخلية عنها فان كانت مرسلة لها فكيف لم تسقط وهي اثقل من الهوا
وان كانت ممسكة لها فكيف جاها مع التشدد والتثبت النوم ونحن
نرى ان كل من كان في يده كيس او درهم او حبل او عصا فانه متى
خالط عينيه النوم استرخت يده وانفتحت اصابعه ولذلك
يتناول المحتال للعبد الذي في يده عنان دابة مولاه وهو جالس
لان من عادة الانسان اذا لم يكن بحضرته من يشغله ثم راى انسانا
قبالته ينود وينعس ومتى نعس استرخت يده وقبضته عن العنان
فاذا صار الى ذلك كبح المحتال عن ركبه

الغراب

جملة القول في الغربان

قد كنا قدمنا ما تقول العرب في شان منادمة الغراب الديك
وصداقته له وكيف رهنه عند الخمار وضيعه وكيف خاس به
وسخر منه وكيف خرج سالما غير غارم وكيف ضربت به العرب
الامثال فهذا الى ما حكى الله عز وجل عن خبر ابني آدم حين قربا قربانا
فحسد المتقبل منه الذي لم يتقبل منه فقال عند ما هم به من قتله
وعند امساكه عنه والتخلية بينه وبين ما اختار لنفسه
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين

ثم قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من
الخاسرين ثم قال الله فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه
كيف يواري سوءة أخيه حتى قال القايل وهو احد ابني آدم ما قال
فلولا ان في الغراب فضيلة وامورا محمودة وآلة وسببا ليس لغيره
من جميع الطير لما وضعه الله في موضع تاديب الناس ولما جعله الله
الواعظ والمذكر وقد قال الله عز وجل فبعث الله غرابا فخبر انه
مبعوث وانه الذي اختاره لذلك من بين جميع الطير قال
صاحب الديك جعلت الدليل على سوء حاله وسقوطه الدليل على
حسن حاله وارتفاع مكانه وكلما كان المقرع به أسفل كانت
الموعظة به أبلغ الا تراه يقول يا ويلتا أعجزت أن اكون مثل هذا
الغراب فاواري سوءة أخي فاصبح من النادمين ولو كان موضع الغراب
رجل عاقل أو انسان صالح لم يحسن أن يقول يا ويلتا أعجزت
أن اكون مثل هذا العاقل الفاضل الكريم الشريف واذا كان
دونا حقيرا قال أعجزت وانا انسان أن احسن ما يحسنه طاير
من شرار الطير واذا اراه ذلك في طاير أسود محترق قبيح الشمايل
ردي المشية ليس من بهايم الطير المحمودة ولا من سباعها الشريفة
وهو بعد طاير يتنكد به ويتشام منه آكل جيف ردي الصيد
وكلما كان اخمل وانذل كان أبلغ في التوبيخ والتقريع واما قوله
فاصبح من النادمين فلم يكن على جهة الاخبار انه قتله ليلا

وانما هذا كقوله ومن يولهم يوميذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا
الى فية فقد با بغضب من الله ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون
المستعمل في الكلام من عادات الناس كان من فر من الزحف ليلا
لم يلزمه وعيد وانما وقع الكلام على ما عليه الاغلب من ساعات
اعمال الناس وذلك هو النهار دون الليل ولذلك قال صالح بن عبد الرحمن
حين دفعوا اليه جوابا الخارجي ليقتله وقالوا ان قتله بريت
الخوارج منه وان ترك قتله فقد ابدى لنا صفحته فتاول صالح
عند ذلك تاويلا مستنكرا وذلك انه قال قد اجد التقية تسع
في الكفر والكفر باللسان أعظم من القتل والقذف بالجارحة فاذا جازت
التقية في الاعظم كانت في الاصغر أجوز فلما رأى ان هذا التاويل
يطرد له وجد على حال بصيرته ناقصة واحس بانه انما التمس
عذرا ولزق الحجة تلزيقا فلما عزم على قتل جواب وهو عنده
فاحد الصفرية في النسك والفضل قال اني يوم اقتل جوابا على هذا
الضرب من التاويل لحريص على الحيوة ولو كان حين قال اني يوم
اقتل جوابا انما عنى النهار دون الليل كان عند نفسه انه اذا
قتله تلك القتلة ليلا لم يأثم وهذا أيضا كقوله ولا تقولن لشي اني
فاعل ذلك غدا الا أن يشا الله ولو كان هذا المعنى انما يقع على
ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس لكان اذا قال من اول الليل
اني فاعل ذلك في السحر أو مع الفجر أو قال بالغداة اني فاعل ذلك

يومي كله وليلتي انه لم يكن عليه حنث ولم يكن مخالفا اذا لم يستثن
وكان اذن لا يكون مخالفا الا فيما وقع عليه اسم غد فاما كل
من خالف ذلك في اللفظ فلا وليس التاويل كذلك لانه تعالى انما
الزم عنده ان يقول ان شا الله لينفي عادة التالي ولئلا يكون
كلامه ولفظه يشبه لفظ المستبد والمستغني وعلى ان يكون
عند ذلك ذاكرا لله ولانه عبد مدبر ومقلب ميسر ومصرف مسخر
واذا كان المعنى فيه والغاية التي اليها جرى اللفظ انما هو على ما وصفنا
فليس بين ان يقول افعل ذلك بعد طرفه وبين ان يقول افعل ذلك
بعد سنة فرق واما قوله فاصبح من النادمين فليس انه هناك
قوم قتلوا اخوتهم وندموا فصار هذا القايل واحدا منهم وانما ذلك
على قوله لادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
على معنى ان كل من صنع صنيعكما فهو ظالم وعجبت لقوم ينكرون
قولنا في الاستثنا وقد سمعوا الله يقول انا بلوناهم كما بلونا اصحاب
الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها
طايف من ربك وهم نايمون مع قوله ولا تقولن لشي اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشا الله والعرب تسمي الغراب ابن داية لانه
اذا وجد دبرة في ظهر البعير وفي عنقه او قرحة سقط عليه
ونقره واكله حتى يبلغ الدايات وقال الشاعر

نجيبة قرم شادها القت والنوى بيثرب حتى نيها متظاهر

فقلت لها سيري فما بك علة سنامك ملموم ونابك فاطر
فمثلك او خيرا تركت رذية تقلب عينيها اذا مر طاير

ومثل قول الراعي

فلو كنت معذورا بنصرك طيرت صقوري غربان البعير المقيد

ضرب ذلك مثلا للبعير المقيد ذي الدبر اذا وقعت عليه الغربان واذا
كان بظهر البعير دبرة غرزوا في سنامه اما قوادم ريش اسود واما
خرقا سودا لتفزع الغربان منه فلا تسقط عليه وقال الشاعر

لما رات ابلي جاءت حمولتها هزلى عجافا عليها الريش والخرق
قالت الا تبتغي شيا نعيش به عما قليل فشر العيشة الرنق

وفي ذلك يقول الاخر

كانها ريشة في غارز جرز في حيث عاصفته الريح تنصرف

الرنق
[illegible]
[illegible]
هو الكدر غير الصافي

جرز عظيم قال روبة   عن جرز منه وجوز عار

وقد توضع الريش في اسنمتها وتغرز فيها لغير ذلك وذلك ان
الملوك كانت تجعل الريش علامة لحبا الملك تحميها بذلك وتشرف
صاحبها وقال الشاعر

يهب الجلاد بريشها ورعاتها كالليل قبل صباحه المتبلج

ولذلك قالوا في الحديث فرجع النابغة من عند النعمن وقد وهب له
مائة من عصافيره بريشها وللريش مكان اخر وهو ان الملوك
اذا جاتها الخرايط بالظفر غرزت فيها قوادم ريش سود

وقال الشاعر

سأرفع قولا للحصين ومالك تطير به الغربان شطر المواسم
ويروى به الهيم الظماء ويطبى بأمثالها الغادين سجع الحمائم

يعني غربان الابل واما قوله ويروى به الهيم الظماء فمثل قول الراجز

علقت يا حارث عند الورد بجانبي لا رفل التردى
ولا عييا بابتنا المجد

وقالوا في البعير اذا كان عليه حمل من تمر او حب فتقدم
الابل لفضل قوته ونشاطه فعرض ما عليه للغربان قال الراجز

قد قلت قولا للغراب اذ حجل عليك بالقود المسانيف الاول
تغدّ ما شئت على غير عجل

ومثله تقدمها كل علاة مذعان حمرا من معرضات الغربان

ويقال أصح بدنا من غراب وأبصر من غراب واصفى عينا من غراب وقال ابن ميادة

الا طرقتنا ام اوس ودونها حراجيج من ظلماء يعشى غرابها
فبتنا كانا بيتتنا لطيمة من المسك او دارية وعيابها

يقول اذا كان الغراب لا يبصر في حراجيج الظلماء وواحد الحراجيج
حرجوجة وهي هاهنا مثل حتى جعل كل شيء التف وكثف من الظلام
حراجيج وانما الحرجوجة من السدر واشباه السدر يقول فاذا لم يبصر
فيها الغراب مع حدة بصره وصفاء مقلته فما ظنك بغيره وقال
ابو الطمحان

اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر

والوقيعة المكان الصلب الذي يمسك الماء والجمع وقايع قال
وانشدنا ابو عمرو بن العلاء في الوقايع

اذا ما استبالوا الخيل كانت اكفهم وقايع للابوال والماء ابرد

يقول كانوا في فلاة فاستبالوا الخيل في اكفهم فشربوا ابوالها من العطش
ويقال شهد الوقعة والوقيعة بمعنى واحد قال الشاعر

فقال زفر

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط على زفر داء من الشر باقيا
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط لمروان صدعا بيننا متنائيا

وقال الاخطل

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

وفي صحة بدن الغراب يقول الشاعر

ان معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب راس الزمان واكتهل الدهر واثواب عمره جدد
يا نسر لقمن كم تعيش وكم تسحب ذيل الحيوة يا لبد
قد اصبحت دار آدم خربت وانت فيها كانك الوتد
تسأل غربانها اذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

ويقال الارض لا يطير غرابها وقال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

جعله مثلا نعني ان هذه الارض يبلغ من خصبها انه اذا دخلها الغراب

لم يخرج منها لان كل شي يريده فيها وفي زهو الغراب يقول حسان بن
ثابت في بعض قريش

ان الفرافصة بن الاحوص عنده شجن لامك من نبات عقاب
اجمعت انك انت الام من مشى في فحش مومسة وزهو غراب

ويقال وجد فلان تمرة الغراب كانه عندهم ينتقي اجود التمر ويقال
انه لاحذر من غراب واشد سوادا من غراب وقد مدحوا
بسواد الغراب قال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم

وقال ابو داود

نفى الحصى صعدا شرقي منسمها نفي الغراب باعلا انفه الغرده
والمغاريد كمء صغار وانشد
تجني ماغومة في قعرها لجف ما ستطبيت فذاها كالمغاريد

وقد ذكرنا شدة منقاره وحدة بصره في غير هذا المكان وقالوا
في مديح السواد قال امرؤ القيس

العين قادحة واليد سابحة والاذن مصغية واللون غربيب

وفي السواد يقول ربيعة ابو ذؤاب الاسدي وذؤاب قاتل عتيبة
بن الحرث بن شهاب

ان المودة والهوادة بيننا خلق كسحق اليمنة المنجاب
الا بجيش لا يكت عديده سود الجلود من الحديد غضاب

وفي المثل لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب وقال العرجي

لا يحول الفؤاد عنك بود ابدا او يحول لون الغراب

وقال ساعدة بن جوية

شاب الغراب ولا فؤادك تارك ذكرى الغضوب ولا عتابك يعتب

ومما يذكر عن الغراب ما حدثناه ابو الحسن عن ابي سليمن ان معاوية قال
لابي هودة الباهلي لقد هممت ان احمل جمعا من باهلة في سفينة
ثم اغرقهم فقال ابو هودة اذن لا يرضى باهلة بعدتهم من بني امية
قال اسكت ايها الغراب الابقع وكان به برص قال ابو هودة ان
الغراب الابقع ربما درج الى الرخمة حتى ينقر دماغها ويقلع عينيها
فقال يزيد بن معوية الا تقتله يا امير المومنين قال مه ونهض
معوية ثم وجهه بعد في سرية فقتل فقال معوية ليزيد هذا
اخفى واصوب وقال اخر في نقر الغراب العيون

اتوعد اسرتي وتركت حجرا يريغ سواد عينيه الغراب
ولو لاقيت علباء بن جحش رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال ابو حية في ان الغراب يسمونه الاعور تطيرا منه

واذا تحل قتودها بتنوفة مرت تليح من الغراب الاعور

لانها تخاف من الغربان لما تعرف من وقوعها على الدبر ومما يمدح به
الشعرا بلون الغراب كقول ابي حية

غراب كان اسود حالكيا الا سقيا لذلك من غراب

وقال أبو حية

زمان على غراب غداف فطيره الدهر عني وطارا
فلا يبعد الله ذاك الغداف وإن كان لا هو إلا ادكارا
فأصبح موضعه بايضا محيطا خطا ما محيطا عذارا

وقال أبو حية في غير ذلك وهو مما يعد للغراب

كأن عصيم الورس منهن جاسد بما سال من غربانهن من الخطر

والغراب ضروب ويقع هذا الاسم في أماكن فالغراب حد السكين والفاس يقال فاس حديدة الغراب وقال الشماخ

فأنحى عليها ذات حد غرابها عدو لأوساط العضاه مشازر

المشازرة المعاداة والمخاشنة والغراب حد الورك ورأسه الذي يلي الظهر ويبدو من مؤخر الردف والجمع غربان وقال ذو الرمة

وقربن بالزرق الحمايل بعد ما تقوب عن غربان أوراكها الخطر

تقوب تقشر ما على أوراكها من سلحها وبولها من ضربها باذنابها وكل غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشوم إلا غراب البين نفسه فإنه غراب صغير وإنما قيل لكل غراب غراب البين لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا وقال أبو خوالة الرياحي في ذلك

فليس بيربوع إلى العقل فاقة ولا دنس تسود منه ثيابها
فكيف بنو كي مالك إن كفرتم لهم هذه أم كيف بعد خطابها
مشايم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعبا إلا ببين غرابها

وفي الدليل على أن الغراب من شرار الطير ما رواه أبو الحسن قال كان ابن الزبير يقعد مع معوية على سريره فلا يقدر معوية أن يمتنع منه فقال ذات يوم أما أحد يكفيني ابن الزبير فقال الوليد بن عقبة أنا أكفيكه فسبق فقعد في مقعده على السرير وجا ابن الزبير فقعد دون السرير وأنشد ابن الزبير

تسمى أبانا بعد ما كان نافعا وقد كان ذكوان تكنى أبا عمرو

فلغضب الوليد حتى صار معه ثم قال

فلولا حرة مهدت عليكم صفية ما عددتم في النفير
ولا عرف الزبير ولا أبوه ولا قعد الزبير على السرير
وددنا أن أمكم غراب فكنتم شر طير في الطيور

قال أبو زيد إذا كان الشتا قطعت إلينا الغربان أي جاءت من بلادها فهي قواطع إلينا وإذا كان الصيف فهي رواجع والطير التي تقيم بأرضنا شتاها وصيفها أبدا فهي الأوابد والأوابد أيضا الدواهي يقال جانا بابدة ومنه الأشعار والأوابد أيضا الإبل إذا توحش منها شي فلم يقدر عليه إلا بالعقر وأنشد أبو زيد في الأوابد قول الراجز ومنهل وردته التقاطا طام فلم ألق به فراطا إلا القطا وأبدا غطاطا ويقال نعق الغراب ينعق نعيقا الغين معجمة ونعب ينعب نعبا والعين غير معجمة فإذا مرت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحج يشحج شحيجا

أي نعيبا ونعابا

وقال ذو الرمة

ومستشحجات بالفراق كأنها مثاكيل من صيابة النوب نوح

والنوبة توصف بالجزع وأصحاب الإبل يرغبون في اتخاذ
النوبة والبربر والروم للإبل يرون أنهم يصلحون على معاينتها
وتصلح على قيامهم عليها ومن العجب أن رجال الروم تصلح في البدو
مع الإبل ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها فأما السند فإن
السندي صاحب الحربة إذا صار إلى البدو وهو طفل خرج أفصح
من أبي مهدية ومن مصرف الغنوي ولهم طبيعة في الصرف لا ترى
بالبصرة صيرفيا إلا وصاحب كيسه سندي ثم اشترى محمد بن
السكن أبا روح فرجا السندي فاكتسب له المال العظيم فقل صيدنانيّ
إلا وله غلام سندي فبلغوا أيضا في البهرج والمعرفة بالعقاقير وفي
صحة المعاملة واجتلاب الحرفا مبلغا حسنا وللسند طبيعة
في الطبخ ما أكثر ما يحسنون فيه وقد كان يحيى بن خالد أراد أن يحول
أجرا الخيل عن صبيان الحبشة والنوبة إلى صبيان السند فلم
يفلحوا فيه وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من
الروم فلم يفلحوا فيه وفي السند أخلاق جياد وكذلك بنات
السند والغراب أيضا يسمى حاتما وقال عوف بن الخرع

ولكنما أهجو صفي بن ثابت مثبجة لاقت من الطير حاتما

وقال المرقش من بني سدوس

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

وأنشد لخثيم بن عدي

وليس بهياب إذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدما إذا صد عن تلك الهنات الخثارم

والخثارم هو المتطير من الرجال وأما قوله واق وحاتم فحاتم هو الغراب
وواق هو الصرد كأنه يرى أن الزجر يقع بالغراب إذا اشتق من اسمه
الغربة والاغتراب والغريب فإن ذلك حتم ويشتق منه الصرد
التصريد والصرد وهو البرد ويدلك على ذلك قوله

دعا صرد يوما على غصن شوحط وصاح بذات البان منها غرابها
فقلت أتصريد وشحط وغربة فهذا لعمري نأيها واغترابها

ويقال أغرب على الرجل فهو مغرب إذا اشتد مرضه قال
والعنقاء المغرب العقاب لأنها لا تجيء من مكان بعيد قال
وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير إذا مر
سانحا أو بارحا أو رآه يتفلى وينتف حتى صار إذا عاينوا
الأعور من الناس والبهائم والأعضب والأبتر زجروا عند
ذلك وتطيروا منه كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك
الأحوال فكان زجر الطير هو الأصل ومنه اشتقوا التطير

ثم استعملوا ذلك في كل شيء وللغراب لسواده اذا كان أسود
ولاختلاف لونه اذا كان أبقع ولأنه غريب يقطع ولأنه
لا يوجد في موضع خيامهم يتقمم الا عند مباينتهم لمساكنهم
ومزايلتهم لدورهم ولأنه ليس شيء من الطير اشد على ذوات
الوبر من ابلهم من الغربان ولأنه حديد البصر قالوا عند خوفهم
من عينه الأعور كما قالوا غراب لاغترابه وغربته وغراب
البين لأنه عند بيوتهم يوجد في دورهم وسموه ابن داية لأنه
ينقب عن الدبر حتى يبلغ الى دايات العنق وما اتصل بها من
خرزات الصلب وفقار الظهر وللطيرة سمت العرب المنهوش
بالسليم والبرية بالمفازة وكنوا الأعمى أبا بصير وسموا الغراب
بحاتم اذ كان يحتم التجربة على الاسود فصار تطيرهم من
القعيد والنطيح وجرد الجراد ومن الجرادة ذات الألوان وجميع
ذلك دون التطير بالغراب ولايمان العرب بباب الطيرة
والفال عقدوا الرتائم وعشروا اذا دخلوا القرى تعشير الحمار
واستعملوا في القداح الآمر والناهي والمتربص وهي غير قداح
الايسار ويدل على انهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون
ويسمعون قول سوار بن المضرب

تغنى الطائران ببين سلمى على غصنين من غرب وبان ٢٠١
فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير دان

فاشتق كما ترى الاغتراب من الغرب والبينونة من البان وقال جران العود
جرى يوم جئنا بالجمال نزفها عقاب وشحاج من البين يبرح ٢٠٢
فأما العقاب فهو منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطرح
فلم يجد في العقاب الا العقوبة وجعل الشحاج وهو الغراب
البارح وصاحب البين واشتق منه الغريب المطرح ورأى السمهري
غرابا واقعا فوق بانة ينتف ريشه فلم يجد في البان الا البينونة
ووجد في الغراب جميع معاني المكروه فقال

رأيت غرابا واقعا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقلت ولو اني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل انت زاجره
فقال غراب باغتراب من النوى وبالبان بين من حبيب تعاشره

فذكر الغراب باكثر مما ذكره به غيره ثم ذكر بعد شأن الريش وتطايره وقال آخر

دعا صرد يوما على غصن شوحط وطار بذات البين منها غرابها
فقلت اتصريد وشحط وغربة فهذا لعمري نأيها واغترابها



فاشتق التصريد من الصرد والغربة من الغراب والشحط من الشوحط
وقال الأعشى

ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير اذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى
التطير وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وقال عنترة ٢٠٧

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع

حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هش مولع

فزجرته الا تفرخ بيضه ابدا ويصبح خائفا يتفجع

ان الذين نعبت لي بفراقهم هم أسهروا ليل التمام فأوجعوا

فقال وجرى ببينهم الغراب لأنه غريب لأنه غراب البين ولأنه
أبقع ثم قال حرق الجناح تطيرا أيضا من ذلك ثم جعل لحيي رأسه
جلمين والجلم يقطع وجعله بالأخبار هشا مولعا وجعل نعيقه
وشحيجه كالخبر المفهوم قال والغراب أكثر من جميع ما يتطير منه
في باب الشؤم الا ترى انهم كلما ذكروا شيئا يتطيرون منه ذكروا
الغراب معه وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ثم اذا ذكروا كل
واحد من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه الا من وجه واحد
والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدم في الشؤم قال
صاحب الغراب الغراب وغير الغراب في ذلك سواء والأعرابي
ان شاء اشتق من الكلمة وتوهم فيها الخير وان شاء اشتق منها
الشر وكل كلمة تحتمل وجوها ولذلك قال الشاعر

نظرت وقد جاوزت بطن طويلع ضحيا وقد أفضى الى اللبب الحبل

الى ظبية تعطو سيالا تصوره تجاذبه الأفنان ذو حبل طفل

فقلت وعفت الحبل حبل وصالها تجزد من سال وانصرم الوصل

وقلت سيال قد تسلت مودتي تصور غصونا صار حتما نهيها تعلو

وعفت الغزيا الطفل طفلا أتت به فقلت لأصحابي مضيكم جهل

رجوعي حزم واشترائي ضلة كذلك كان الزجر يصدقني قبل

وقال ابن قيس الرقيات

بشر الظبي والغراب بسعدى مرحبا بالذي يقول الغراب

٢٠٤ وقال الآخر

بدا اذ قصدنا عامدين لأرضنا سنيح فقال القوم مر سنيح

وهاب رجال أن يقولوا وجمجموا فقلت لهم جار الي ربيح

عقاب بأعقاب من الدار بعد ما مضت نية لا تستطاع طروح

وقالوا دم دامت مودة بيننا وعاد لنا غض الشباب قريح

وقال صحابي هدهد فوق بانة هدى وبيان في الطريق يلوح

وقالوا حمامات فحم لقاؤها وطلح فنيلت والمطي طلوح

فهو اذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمى وان شاء قال
وقالوا حمامات فحم لقاؤها واذا شاء اشتق البين من البان واذا شاء
اشتق منه البيان وقال آخر

وقالوا عقاب قلت عقبى من الهوى دنت بعد هجر منهم ونزوح

وقالوا حمام قلت حم لقاؤها وعاد لنا حلو الشباب ربيح

وقالوا تغنى هدهد فوق بانة فقلت هدى نغدو به ونروح

ولو شاء الأعرابي اذا رأى سواد الغراب أن يقول سواد فسودد

وسواد الانسان شخصه وسواد العراق والاسودان التمر والماء
واشباه ذلك لقالة وقالوها ولا باعيانهم الذين يصرفون الزجر
كيف شاوا اذا لم يجدوا من وقوع شي بعد الزجر بدا اهو الذين
اذا بدا لهم في ذلك بدا انكروا الطيرة والزجر البتة وزعم الاصمعي
ان النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو فبينا هما
يريدان الرحلة اذ نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة فقال جرادة تجرد
ذوات الوان فتطير وقال غيري الذي خرج في هذا الوجه فلما رجع زبان
من تلك الغزوة سالما غانما انشا يقول

تخبر طيره فيها زياد لتخبره وما فيها خبير

٢٠٥ اقام كان لقمن بن عاد اشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير الا على متطير وهو الثبور

بلى شي يوافق بعض شي احايينا وباطله كثير

فزعم كما ترى زبان وهو من دهاة العرب وساداتهم ان الذي يجدونه
انما هو شي من طريق الاتفاق وقال تعلم انه لا طير الا على متطير
وهذا الا ينقض الاول من قوله الا واحدة فانه ان جعل ذلك من
طريق العقاب للمتطير لم ينقض قوله في الاتفاق وان ذهب
الى ان مثل ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهي عن ذلك وانه لا يومن
بالطيرة فاما المتوقع فهو في بلا ما كان متوقعا وان وافق بعض
المكروه جعله من ذلك ويقال ان ابن الزبير لما خرج مع اهله من المدينة

الى مكة سمع بعض اخوته ينشد ٢٠٦

كل بني ام سيمسون ليلة ولم يبق من اعيانهم غير واحد

فقال لاخيه ما دعاك الى هذا قال اما اني ما اردته قال ذاك اشد له
وهذا منه ايمان شديد بالطيرة كما ترى وممن كان لا يرى الطيرة
شيا المرقش من بني سدوس حيث يقول

اني غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم

فاذا الاشايم كالايامن والايامن كالاشايم

فكذاك لا خير ولا شر على احد بدايم

وانشد لخثيم بن عدي

وليس بهياب اذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم

ولكنه يمضي على ذاك مقدما اذا صد عن تلك الهنات الخثارم

والخثارم المتطير وهو قول سلامة بن جندل

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشوم

وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك الحرث بن حلزة وهو قوله قال
ابو عبيدة انشدنيها ابو عمرو وليست الا هذه الابيات وساير
القصيدة مصنوع مولد وهو قوله

يا ايها المزمع ثم انثنى لا يثنك الحازي ولا الشاحج

ولا قعيد اعضب قرنه هاج له من مرتع هايج

بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من امره خالج

يترك ما رقّح من عيشه يعيث فيه همج هامج
لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدري من الناتج

وقال الاصمعي قال سلم بن قتيبة أضللت ناقة لي عشراء وانا بالبدو فخرجت في طلبها فتلقاني رجل آخذ بخطام بعير وهو ينشد

فلئن بغيت له البغاة فما البغاة بواجدينا

ثم من بعد ذلك كله سألت عنها بعض من لقيت فقال التمسها عند تلك النار فأتيتهم فاذا هم قد نحروها جزورا وقد أوقدوا لها نارا فاخذت بخطامها وانصرفت واخبرني ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام قال جعت حتى اكلت الطين وما صرت الى ذلك حتى قلبت قلبي اتذكر هل بها رجل اصيب عنده غدا او عشاء فاقدرت عليه وكان علي جبة وقميصان فنزعت القميص الاسفل فبعته بدريهمات ثم قصدت الى فرضة الاهواز اريد قصبة الاهواز وما اعرف بها احدا وما كان ذلك الا شيئا اخرجه الضجر وبعض التعرض فوافيت الفرضة فلم اصب بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم اني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت من ذلك واذا فيها حمولة فقلت للملاح تحملني قال نعم قلت اسمك قال داوداذ بالفارسية اسم الشيطان فتطيرت من ذلك وركبت معه تصك الشمال وجهي وتنثر بالليل الصقيع على راسي فلما قربنا الى الفرضة صحت يا حمال ومعي لحاف لي سمل ومضربة خلق

عسه

نسخة اخرى

ارطق

وبعض ما لا بد لمثلي منه فكان أول حمال أجابني أعور فقلت لبقال وكان واقفا بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما أدناه من متاعي اذا الثور أعضب فازددت طيرة الى طيرة فقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين وقلت ومن لي بالموت فلما صرت في الخان وانا جالس فيه متاعي بين يدي وانا أقول ان خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فتش الباب وسرق وان جلست لاحفظه لم يكن لمجيئي الى الاهواز وجه فبينا انا جالس اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا عافاك الله قال رجل يريدك فقلت من انا قال ابرهيم قلت ومن ابرهيم قال ابرهيم النظام قال قلت هذا خناق أو عدو او رسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب فقال لي ارسلني اليك ابرهيم بن عبد العزيز ويقول لك نحن وان كنا اختلفنا في بعض المقالة فانا قد نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رايتك حيث مررت بي على حال كرهتها وما عرفتك حتى خبرني عنك بعض من كان معي وينبغي أن تكون قد نزعت بك حاجة فان شئت فأقم بمكانك شهرا او شهرين فعسى أن نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمنا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلثون دينارا فخذها وانصرف وانت احق من عذر قال فهجم والله علي أمر كاد ينقضني اما واحدة فاني لم اكن ملكت قبل ثلثين دينارا في جميع دهري والثانية انه لم يطل مقامي وغيبتي

عن وطني وعن أصحابي الذين هم على حال أشكل بي وافهم عني والثالثة
ملبتين لي من الطيرة انها باطل وذلك انه قد تتابع علي منها ضروب
والواحدة منها كانت عندهم معطبة قال وعلى مثل ذلك الاشتقاق
يعمل الذين يعبرون الرؤيا وبالبصرة من شان الغربان ضرب من العجب
لو كان ذلك بمصر او ببعض الشامات لكان عندهم من أجود الطلسم
وذلك ان الغربان تقطع البنا في الخريف فترى الارض ونصفها مصرم
وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة
من النخل الذي لم يصرم ولو لم يبق عليها الا عذق واحد وانما او كان جميع
الطير المصوت في اقلاب تلك النخل والغراب أطير وأقوى منها ثم لا تجترئ
على أن يسقط على نخلة منها بعد أن يكون قد بقي عليه عذق واحد
ومنقار الغراب معول وهو شديد النقر وانه ليصل الى الكماة المندفنة في
الارض بنقرة واحدة حتى يشخصها وهو أبصر بمواضع الكماة من اعرابي
يطلبها في منبت الاجرد والقصيص في يوم له شمس حارة وان
الاعرابي يحتاج أن يرى ما فوقها من الارض فيه بعض الانتفاخ و
الانصداع وما يحتاج الغراب الى ذلك الدليل وقال ابو دواد الايادي

تنفي الحصا صعدا شرقي منسمها نفي الغراب بأعلا انفه الغرده

فلو ان الله عز وجل اذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها الثمرة
وفي ذلك الوقت لو ان انسانا نقر العذق نقرة لا نتثر عامة ما فيه
لهلكت غلات الناس ولكنك ترى على كل نخلة مصرومة الغربان

عجيب آخر

الا وكان بالنون كالا وكار بالراء وزنا ومعنى ومفردا وجمعا كما حكي الأصمعي

ثم قال امرؤ القيس وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل فالوكنات ذلك جمع وكنة [illegible]

جواب الشرط الاول

الكثيرة ولا ترى على التي تليها غرابا واحدا حتى اذا صرموا ما عليها تسابقن الى
ما سقط من التمر في جوف اللب واصول الكرب ليستخرجنه كما يستخرج المنتاخ
الشوكة فان قال قايل انما أشبحت تلك الاعذاق السود المدلاة كالخرق
السود التي يفزع الطير أن يقع على البزور كالخرق السود والقوادم
السود التي تغرز في أسنمة ذوات الدبر من الابل فلا تسقط عليها
الغربان فكأنها اذا رأت سواد الاعذاق فزعت كما تفزع الطير
من الخرق السود وقال الاخر قد نجد جميع الطير التي تفزع بالخرق
السود فلا تسقط على حب البزور والبذور ويقع كله على النخل وعليه
الحمل وهل لعامة الطير أوكار الا في أقلاب النخل ذوات الحمل
وقال الاخر يشبه أن يكون الغربان قطعت البنا من مواضع
ليس فيها نخل ولا اعذاق وهذه الطير التي تفزع بالخرق السود
انما خلقت ونشأت في المواضع التي لم تزل ترى فيها النخل والاعذاق
ولا نعرف لذلك علة سوى هذا وكيف يكون الشأن كذلك ومن الغربان
غربان أوابد بالعراق لا تبرح تعشش في رؤوس النخل وتبيض
وتفرخ الا انها لا تقرب النخلة التي عليها الحمل والدليل على انها
لا تقرب النخلة التي عليها الحمل والدليل على انها تعشش في نخل
البصرة وفي رؤوس أشجار البادية قول الأصمعي

ومن ذردك مثل مكن الضباب تنافح عيدانه التشمكان
ومن سكر فيه عش الغراب من جيسوان وبنداذجان

٢١١

وقال ابو محمد الفقعسي وهو يصف فحل هجمة

يتبعها عدبّس جرائض   اكلف مربدّ هصور هائض
لحيث يعشش الغراب البائض

والعامة تتطير من الغراب اذا
صاح صيحة واحدة فاذا ثنى تفاءلت به والبوم عند اهل الري واهل مرو
يتفال به واهل البصرة يتطيرون منه والعرب تتطير من الخلاف والفارسي
يتفال به لان اسمه بالفارسية بيذاي بيعني وبالعربية خلاف والخلاف
غير الوفاق والريحان يتفال به لانه مشتق من الروح ويتطير منه لان
طعمه مر وان كان في العين والانف مقبولا وقال شاعر من المحدثين

اهدى له احبابه اترجة   فبكى واشفق من عيافة زاجر
متعجبا مما اتاه فطعمه   لونان باطنه خلاف الظاهر

والفرس تحب الآس وتكره الورد لان الورد لا يدوم والآس دائم قال
واذا صاح الغراب مرتين فهو شر واذا صاح ثلث مرات فهو خير
على قدر عدد الحروف ويقال ان بين الغراب والحمار عداوة قال ذلك
صاحب المنطق وانشدني بعض النحويين

عاديتنا لا زلت في تباب   عداوة الحمار للغراب

ويقال اصح من غراب وانشد ابن ابي كريمة لبعضهم وهو يهجو
صريع الغواني مسلم بن الوليد

فما ريح السذاب اشد بغضا   الى الحيات منك الى الغواني

وانشد فيه

واصلب هامة من ذي جيود   ودون صداعه حمى الغراب

وزعم لي داهية من دواهي الحوائين ان الافاعي وحيات الاحناش
تاتي اصول الشيح والحرمل تستظل به وتستريح اليه قال ويقال اغرب
من غراب وانشد قول مضرس بن لقيط ٢١٢

كاني واصحابي وكري اليهم   على كل حال من نشاط ومن سام
غراب من الغربان ايام قرة   رأى لحما بالعراص على وضم

وقد اعترض قوم علينا في الحديث الذي جا في تفرقة ما بين الطيرة والفال
وزعموا انه ليس لقوله كان يعجبه الفال ويكره الطيرة معنى وقالوا
ان كان ليس لقوله القايل يا هالك وانت باغ وجه ولا تحقيق
فكذلك اذا قال يا واجد فليس له تحقيق
وليس قوله يا مضل ويا مهلك احق بان يكون لا يوجب ضلالا ولا هلاكا
من قوله يا واجد الا ان يكون يوجب ظفرا فاما ان يكونا جميعا

يوجبان واما ان يكونا جميعا لا يوجبان قيل له ليس التاويل ما اليه
ذهبتم لو ان الناس املوا فوايد الله تعالى عند كل سبب ضعيف
وقوي لكانوا على خير ولو غلطوا في جهة الرجا لكان لهم بنفس ذلك
الرجاء خير ولو انهم بدل ذلك قطعوا املهم ورجاهم من الله لكان
ذلك من الشر والفال ان تسمع كلمة في نفسها مستحسنة ثم ان احب
بعد ذلك وعند ذلك ان يحدث طمعا فيما عند الله كان نفس الطمع
خلاف اليأس وانما خبر انه كان يعجبه فهذا اخبار عن الفطرة
وكيف هي وعن الطبيعة والى اي شي تتقلب وقد قيل لبعض

الفقها ما الفال قال أن تسمع وأنت مضل يا واجد وأنت خايف
يا سالم ولم يقل ان الفال يوجب لنفسه السلامة ولكنهم يحبون له
إخراج اليأس وسوء الظن وتوقع البلاء من قلبه على كل حال
وحال الطيرة حال من تلك الحالات ويحبون أن يكون لله راجيا
وأن يكون حسن الظن فإن ظن أن ذلك المرجو يوافق تلك الكلمة ففرح
لذلك فلا بأس وقال الاصمعي هرب بعض البصريين من بعض الطواعين
فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفوان فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي بعقة مطار
أو يأتي الحتف على مقدار ... قد يصبح الله أمام الساري ٢١٢

فلما سمع ذلك رجع بهم قال والغربان تسقط في الصحاري
تلتمس الطعم فلا تزال كذلك فإذا وجبت الشمس نهضت الى أوكارها
معا وما أقل ما تختلط البقع بالسود المصمتة قال ومنها أجناس
كثيرة عظام كأمثال الحداء السود ومنها صغار في مناقيرها
اختلاف في الألوان والصور ومنها غربان تحكي كل شيء تسمعه حتى
هي في ذلك أعجب من الببغا وما أكثر ما يتخلف عندنا منها بالبصرة
في الصيف فإذا دخل القيظ قلت جدا وأكثر المتخلفات
منها البقع فإذا جا الخريف رجعن الى البساتين لتنال ما يسقط
من التمر في كرب النخل وفي الأرض ولا تقرب النخلة إذا كان عليها
عذق واحد فأكثر هذه الغربان سود ولا تكاد ترى فيهن أبقع قال

الأصمعي قال خلف لم أر قط أقبح من فرخ الغراب رأيته مرة فإذا صغير
الجرم عظيم الرأس عظيم المنقار أجرد أسود الجلد ساقط النفس
متفاوت الأعضا قال وبعضها يقيم عندنا في القيظ فأما في الصيف
فكثير وأما في الخريف فالدهم وأكثر ما نراه في أعالي سطوحنا في
القيظ والصيف البقع وأكثر ما ترى في الخريف في النخل وفي الشتاء
في البيوت السود وفي جبل تكريت في تلك الأيام غربان سود كأمثال
الحداء السود عظما وناس يزعمون أن تسافدها غير تسافد
الطير وأنها تزاق بالمناقير وتلقح من هناك ه

٢١٤ ذكر نوادر أشعار

وشيئا من أحاديث من جاءها وما ردها قال ابن نجيم كان
يستحسن هذا البيت وهو لأرطاة بن سهية

فقلت لها يا أم بيضا أنه ... هريق شبابي واستشن أديمي

صار شنا وكان الاصمعي يستحسن قول الطرماح في صفة الظليم

مجتاب شملة برجد لسراته ... قدرا وأسلم ما سواه البرجد

ويستحسن قوله في صفة الثور

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يسل ويغمد

وكان أبو نواس يستحسن قول الطرماح

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت ... عرى المجد واسترخى عنان القصائد

وقال كثير

إذا المال لم يوجب عليك عطاؤه صنيعة تقوى أو خليل توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلذك المال الا حقايقه
وقال سهل بن هرون يمدح يحيى بن خلد
عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان أحزما
وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله
خير منك من لا خير فيه وخير من زيارتك القعود
وقال الأعشى
قد نطعن الخيل في مكنون فايله وقد يشيط على أرماحنا البطل ٢١٥
لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت الفتل
وقال العلا بن الحداد
اظهروا للناس سمتا وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا
وله قاموا وقالوا وله حلوا وساروا
لو بدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا
وقال الآخر في مثل ذلك
شمر ثيابك واستعد لقايل واحكك جبينك للقضا بثوم
وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة حتى تصيب وديعة ليتيم
قال ابو الحسن كان يقال من رق وجهه رق علمه وقال عمر تفقهوا
قبل أن تسودوا وقال الأصمعي وصلت بالعلم وكسبت بالملح ومن

الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والى دم
مقبل مدبر خفيف ذفيف أدسم الثوب قد شوى سمكات
من شبابيط لجة ذات غمر جدب من شحومها زمنات
فكر فيهما فإنهما سيمتعانك ساعة وقال الشاعر
ان أجز علقمة بن سيف سعيه لا أجزه ببلاء يوم واحد
لاحبني حب الصبي وزمني زم الهدي الى الفتى الواجد
ولقد شفيت غليلتي ونفعتها من آل مسعود بماء بارد
وقال رجل من جرم ٢١٦
بنيت أخرا الى أرادوا عمومتي لشنعا فيها تامل السم منقعا
سأركبها فيكم وادعى مفرقا فان شيتم من بعد كنت مجمعا
وقال يونس بن حبيب ما أكلت في شتا قط شيئا الا وقد برد ولا أكلت
في صيف قط شيئا الا وقد سخن وقال ابو عمرو المديني لو كانت البلايا
بالحصص ما نالني كل ما نالني اختلفت جاريتي بالشاة الى التياس
اختلافا كثيرا فرجعت الشاة حايلا والجارية حايلا وقال جعفر بن
سعيد الخلاف موكل بكل شي يكون حتى القذاة في الما في راس الكوز
فان أردت أن تشرب الماجات الى فيك وان اردت ان تصب
من راس الكوز لتخرج رجعت وقال اسمعيل بن غزوان بكرت اليوم
الى منزل أبي عمران فلزمت الجادة فاستقبلني واحد لزم الجادة
التي انا عليها فلما اغشيني انحرفت عنه يمنة فانحرف معي فعدت

الى سنتي الاول فعاد فعرت فعاد ثم عرت فعاد فلولا ان صاحب بردون
فرق بيننا لكان الى الساعة يكدني فدخلت على أبي عمران فدعا بغدائه
فأهويت بلقمتي الى الصباغ فأهوى اليه بعضهم فنحيت يدي فنحى يده
ثم عرت فعاد ثم نحيت فنحى فقلت لابي عمران اما ترى ما نحن فيه
فقال ساحدثك باعجب من هذا انا منذ سنة اكره أن يراني ابن
ابي عون الخياط فلم يتفق أن يراني مرة واحدة فلما ان كان امس ذكرت
لابي الحارث الصنع في السلامة من رؤيته فاستقبلني امس اربع مرات
وذكر محمد بن سلام عن محمد بن القسم قال قال جرير انا لا ابتدي ولكني اعتدي
وقال ابو عبيدة قال الحجاج أنا حديد حقود حسود وقال قديد بن منيع
لحديد بن علي الحكم الصبي على أهله وقال أبو اسحق وذكر انسانا هو
والله أنزق من دبيب نملك وأخرق من امراة واظلم من صبي وقال لي
ابو عبيدة ما ينبغي أن يكون كان في الدنيا مثل ذاك النظام قلت
وكيف قال مر بي يوما فقلت والله لامتحننه ولاسمعن كلامه
فقلت له ما عيب الزجاج فقال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر
من غير أن يكون فكر او ارتدع قال وقال حماد بن مالك بن سلمى
وذكر عامر بن الطفيل كان لا يضل حتى يضل النجم ولا يعطش
حتى يعطش البعير ولا يهاب حتى يهاب السيل كان والله خير
ما كان حين لا تظن نفس بنفس خيرا وقال ابن الاعرابي قال
أعرابي اللهم لا تنزلني ماء سوء فاكون امرأ سوء يقول تدعوني

قلته الى منعه ودخل عبد الله بن حسن على هشام في ثياب سفره
فقال له اذكر حوائجك فقال عبد الله ركابي مناخة وعلي ثياب
سفري قال هشام انك لا تجدني خيرا مني لك الساعة قال ابو عبيدة
بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن فارسل اليه فقال
اني أخاف عليك طواعين الشام وانك لن تغنم أهلك خيرا منك
فالحق بهم فان حوائجك ستتبعك فكان ظاهر ما يتكلمون به
ويرونه جميلا مذكورا وكان معناهم الكراهة لمقامه بالشام
وكانوا يرون جماله ويعرفون بيانه وكماله فكان ذلك العمل من اجود
التدبير فيه عند نفسه وقال محمد بن سلام عن حماد بن سلمة
عن الازرق بن قيس ان الاحنف كان يكره الصلاة في المقصورة
فقال بعض القوم لم لا تصلي في المقصورة قال لا اترك قال فلذلك
لا اصلي فيها وهذا كلام يدل على ضروب من الخير كثيرة وانشد

تليح من الموت الذي هو واقع   وللموت باب أنت لا شك داخله

وقال الآخر

أكلكم أقام على عجوز   عشنزرة مقلدة سخابا

وقال الآخر

الموت باب وكل الناس داخله   فليت شعري بعد الباب ما الدار
لو كنت اعلم من يدري فيخبرني   أجنة الخلد مثوانا أم النار

وقال الآخر

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان المرء غير مخلد
فاذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابو العتاهية
والشمس تنعى ساكن الدنيا ويسعدها القمر
اين الذين عليهم ركم الجنادل والمدر ٢١٩
افناهم غلس العشي يهز اجنحة السحر
ما للقلوب رقيقة وكان قلبك من حجر
ولقلما تبقى وعودك كل يوم يعتصر
وقال زهير
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الذل يندم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقال زهير ايضا
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا
وقال ايضا
وجار البيت والرجل المنادي امام الحي عقدهما سواء
جوار شاهد عدل عليكم وسيان الكفالة والتلاء
فان الحق مقطعه ثلث يمين او نفار او جلاء

فتفهم هذه الاقسام الثلثة كيف فصلها هذا الاعرابي وقال ايضا
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد
ولكن منه باقيات وراثة فاورث بنيك بعضها وتزود
تزود الى يوم الممات فانه وان كرهته النفس آخر معهد
وقال الاسدي
فاني احب الخلد لو استطيعه وكالخلد عندي ان اموت ولم الم
٢٢١ وقال الحادرة
فاثنوا علينا لا ابا لابيكم باحساننا ان الثناء هو الخلد
وقال الغنوي
فاذا بلغتم اهلكم فتحدثوا ومن الحديث مهالك وخلود
وقال الآخر
نقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم جزاء العطاس لا يموت من اثار
وقال زهير
والاثم من شر ما تصول به والبر كالغيث نبته امر
اي كثير ولو شاء ان يقول والبر كالماء نبته امر استقام الشعر
ولكن كان لا يكون له معنى وانما اراد ان النبات يكون على
الغيث اجود ثم قال
قد اشهد الشارب المعذل لا معروفه منكر ولا حصر
في فتية لين المآزر لا ينسون احلامهم اذا سكروا

يشوون للضيف والعفاة ويوفون قضاء إذا هم نذروا

يمدح كما ترى أهل الجاهلية بالوفاء بالنذر أنشدني حيان عن عبيد عن أبي عبيدة

أن من الشوارد التي لا أرباب لها قوله

أن يغدروا أو يفجروا أو يبخلوا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

كأبي براقش كل يوم لونه يتخيل (يتنقل)

وقال الصلتان السعدي وهو غير الصلتان العبدي

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي

إذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتي

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

إذا قلت يوما لذي معشر أروني السري أروك الغني

ألم تر لقمان أوصى بنيه وأوصيت عمرا ونعم الوصي

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

وأنشدني محمد بن زياد الأعرابي

ولا تلبث الأطماع من ليس عنده من الدين شيء أن تتاربه النفس

ولا تلبث الحرص الإهاب يحوزه بجمعك أن تنهاه كعبرة الراس

وأنشد أبو زيد النحوي لبعض القدماء

مهما يكن ريب المنون فإنني أرى قمر الليل المعذب كالفتى

يعود ضئيلا ثم يرجع دائبا ويعظم حتى قيل قد ثاب واستوى

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه وتكراره في إثره بعد ما مضى

وقال أبو النجم

ميز عنه قنزعا عن قنزع مر الليالي أبطئي وأسرعي

أفناه قيل الله للشمس اطلعي ثم إذا واراك أفق فارجعي

وقال عبد هند

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يناغي نساء الحي في طرة البرد

يعلل والأيام تنقص عمره كما تنقص النيران من طرف الزند

وقال أبو العتاهية أسرع في نقص امرئ تمامه

وقال وللفنا في كل شيء حركات كأنهن سكون

وقال ابن ميادة

هل ينطق الربع بالعلياء غيره سافي الرياح ومستن له طنب

وقال ابن ميادة

أشاقك بالقنع الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم

يلحن وقد جرمن عشرين حجة كما لاح في ظهر البنان وشوم

وقال

في مرفقيها إذا ما عونقت جمم على الضجيع وفي أنيابها شنب

وقال ابن ميادة في جعفر ومحمد ابني سليمن وهو يعني المنصور

وفى لكما يا ابني سليمن قاسم لجد التهامي إذ يقسم الخير قاسمه

فبينكما بيت رفيع بناؤه متى يلق بيتا مجدكم فهو هادمه
لكم كبش صدق شذب الشول عنكم وكرمه في كل كبش يصادمه

باب فيمن يجاوزن كرما بالشوم

قال دعبل في صلح بن علي الافقم وكان لا يصحب رجلا الا مات او قتل او سقطت منزلته

قل للامين امين آل محمد قول امرء شفق عليه محامي ٢٢٦
اياك ان يفتر عنك صنيعة في صلح بن عطية الحجام
ليس الصنايع عنده بصنايع لكنهن طوايل الاسلام
اضرب به نحر العدو فانه جيش من الطاعون والبرسام

وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن عايشة

للهلالي قتيل ابدا في كل عام قتل الفضل بن سهل وعلي بن هشام
وعجيفا اخر القوم باكناف الشام وبدا يطلب من يقتل بالسيف الحسام
فاعاذ الله منه احمد اخير الانام يعني احمد بن ابي دواد

وقال عيسى بن زينب في الصخري وكان مشوما

يا قوم من كان له والدا كل ما جمع من وفر
فان عندي لابنه حيلة يموت ان اصحبه الصخري
كانما في كفه مبرة يبرد ما طال من العمر

وقال الاعشى

فما ان على قلبه غمرة وما ان بعظم له من وهن

وقال

وقال الكميت

ولم يقل بعد زلته لهم كروا المعاذير انما حسبوا

وقال الاخر

فلا تعذراني في الاساءة انه شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقال كلثوم بن عمرو ٢٢٧

رحل الرجاء اليك مغتربا حشدت عليه نوايب الدهر
ردت اليه ندامتي املي وثنى اليه عنانه شكري
وجعلت عتبك عتب موعظة ورجاء عفوك منتهى عذري

وقال الاعشى

قلدتك الشعر يا سلامة ذا الافضال والشيء حيث ما جعلا
والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا
لو كنت ماء عدا جمعت اذا ما ورد القوم لم تكن وشلا
انجب اباؤه الكرام به اذ نجلاه فنعم ما نجلا

وقال الكذاب الحرمازي لقومه او لغيرهم

لو كنتم شاء لكنتم نقدا او كنتم ماء لكنتم ثمدا او كنتم قولا لكنتم فندا

وقال الاعشى

فعلى مثلها ازور بني قيس اذا شط بالحبيب الفراق
المهينين ما لهم في زمان السوء حتى اذا افاق افاقوا
واذا ذو الفضول ضن على المولى وصارت لخيمها الاخلاق

١

ومشى القوم بالعماد الى الرزحى وأعيا المسيم أين المساق
أخذ وفضلهم هناك وقد تجرى على عرقها الكرام العتاق
واذا الغيث صوبه وضع القدح وجن التلاع والآفاق
لم يزدهم سفاهة شرب الكاس ولا اللهو فيهم والسباق
واضعا فى سراة نجران رحلى ناعما غير اننى مشتاق
فى مطايا اربابهن عجال عن ثواء وهمهن العراق
درمك غدوة لنا ونشيل وصبوح مباكر واغتباق
وندامى بيض الوجوه وكان الشرب فيهم مصاعب أفناق
فيهم الحزم والسماحة والنجدة جمعا والخاطب المسلاق
وابيون لا يسامون ضيما ومكيثون والحلوم وثاق
وترى مجلسا يغص به المحراب بالقوم والثياب رقاق ٢٢٥
وقال الأعشى فى ذكر الثياب أيضا
أزور يزيد وعبد المسيح وقيسا هم خير اربابها
وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخى بأبوابها
اذا الحبرات تلوت بهم وجروا أسافل أهدابها
وفى الثياب يقول الآخر
أسيلم ذاكم لا خفا بمكانه لعين ترجى أو لأذن تسمع
من البقر البيض الذين اذا انتجوا وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه وطيب الدهان فهو أفرق أنزع
اذ

اذا البقر السود اليمانون حاولوا له حوك برديه أرقوا وأوسعوا
وقال كثير
يجرر سربالا عليه كأنه سبى هلال لم تفتق شرائقه
وقال الجعدى ٢٢٦
أتانى نصرهم وهم بعيد بلادهم بأرض الخيزران
يريد أرض الخصب والأغصان اللينة وقال الشاعر
فى كفه خيزران ريحه عبق بكف أروع فى عرنينه شمم
لأن الملك لا يختصر الا بعود لين وقال الآخر
تجاوبها أخرى على خيزرانة يكاد يدنيها من الأرض لينها
وقال الآخر
بنتم بنبات الخيزرانى فى الثرى حديثا متى ما يأتك الخير ينفع
وقال الآخر
قصار الهم الا فى صديق كان وطابهم موتى الضباب
وقال المسيب بن علس
تامت فؤادك اذ عرضت لها حسن برأى العين ما تمق
وقال ابن أبى ربيعة حسن فى كل عين من تود
وقال عبد الله بن معوية
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
وقال روح أبو همام

١

وعين السخط تظهر كل عيب وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى

وقال الفرزدق

الا خبروني أيها الناس انما سالت ومن يسأل عن العلم يعلم

سؤال امرء لم يغفل العلم صدره وما السائل الواعي الاحاديث كالعمي

وقيل لدغفل أنى لك هذا العلم قال لسان سؤول وقلب عقول

وقال النابغة ٢٢٧

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

مضلوه دافنوه على قوله إذا ضللنا في الأرض وقال المخبل

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

وقال زهير أو غيره في سنان بن أبي حارثة

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت

ولذلك زعم بعض الناس ان سنان بن ابي حارثة خرف فذهب على وجهه فلم يوجد ويزعمون ان ثلثة نفر هاموا على وجوههم فلم يوجدوا طالب ابن أبي طالب وسنان بن ابي حارثة ومرداس بن ابي عامر وقال جرير

واني لاستحيي أخي أن أرى له علي من الفضل الذي لا يرى ليا

وقال امرؤ القيس

وهل ينعمن الا خلي منعم قليل الهموم ما يبيت باوجال

قال الأصمعي هذا مثل قولهم استراح من لا عقل له وقال ابن ابي ربيعة

وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخر الليل تسهر

باب من مديح الفقها والصالحين

قال ابن الخياط يمدح مالك بن انس

يابى الجواب فما يراجع هيبة والسايلون نواكس الاذقان

هدي التقي وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقال ابن الخياط في بعضهم ٢٢٨

فتى لم يجالس مالكا منذ ان نشا ولم يقتبس من علمه فهو جاهل

وقال آخر

أنت بالليل ذيب لا حريم له وبالنهار على سمت ابن سيرين

وقال الخليل بن أحمد وذكر عنده الحظ والجد فقال اما الجد فلا أقول فيه شيا واما الحظ فاخزى الله الحظ فانه يبلد الطالب اذا اتكل عليه ويبعد المطلوب اليه من منعة الطالب وقال ابن شبرمة

لو شيت كنت ككرز في تعبده أو كابن طارق حول البيت في الحرم

قد حال بين لذيذ العيش خوفهما وسارعا في طلاب الفوز والكرم

وقال الشاعر في مديح الأصمعي

لا در در خطوب الدهر اذ فجعت بالأصمعي لقد ابقت لنا أسفا

عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفا

وقال الحسن بن هاني في مرثية خلف الأحمر

لو كان حي وائلا من التلف لوألت شغواء في أعلى الشعف

أم فرخ أحرزته في لجف ... مزغب لا لغاد لم يأكل بكف
ها تبك أم عصام في أعلا الشرف ... تطل في الطباق والنيق الأنف
أودى جلع العلم منا وحلف ودى ... فليذم من العياليم الخسف

وقال يرثيه في كلمة له

٢٢٩

بت أعزي الفؤاد عن خلف ... وبات دمعي الا يفض يكف
أنسى الرزايا ميت فجعت به ... أضحى رهين التراب في جدف
كان يسني برفقه غلق الأفهام في لاخرق ولا عنف
يجوب عنك التي غشيت لها من قبل حتى يشفيك في لطف
لا يهمز الحاء في القراءة بالجا ولا لامها مع الألف
ولا مضلا سبل الكلام ولا يكون إسناده عن الصحف
وكان ممن مضى لنا خلفا فليس إذ مات منه من خلف

وقال ابن عرفطة

ليهنك بغض في الصديق وظنة وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه
وانك مشنوء الى كل صاحب بلاك ومثل الشر يكره جانبه
وانك مهداء الخنا نطف الحشا شديد السباب رافع الصوت غالبه

وقال النابغة الجعدي

أبى لي البلاء وأني امرؤ إذا ما تبينت لم أرتب

ليس يريد أنه في حال تبينه غير مرتاب وإنما يعني أن بصيرته لا تتغير وقال ابن الجهم ذات يوم أنا لا أكاد أشك فقال المكي وأنا لا أكاد أوقن

قال طرفة

٢٣٠

وكري إذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه في اليد
أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى ... بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر ... إذا خطرت أيدي الرجال بمشهد

[illegible]

القول في المحقرات من حشرات الأرض

وسنقول في هذه المحقرات من حشرات الأرض في المذكور من بغاث الطير وخشاشه مما يقتات العذرة ويوصف باللؤم ويتقزز من مشيه وأكل لحمه كالخنفساء والجعل والهدهد والرخم فإن هذه الأجناس أطلب للعذرة من الخنازير فأول ما نذكر من أعاجيبها صداقة ما بين الخنافس والعقارب كصداقة ما بين الحيات والوزغ وتزعم الأعراب أن بين ذكورة الخنافس وإناث الجعلان تسافدا وأنهما ينتجان خلقا ينزع إليهما وأنشد خشام الأعور النحوي عن سيبويه النحوي عن بعض الأعراب في هجايه عدوا له كان شديد السواد

عاديتنا يا خنفسا كأم جعل ... عداوة الأوعال حيات الجبل
من كل عود مرهف الناب عتل ... يحرق إن مس وإن شم قتل

ويثبت أكل الأوعال الحيات الشعر المشهور في ايدي أصحابنا وهو قوله

علّ زيدًا أن يلاقي مرة في البماسين بعض حيات الجبل
غاير العينين مفطوح القفا ليس من حيات جحر والغلل
يتوارى في صدوع مرة وترى الخطفة كالقدح المول
وترى السم على أشداقه كشعاع الشمس لاحت في طفل ٢٢١
طرد الأروى فما تقربه ونفى الحيات عن بيض الحجل

وانما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من اصناف الوحش لان الأروى من بينها تأكل الحيات للعداوة التي بينها وبين الحيات والأروى اناث الأوعال واحدتها اروية والناس يسمون بناتهم باسم الجماعة منها ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها لا يسمون باروية ويسمون باروى وقال شماخ بن ضرار

فما أروى ولو كرمت علينا بأدنى من موقفة حرون

وانشد ابو زيد في جماعة الاروية

فما لك من أروى تداعيت بالعمى ولاقيت كلابا مطلا وراميا

يقال تداعى القوم وتفاقدوا اذا مات بعضهم على اثر بعض وقالت في ذلك ضباعة بنت قرط في مرثية زوجها هشام بن المغيرة

ان ابا عثمان لم انسه وان صمتا عن بكاه الجيوب
تفاقدوا من معشر ما لهم اي ذنوب صوبوا في القليب

واما قوله ونفى الحيات عن بيض الحجل فان الحيات تطلب بيض

كل طاير وفراخه وبيض كل طاير ما يبيض على الارض احب اليها ولا اعرف لذلك علة الا سهولة المطلب والايايل تاكل الحيات والخنازير تاكل الحيات وتعاديها وزعم صاحب المنطق ان بين الحمار والغراب عداوة وانشد في بعض النحويين

عاديتنا لا زلت في تباب عداوة الحمار للغراب

٢٢٢ وانشد ابن ابي كريمة لبعض الشعراء في صريع الغواني

فما ريح السذاب اشد بغضا الى الحيات منك الى الغواني

ويقال الج من خنفسا واحمق من ماسية وهي الخنفسا والخنفس من قالية الافاعي والفسا يوصف به ضربان من الخلق الخنفسا والظربان وفي لجاج الخنفسا يقول خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطا قليل الصواب
الح لجاجا من الخنفساء وازهى اذا ما مشى من غراب

وقال الرقاشي وذكر صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبيه فقال لي اعرابي الخنفسا اصبر منه ولقد رايت صبيا من صبيانكم البارحة اخذ شوكة وجعل في راسها فتيلة ثم اوقد فيها نارا ثم غرزها في ظهر خنفسا حتى انفذ الشوكة فغبرنا ليلتنا وانها لتجول في الدار وتصبح لنا والله اني لاظنها كانت مقربا لانتفاخ بطنها قالوا وقال القناني العواسا الحامل من الخنافس انشد بكرا عواسا تفاسا مقربا قال ومن اعاجيب الجعل انه يموت من ريح الورد ويعيش اذا اعيد الى

الروث ويضرب بشرة سواد لونه المثل قال الراجز يصف أسود سالخا
مهرق الأشداق عود قد كل كأنما قص من ليط جعل
والجعل يظل دهرا لا جناح له ثم ينبت له جناحان كالنمل الذي يغبر زمانا
لا جناح له ثم ينبت له جناحان وذلك علامة هلكته والدعاميص
تغبر حينا لا أجنحة لها ثم تصير فراشا وبعوضا وليس كذلك الجراد والذبان
لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور الأيام وزعم ثمامة
عن يحيى بن خالد انه زعم ان البرغوث قد يستحيل بعوضة والجعل عجيبه
يحرس النيام فكلما قام منهم نايم فقضى لحاجته تبعه طمعا لأنه إنما عجيبة لغوي
يريد الغايط وأنشد بعضهم قول الشاعر
٢٢٣ يبيت في مجلس الأقوام يربؤهم كأنه شرطي بات في حرس
وأنشد بعضهم لبعض الأعراب في هجايه لبعضهم بالفسولة وبكثرة الأكل
وعظم حجم النجو فقال
حتى إذا أضحى تردى واكتحل لجاراتيه ثم ولى فنثل
رذق الأنوقين القرنبى والجعل
سمى القرنبى والجعل إذ كانا يقتاتان الزبل انوقين والأنوق الرخمة
وهي أحد ما يقتات العذرة وقال الأعشى
يا رخما قاظ على ينخوب يعجل كف الخاري المطيب
المطيب الذي يستطيب بالحجارة اي يتمسح بها وهم يسمون كل شيء
يقتات النجو والزبل لأن ذلك على التشبيه لها بالرخم في هذا

المعنى وحده وقال الآخر
يا أيهذا الناحي بنح القبل يدعو علي كلما قام يصل
رافع كفيه كما يفرى الجعل وقد ملأت بطنه حتى أتل
غيظا فأمسى ميله قد اعتدل
قالوا القبل ما أقبل عليك من الجبل وقوله أتل امتلأ عليك غضبا
فقصر في مشيته وقال الجعدي
منع الغدر فلم أهمم به وأخو الغدر إذا هم فعل
خشية الله وأني رجل إنما ذكرى نار بقبل
وقال الراجز وهو يهجو بعضهم بالفسولة وبكثرة الأكل وبعظم حجم النجو
٢٢٤ بات يعشي وحده ألفي جعل
وقال عنترة
إذا لاقيت جمع بني أبان فإني لايم للجعد لاحي
كسوت الجعد جعد بني أبان ردائي بعد عري وافتضاح
ثم شبهه بالجعل فقال
كأن مؤشر العضدين حجلا هدوجا بين أقلبة ملاح
تضمن نعمتي فغدا عليها بكورا أو تحرى في الرواح
وقال شماخ بن ضرار
وإن تلقيا شأوا بأرض هوى لها مفرض أطراف الذراعين أفلج
والشأو هاهنا الروث كأنه كثرة حتى ألحقه بالشاء والذي يخرج

من البير كما يقول احدهم اذا اراد أن ينقي البير أخرج من تلك البير شاوا
أو شاوين يعني من التراب الذي سقط فيها وهو شي كهيئة الزبيل الصغير
والشاو الطلق والشاو الفوت والمفرض الأفلح الذي عناه هو الجعل
لان للجعل في قوايمه تحزيز وفيها تفريج والجعل جناحان لا يكادان يريان
الا عند الطيران لشدة سوادهما وشبههما لجلده ولشدة تمكنهما
في ظهره وقال الشاعر حيث عدد الخونة وحث الامير على محاسبته

أشدد يديك بزيد ان ظفرت به واشف الاداهم من حروجة الجعل

والجعل لا يدحرج الاجعرا يابسا أو بعرة وقال سعد مطر يهجو بلالا
مولى ابي بكر رحمه الله
٢٢٥

وذاك اسود نوبي له ذفر كانه جعل يمشي بقرداح

وسنذكر شانه وشان بلال في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله
وكان بالكوفة رجل من ولد عبد الجبار بن وايل الحضرمي يكنا ابا الخنافس
وهو راض بكنيته ولم تكن الكنية نبزا ولا لقبا وكان من الفقهاء
له هيئة ورواء وسالت هل كان في اباية من يكنا ابا الخنافس
فان ابا العقاب في ال سالم مولى بني العباس كثير على اتبلع اثر وكان
أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتدا وقال لي ابو الفضل العنبري تقولون
الضب اطول شي ذما والخنفسا اطول منه ذما وذلك انها تغرز
في ظهرها شوكة نافذة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لاهل الدار
وهي تدب فيها وتجول وربما كانت في تضاعيف حبل قت او في بعض

الحشيش والعشب والخلا فيصير في فم الجمل فيبتلعها فاذا وصلت الى
جوفه وهي حية جالت فيه فلا تموت حتى تقتله فاصحاب الابل
يتعهدون تلك الاواني والعلوفات خوفا من الخنافس وقال حواس بن
المعطل في حسان بن نجدل

٢٢٦ هل يهلكني لا ابا لابيكم دنس الثياب كطابخ القدر
جعل تمطى في عبايته زمر المروة ناقص الشبر
قربانة سود احنكلة والعاجز التدبير كالوبر

واما الهجا والمديح ومفاخرة السودان والحمران فان ذلك كله
مجموع في كتاب الهجنا والصرحا وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب
جملة من القول في الجعلان وغير ذلك من الاجناس اللئيمة
المستقذرة في باب النتن والطيب فكرهنا اعادته في هذا الموضع

القول في الهدهد

واما القول في الهدهد فان العرب والاعراب كانوا يزعمون ان القنزعة
التي على راسه ثواب من الله على ما كان من بره بامه ولان امه
لما ماتت جعل قبرها في راسه فهذه القنزعة عوض من تلك الوهدة
والهدهد طاير منتن البدن من جوهره وذاته فرب شي يكون منتنا
من نفسه من غير عرض كالتيوس والحيات وغير ذلك من اجناس الحيوان
فاما الاعراب فيجعلون ذلك النتن شيا خامره بسبب تلك الجيفة
التي كانت مدفونة في راسه وقد قال ذلك امية بن ابي الصلت وغيره

من شعرآيهم فاما امية فهو الذى يقول

تعلم بان الله ليس كصنعه صنع ولا يخفى عليه ملحد
وبكل منكرة له معروفة اخرى على عين بها يتعمد
جدد وتوشيم ورسم علامة وخزاين مفتوحة لا تقلد
عمن أرادبها وجاد غيابة لا يستقيم لخالق يتزيد
غيم وظلما وغيث سحابة ازمان كفن واستزار الهدهد
يبغى القرار لامه ليجنها فبنى عليها فى قفاه يمهد
مهدا وطيا فاستقل لحمله فى الطير يحملها ولا يتاود ٢٢٧
من امه فجزى بصالح حملها ولدا وكلف ظهره ما تفقد
فيزال يدلح ما مشى بجنازة فيها وما اختلف الجديد المسند

ويزعمون ان الهدهد هو الذى كان يدل سليمن بن داود على مواضع المياه فى قعور الارضين اذا اراد استنباط شى منها ويروون ان نجدة الحرورى او نافع بن الازرق قال لابن عباس انك تقول ان الهدهد اذا نقر الارض عرف مسافة ما بين الما وبينه والهدهد لا يبصر الفخ دون التراب حتى اذا نقر التمرة انضم عليه الفخ قال فقال ابن عباس اذا جا القدر عشى البصر ومن امثالهم اذا جا الحين غطى العين وابن عباس ان كان قال ذلك فانما عنى هدهد سليمن بعينه فان القول فيه خلاف القول فى ساير الهداهد وسناتى على ذكر هذا الباب من شانه فى موضعه ان شا الله وقد قال الناس

فى هدهد سليمن وغراب نوح وحمار عزير وذيب اهبان بن اوس وغير ذلك من هذا الفن باقاويل وسنقول فى ذلك بجملة من القول فى موضعه ان شا الله وقد قال صاحب المنطق وزعم فى كتاب الحيوان ان كل طاير يعشش شكلا يتخذ عشه منه فتختلف على حسب اختلاف المواضع وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والافاحيص وزعم ان الهدهد من بينها يطلب الزبل حتى اذا وجده نقل منه كما ينقل الارضه من التراب فبنى منه بيته كما تبنى الارضة ويضع جزا على جز فاذا طال مكثه فى ذلك البيت وفيه ايضا ولدا او فى مثله وتربى ريشه وبدنه بتلك الرايحة وما خلق به ايضا ان يرث اباه النتن الذى علقه كما اورث جده اباه قال فلذلك يكون منتنا وهذا وجه ان كان معلوما انه لا يتخذ عشه الا من الزبل واما ناس كثير فيزعمون ان رب بدن يكون طيب الرايحة كفارة المسك التى ربما كانت فى البيوت ومن ذلك منتن البدن كالذى يحكى عن الحيات وتوجد عليه التيوس وذكر صاحب المنطق ان الطير الذى يسمى باليونانية أغتيولس يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديرا مدا خلا كانه كرة معمولة وروى انهم يزعمون ان هذا الطاير يجلب الدارصيني من موضعه فيفرش به عشه ولا يعشش الا فى اعالى الشجر المرتفعة المواضع قال وربما عمد الناس الى سهام يشدون عليها رصاصا ثم يرمون بها اعشتها فيسقط عليهم

الدارصيني فيلقطونه ويأخذونه ويزعم البحريون ان طايرين يكونان
ببلاد السفالة احدهما يظهر قبل قدوم السفن اليهم وقبل أن يمكن
البحر من نفسه لخروجهم في متاجرهم فيقول الطاير ارت أمد فيعلمون
بذلك ان الوقت قد دنا وان الامكان قد قرب قالوا ويجي طاير آخر وشكل
فيقول سمارو وذلك في وقت رجوع من غاب عنهم فسموا هذين الجنسين
من الطير بارت وسمارو كانهم سموها بقولها وتقطيع أصواتهما
كما سمت العرب ضربا من الطير قطا لأن ذلك الطاير كذلك يصيح وتقطيع
صوته قطا كما سموا الببغا ببغا بتقطيع الصوت الذي ظهر منه
فيزعم أهل البحران أحد ذينك الطايرين لا يطير أبدا الا في إناث
وان الاخر لا يطير ابدا الا في ذكورة وزعم بعض الاطبا ممن أصدق
خبره ان الشفنين اذا هلكت انثاه لم يتزوج وان طال عليه التعزب
وان هاج سفد ولم يطلب التزاوج وحكوا ان عندهم طايرين احدهما
وافي الجناحين وهو لم يطر قط والاخر وافي الجناحين ولكنه من لدن
ينهض للطيران فلا يزال يطير وتقتات من الفراش واشباه الفراش
وانه لا يسقط الا ميتا الا انهم ذكروا انه قصير العمر فلست أدفع خبر
صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني وان كنت لا أعرف الوجه في ان
طايرا ينهض من وكره في الجبال أو بفارس أو باليمن فيؤم ويجد
نحو بلاد الدارصيني وهو لم يجاوز موضعه ان كان من الاوابد ولا مواضعه
التي يقطع اليها ان كان من القواطع فلا يزال يمضي على السمت لطلب

ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه ويعد فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه ما يصير
فراشا له ومهادا الا باختلاف طويل وبعد فانه ليس بالوطي ولا هو له
بطعام فانا وان كنت لا أعرف العلة بعينها فلست انكر الامور من
هذه الجهة فانكر هذا وقال أبو الشيص في صفة الهدهد ٢٤٠

لا تأمنن على سري وسركم غيري وغيرك أو طي القراطيس
أو طايرا ساحليه وانعته ما زال صاحب تنقير وتاسيس
سود براثنه ميل ذوائبه صفر حالقه في الحسن مغموس
قد كان هم سليمن ليذبحه لولا سياسته في ملك بلقيس

ويقال ان لئام الطير ثلثة الغربان والبوم والرخم وقال الشاعر
وددنا ان انكم غراب فكنتم شر طير في الطيور
وقال الكميت
إذ قيل يا رخم انطقي في الطير انك شر طاير

وقال ابو الحسن المداينى امر بعض ملوك العجم الجلندى بن عبد العزيز
الأزدي وكان يقال له في الجاهلية عجردة فقال صد لي شر
الطير واشوه لي بشر الحطب واطعمه شر الناس فصاد رخمة وشواها
ببعر وقربها الى خوزي قال فقال الخوزي أخطأت في كل شي امرك به
الملك ليس الرخمة شر الطير وليس البعرة شر الحطب وليس الخوزي
شر الناس ولكن اذهب فصد بومة واشوها بدفلى واطعمها نبطيا
ولد زنى ففعل واتى الملك فاخبره فقال ليس يحتاج الى ولد زنى يكفيه

اخرى عن حجة

أن يكون سبطيًا والغراب يقوى على الرخمة والرخمة اعظم من الغراب
واشد والرخم تلتمس لبيضها المواضع البعيدة والاماكن الوحشية والجبال
الشامخة وصدوع الصخر فلذلك يقال في بيض الانوق ما يقال وقال
عيينة بن اسما اخي غنيبة بن شماس ٢٤١

ان أولى بالحق في كل حق ثم أولى بان يكون حقيقا
من ابوه عبد العزيز بن مروان من كان جده الفاروقا
ردّاموا النا علينا وكانت في ذرى شاهق تفوق الانوقا

قال وطلب رجل من اهل الشام الفريضة من معوية فجاد له بها فسأل لولده
فابا فسأل لعشيرته فقال معوية

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الانوق

وليس يكون العقوق إلا من الاناث واذا كانت من البلق كانت بلقا
وانما هذا كقولهم زل في سلا جمل والجمل لا يكون له سلا وقد يرون بيض
الانوق ولكن ذلك قليلا ما يكون واقل من القليل لان بيضها في
المواضع الممتنعة وليس فيها منافع فيتعرض فطلبها بالمكروه وانا
اظن ان معوية لم يقل كما قالوا ولكنه قدم في اللفظ بيض الانوق
فقال طلب بيض الانوق فلما لم يجده طلب الابلق العقوق واما قول
ابن احمر

يمشي باوظفة شديد اسرها شم السنابك لا تقي بالجدجد
اذ صبحته طاويا ذا شرة وفواده زجل كعرق الهدهد

فقد يكون الا يكون عنا بهذا الهدهد لان ذكورة الحمام وكل شي غنا من
الطير وهدر ودعا فهو هدهد وقال الشاعر في صفة الحمام

واذا استشرت اذن فيها هدهد مثل المداك خضبته بجساد

قال وخطب رجل جبل امراة وخطبها معه رجل دميم فتزوجت الدميم
لماله وتركته فقال ٢٤٢

ألا يا عباد الله ما تامرونني باقبح من ولا واسمجهم فعلا
يدب على احشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يعلو نقا سهلا

والاجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة كالخنازير والدجاج والكلاب
والجراد وغير ذلك ولكنها لا تبلغ بلغ الجعل والرخمة وقال ابن ابي كريمة
كنت عند ابي مالك عمرو بن كركرة وعنده اعرابي فجرى ذكر القرنبى
قال فقلت له اتعرف القرنبى قال ومالي لا اعرف القرنبى فوالله لربما
لم يكن غداي الا القرنبى يحسحس لي قال فقلت له انها دويبة تاكل
العذرة قال ودجاجكم تاكل العذرة قال وقال بعض المدنيين لبعض
الاعراب اتاكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس
قال ناكل كل شي الا ام حبين قال فقال المدني لتهن ام حبين العافية
قال وحدثنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه قال من الدواب اربع لا يقتلن النملة
والنحلة والصرد والهدهد

القول في الخفاش

فاول ذلك ان الخفاش طاير وهو مع انه طاير من عرض الطير فانه
شديد الطيران كثير التكفي في الهوا سريع التقلب فيه وطعمه من البعوض
وقوته من الفراش واشباه الفراش ثم لا يصيده الا في وقت طيرانه
في الهوا في وقت سلطانه لان البعوض انما يتسلط بالليل فلا يجوز ان يبلغ
ذلك الا بسرعة الاختطاف والاختلاس وشدة الطيران ولين الاعطاف
وشدة المتن وحسن التاني والرفق في الصيد وهو في ذلك ليس
بذي ريش وانما هو لحم وجلد فطيرانه بلا ريش اعجب وكلما كان
اشد كان اعجب ومن اعاجيبه انه لا يطير في ضوء ولا ظلمة
وهو طاير ضعيف قوى البصر قليل شعاع العين الفاضل من الناظر
ولذلك لا يظهر في الظلمة لانها تكون غامرة لضياء بصره غالبة لمقدار
قوى شعاع ناظره ولا يظهر نهارا لان بصره لضعف ناظره يلتمع
في شدة بياض النهار ولان الشي المتلالي ضار لعيون الموصوفين
بحدة البصر ولان شعاع الشمس بمخالفته مخرج اصوله وذهابه
يكون رادعا لشعاع ناظره ومفرقا له فهو لا يبصر ليلا ولا نهارا
فلما علم ذلك واحتاج الى الكسب والطعم التمس الوقت الذي لا يكون فيه
من الظلام ما يكون غامرا قاهرا وعاليا غالبا ولا من الضيا ما يكون
معشيا رادعا ومفرقا قامعا فالتمس ذلك في وقت غروب القرص
وبقية الشفق لانه وقت هيج البعوض واشباه البعوض وارتفاعها
في الهوا ووقت انتشارها في طلب ارزاقها فالبعوض يخرج للطعم

وطعمه دما الحيوان والخفافيش للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق
فيصير ذلك هو رزقه وهذا ايضا مما جعل الله في الخفافيش من الاعاجيب
ويزعمون ان السك الاذان والممسوحة من الحيوان انما تبيض بيضا
وان كل اشرف الاذان فهو يلد ولا يبيض ولا ندري لم كان الحيوان
اذا كان اشرف الاذن ولد واذا كان ممسوحا باض والاذان الخفافيش
حجم ظاهر وشخوص بين وهي وان كانت من الطير فان هذا لها
وهي تحبل وتلد وتحيض وترضع والناس يتقززون من الارنب
والضبع لمكان الحيض وقد زعم صاحب المنطق ان ذوات الاربع كلها
تحيض على اختلاف في القلة والكثرة والزمان والحمرة والصفرة والغلظ
والرقة قال ويبلغ من ضن انثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه
انها تحمله تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها وربما ارضعته
وهي تطير وتقوى من ذلك ويقوى ولدها على ما يقوى عليه الحمام
والشاهمرك وسباع الطير وقال معمر ابو الاشعث ربما اتامت
الخفاش فتحمل معها الولدين جميعا فان عظما عاقبت بينهما والخفاش
من الطير وليس له منقار محدد وطوله فم فيما بين مناسر السباع
وافواه البوم وفيه اسنان حداد صلاب موصوفة من اطراف
الحنك الى اصول الفك الا ما كان في نفس الخطم واذا قبضت على
الفرخ وعضت عليه لتطير به عرفت ذرب اسنانها فعرفت
اي نوع ينبغي ان يكون ذلك العض فيجعله ازما ولا تجعله عضا

ولا تيبيسا ولا ضغما كما تصنع الهرة بولدها فانها مع ذرب أنيابها
وحدة أطرافها ودقتها لا تخدش لها جلدا الا انها تمسكها ضربا
من الامساك وتلازم عليها ضربا من الازم قد عرفته ولكل شي حد به
يصلح ومجاوزته والتقصير دونه تفسد وقد نرى الطاير يغوص في الما نهاره
ثم يخرج كالشعرة سللتها من العجين غير مبتل الريش ولا لثق الجناحين
ولو ان أرفق الناس رفقا داهن على أن يغمس طايرا منها في الما غمسة
واحدة ثم خلى سربه ليكون هو الخارج منه متعجن الريش مفسد النظم
منقوض التاليف ولكان أجود ما يكون طيرانا أن يكون كالجادف
فهذا ايضا من أعاجيب الخفاش ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال وبسط
الفيافي وأقلاب النخل وأعالي الاغصان ودغل الغياض والرياض
وصدوع الصخر وجزاير البحر ومجيها تطلب مساكن الناس وقربهم
ثم اذا صارت الى بيوتهم وقربهم قصدت الى أدفع مكان واحصنه
والى أبعد المواضع من مواضع الاجتياز واعراض الحوايج ثم الخفافيش
بعد من الحيوان الموصوف بطول العمر حتى يجوز حد العقارب
والورشان الى النسر ويجوز حد الفيلة والاسد وحمير الوحش
الى اعمار الحيات ومن اعاجيب الخفافيش ان أبصارها تصلح على
طول العمر ولها صبر على طول فقد الطعم فيقال ان اللواتي يظهرن في
القمر من الخفافيش هن المسنات المعمرات وان اولادهن اذا بلغن
لم تقو ابصارهن على ضيا القمر ومن أعاجيبها انها تضخم وتجسم

ويقبل اللحم على الكبر وعلى السن وقد زعم صاحب المنطق ان الكلاب
السلوقية كلما دخلت في السن كان اقوى لها على المعاظلة وهذا
غريب جدا وقد علمنا ان الغلام احد ما يكون وأشبق وانكح وأحرص
عند أول بلوغه ثم لا يزال كذلك حتى يعطفه الكبر أو اضعافا أو
تعرض آفته ولا تزال الجارية من لدن ادراكها وبلوغها وحركة شهوتها
على شبيه بمقدار واحد من ضعف الارادة كذلك عدهن حتى اذا
اكتهلن وبلغت المراة حد النصف فعند ذلك يقوى عليها سلطان
الشهوة والحرص على الباه فانما تهيج الكهلة عند سكون هيج
الكهل وعند ادبار شهوته وكلال حده واما قول النسا وأشباه
النسا في الخفافيش فانهم يزعمون ان الخفاش اذا عض الصبي لم ينزع
سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشي فلا انسى فزعي من مس
الخفاش ووحشتي من قربه ايمانا بذلك القول الى ان بلغت وللنساء
واشباه النسا في الخفافيش وشبهه خرافات عسى أن نذكر منها شيا
اذا بلغنا الى موضعه ان شا الله ومن الطير وذوات الاربع
ما يكون نافذ البصر ومنه ما يكون سيي البصر فاما قولهم ان الفارة
والسنور واشيا اخر ابصر بالليل فهذا باطل والانسان ردي البصر
بالليل والذي لا يبصر بالليل باطل والانسان ردي البصر بالليل
والذي لا يبصر تسميه الفرس شبكور وتاويله انه أعمى الليل وليس له
في لغة العرب اسم أكثر ما سمعت الا بهذا فاما الاعطش فانه

السيئ البصر بالليل والنهار جميعا واذا كانت المراة مغربة العين فكانت رديئة البصر بالنهار قيل لها جهرا وانشد الاصمعي في الشا

جهرا الا تالوا اذا هي اظهرت بصرا ولا من عيلة تغنيني

وذكروا ان الجهرا التي لا تبصر في الشمس وقالوا لا تالو اي لا تستطيع وقوله اظهرت اي صادت في الظهيرة والعيلة الفقر قال يعني به شاة

وقال يحيى بن منصور في هجايه بعض ال الصعق

يا ليتني والمنى ليست بمغنية كيف اقتصاصك من ثار الاحابيش

اتنكحون مواليهم كما فعلوا ام تخصون كاخصاء الخفافيش

وقال الاخطل

وقد غبر العجلان حينا اذا بكا على الزاد القته الوليدة في الكسر

فيصبح كالخفاش يدلك عينه فقبح من وجه لعين ومن حجر

وقال مروان بن محمد هذا ابو الشمقمق العبث البارد

انا بالاهواز محزون وبالبصرة داري

في بني سعد وسعد حيث اهلي وقراري

صرت كالخفاش لا ابصر في ضوء النهار

وقال السحاة مقصورة اسم الخفاش والجمع سحا كما ترى وقالوا في اللغز وهم يعنون الخفاش

ابا شعرا الناس لا يخبرونني وقد ذهبوا في الشعر في كل مذهب

بجلدة انسان وصورة طاير واظفار يربوع وانياب ثعلب

هشام الدستوائي قال حدثنا قتادة عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن عمر انه قال لا تقتلوا الضفادع فان نقيقهن تسبيح ولا تقتلوا الخفاش فانه اذا خرب بيت المقدس قال يا رب سلطني على البحر حتى اغرقهم قال وحدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا قتادة عن زرارة بن اوفى قال قال عبد الله بن عمر لا تقتلوا الخفاش فانه استاذن البحر ان ياخذ من مائه فيطفي نار بيت المقدس حيث حرق ولا تقتلوا الضفادع فان نقيقها تسبيح قال وحدثنا عثمن بن سعيد القرشي قال سمعت الحسن يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوطواط وامر بقتل الاوزاغ قال والخفاش تاتي الرمانة وهي على شجرتها فينقب عليها فياكل كل شي فيها حتى

تمام

